UTL AT DOWNSVIEW
D RANGE BAY SHLF POS ITEM C
39 09 05 07 13 021 5

B32

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

BRIEF
BT
0008065

Kitāb Tārīkh Al-Fidā'

كتاب

تاريخ الفداء

تأليف

الفاضل الرئيس يوناثان أدْوَردس

Edwards, Jonathan, 1703-1758

History of Redemption.

بالرخصة الرسمية من مجلس معارف ولاية سورية الجليلة

طُبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٨٦٨

BT

BRIEF
BT
0008065

مقدّمة

ان مؤلّف هذا الكتاب الفاضل يوناثان ادوردس الذي اشتهر في القرن الماضي بتقواهُ وعلمهِ ومصنفاتهِ وكانت ولادتهُ في اليوم الخامس من شهر تشرين الاول من سنة ١٧٠٣ وتُوفّي في ٢٢ اذار سنة ١٧٥٨ ومن جملة مصنفاتهِ كتاب تاريخ الفداء الذي صار السعي بترجمتهِ الى اللغة العربية والآن قد كمل طبعهُ افادة للمسيحيين من اهل الشرق وترغيبًا لهم في مطالعة الكتب المقدسة الثمينة ولعلهم بعد مطالعتهم هذا الكتاب يتنورون في امور كثيرة تتعلق بمعرفة الكتب الالهية ومن الرب وروحهِ الرشد والهداية

تاريخ الفداء

كلام استفتاحي

ان عمل الفداء هو عمل يمارسهُ الله من سقوط الانسان الى نهاية العالم. ولا يخفى ان تواليد البشر لم تبتدئ حتى بعد السقوط وبداءة ذرية والدينا الاولين كانت بعد السقوط وذريتها بحسب الولادة الطبيعية قد اشتركت بالسقوط وبفساد الطبيعة الذي نتج منهُ. وهذه الاجيال المتعاقبة تبقى الى نهاية العالم فيكون سقوط الانسان ونهاية العالم اي يوم الدينونة طرفين لاجيال الناس على الارض ولنفس عمل الفداء مع قطع النظر عن اثمارهِ لانها ابدية

ثم ان عمل الفداء وعمل الخلاص شيء واحدٌ فان الذي يقال لهُ في الكتب المقدسة خلاصٌ يقال لهُ احيانًا فداء وهذا يقال عن المسيح انهُ مخلص شعبهِ وفاديهِ وقبل ان نشرع في تاريخ عمل الفداء يجب ان نبين الاصطلاحات المستعملة في هذا الموضوع ثم كيفية مباشرة عملهِ وقصد الله في تتميم هذا العمل العظيم

اما عمل الفداء فقد يراد بهِ على حصر المعنى مُشترَى الخلاص باعطاء بدَلٍ. وعلى ذلك لم يكن زمانهُ طويلاً لانهُ ابتدأَ عند تجسد المسيح وانتهى عند وقوعهِ تحت سلطة الموت الى يوم قيامتهِ الذي فيهِ اكمل عمل الفداء فتمّم المُشترَى

وقد يراد احياناً بعمل الفداء على غير وجه الحصر جميع ما يعملهُ الله لهذه الغاية فلا ينحصر ذلك في المُشترَى فقط بل يشمل جميع اعمال الله المُعِدَّة للمُشترَى والمتممة لنجاحهِ . وعلى ذلك يراد هنا بعمل الفداء جميع ما عملهُ الله في استعداد فداء المسيح ومشتراهُ وتخصيصهِ ونجاحهِ . فيُطلَق عمل الفداء على كل ما يعملهُ المسيح من هذا العمل العظيم من حيث انهُ وسيطٌ سواء كان ذلك في وظيفتهِ النبوية او الكهنوتية او الملوكية وعلى كل ما عملهُ لما كان في الارض بالطبيعة البشرية او قبل ذلك او بعدهُ . على ان ذلك لا يختص بما عملهُ المسيح فقط بل يشمل ما عملهُ الآب او الروح القدس من حيث اتحادهم واشتراكهم في هذه الغاية لفداء الجنس البشري . وبالنتيجة نقول ان كل ما عُمِل في تتميم عهد الفداء الذي تعاهد بهِ الاقانيم الثلاثة منذ الازل هو المعنى الذي نريدهُ هنا بعمل الفداء لان كل ذلك عملٌ واحدٌ وغايتهُ واحدة . وجميع الاعمال التي تتعلق بهِ انما هي اجزاء منهُ

ومتى قلنا ان هذا العمل قد جرى من سقوط الانسان الى نهاية العالم فلا نريد انهُ لا يُعمَل شيء لاجلهِ قبل سقوط الانسان لان بعضاً منهُ قد عُمِل قبل خلق العالم بل منذ الازل . فكانت اقانيم الثالوث قد اشتركت في مقصد عهد النعمة . وكان الآب قد اوقف الابن لذلك والابن تعهد بالعمل وجميع الامور التي يتمُّ بها هذا العمل قد وُضِعَت واجمع الاتفاق عليها . وفي خلق العالم كان بعض الاشياء متعلقاً بهذا العمل لان الظاهر ان العالم قد خُلِق لاجلهِ وكان عمل الخليقة لاجل عمل عناية الله . فلو سُئلنا عن اي الامرين اعظم اعمال الخليقة ام اعمال العناية لقلنا اعمال العناية اعظم لان الغرض من اعمال الخليقة هو اعمال العناية كما ان الغرض من بناء البيت او اصطناع الآلة هو الاستعمال . ولا يخفى ان اعمال العناية هي عمل الفداء كما سترى باجلى بيان . فان السماء خُلِقت لاجل هذا العمل الذي بهِ تكون مسكناً للذين يُفدَون كما قيل في بشارة متى ٢٥ : ٣٤ ثم يقول الملك للذين عن يمينهِ تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملكوت

المعدّ لكم منذ تأسيس العالم . والملائكة ايضاً خُلقت لتشتغل بهذا العمل

واما هذا العالم فلا ريب انهُ خُلق ليكون مكاناً لاجراء هذا العمل العظيم العجيب ولذلك خُلق في غاية المناسبة لحالة الانسان بعد سقوطهِ تحت امكانية الفداء كما يظهر من اوجهٍ كثيرة

ولا نريد بما قدّمنا من الكلام انهُ لا تبقى اثمار هذا العمل بعد نهاية العالم لان المجد والسعادة اللذين هما خلاصة جميع الاثمار يدومان للاطهار الى الابد . بل ان عمل الفداء قد جرى في وقتٍ من الاوقات وانتهى ونتجت عنهُ اثمارٌ ابديةٌ لا نهاية لها لان الغرض المقصود منها لا نهاية لهُ ولذلك عند ما نقول ان عمل الفداء يجريهِ الله منذ سقوط الانسان الى نهاية العالم نعني ان الاشياء المتعلقة بهذا العمل والمعدودة اجزاءهُ تحصل في جميع هذه المدّة . نعم قد حصل بعض اشياء مُعدّة لهُ وتبقى آثارهُ بعد نهايتهِ ولكن العمل نفسهُ ابتدأ عند ما سقط الانسان وسيبقى الى نهاية العالم . وجميع اعمال الله في هذه المدّة تتعلق بهذا العمل وبغايتهِ ايضاً ونتيجة جميع ذلك واحدة . ولذلك يجب ان تعدّ جميعها حركات متوالية لآلةٍ واحدة لكي تأتي بنتيجة واحدة

وهنا يجب ان نميز بين اجزاء نفس الفداء واجزاء العمل الذي يحصل الفداء بواسطتهِ فانهُ يوجد فرقٌ بين العمل الذي عملهُ الله والفوائد الناتجة بواسطتهِ . فان فداء بني اسرائيل من مصر مثلاً باعتبار فوائدهِ كان اولاً خلاصهم من العبودية والشقاوة ثم انتقالهم الى حالةٍ افضل على انهم خدام الله وورثة ارض كنعان ولكن يوجد اشياء أُخرى كثيرة هي اجزاء لهذا العمل كدعوتهِ تعالى لموسى وارسالهِ اياهُ الى فرعون والآيات والمعجزات التي صنعها في مصر وجلب الضربات الهائلة على المصريين الى غير ذلك

فهذا العمل الذي يصنع الله الفداء بواسطتهِ هو موضوع كلامنا وهو جارٍ من سقوط الانسان الى نهاية العالم على وجهين الاول هو التأثير الحاصل في انفس الذين يُفدَون وهو شاملٌ لجميع الاجيال . وهذا التأثير هو تخصيص

الفداء ببعض الناس دون غيرهم بحيث يهديهم الله اليهِ ويبرّرهم ويقدّسهم ويمجّدهم. وعلى ذلك يُفدَون بالفعل ويقبلون فوائد الفداء من تأثيراتهِ بهم. وعمل الفداء على هذا الوجه يجري في جميع الاجيال من سقوط الانسان الى نهاية العالم. فان عمل الله في ترجيع الانفس وتفتيح اعين العمي وآذان الصُمّ واقامة الموتى بالروح الى الحياة الدائمة وتخليص الاسارى الاشقياء من يد الشيطان قد ابتدأ من حين سقوط الانسان جاريًا الى الآن وسيجري الى نهاية العالم فكان لله من ذلك الوقت كنيسةٌ من المفديين دائمًا في الارض. ومع انهـا في احيانٍ كثيرة قد انحصرت في دائرة ضيقة لم تنقطع بالكليّة قطُّ

وكما ان الله يجري عمل تخليص الانفس الساقطة في جميع الاجيال كذلك لا يزال يبرّرهم ويمحو جميع خطـاياهم ويقبلهم كابرار قدامهُ بواسطة برّ المسيح. وكذلك لا يزال يتخذهم بنين له بعد ان كانوا بني الشيطان. ويدوم على عمل النعمة الذي ابتدأ بهِ في قلوبهم ويعزّيهم بتعزيات روحهِ القدوس. وينعم عليهم عند موتهم بذلك المجد الابدي الذي هو ثمر ما اشتراهُ المسيح لهم من الفداء. فان قول الرسول في رو ٨: ٣٠ والذين سبق فعيّنهم فهؤلاء دعاهم ايضًا. والذين دعاهم فهؤلاء برّرهم ايضًا. والذين برّرهم فهؤلاء مجّدهم ايضًا جارٍ على جميع الاجيال من السقوط الى نهاية العالم. وطريقة عمل ذلك انما هي بتكرار العمل نفسهِ على الدوام في اشخاص مختلفة من جيلٍ الى جيل

واما الوجه الثاني الذي يجري عليهِ عمل الفداء فهو ليس بمجرّد اعادة تجديد التأثير الواحد في مواضيعهِ المختلفة بل باعمال الله وتدابيرهِ الكثيرة المتوالية المتّجهة الى نتيجةٍ عظيمة متحدة على انها اجزاء لعملٍ واحدٍ كالبيت الذي يُبنَى فان الفَعَلة يجمعون اولاً بسائطهُ التي يتركب منهـا كالحجارة وغيرها ويُعدُّون الارض ويضعون الاساس ثم يأخذون في البناء شيئًا بعد شيء الى ان يضعوا الحجر الاخير ليتمّ البناء. وذلك يشبه عمل الفداء على الوجه الذي تقدم ذكرهُ لان الله شرع فيهِ عند السقوط ويستمرُّ عليهِ الى نهاية العالم وعند ذلك

يؤتى بالحجر الاخير ويتمّ العمل

ثم ان هذا العمل يجري على الوجه الاول على انهُ نتيجةٌ تشترك فيها جميع الاجيال . وعلى الوجه الثاني على انهُ الغرض العظيم العمومي فلا يجري في ما تشترك فيهِ جميع الاجيال فقط بل في اعمال متوالية ايضًا جرت في اجيال مختلفة وجميعها اجزاء لعملٍ واحدٍ عظيم . وكلامنا في هذا الكتاب يتجه على الخصوص الى هذا الوجه الثاني بدون قطع النظر عن الاول لان الكلام في كل واحدٍ منهما يتعرّض للآخر بالضرورة

والآن قد اتينا الى الكلام في غاية هذا العمل العظيم ، ولكن يجب ان نعرف اولاً ماهيَّة الغاية لكي نفهم تعلُّقها بالعمل . فاننا لا نعرف كيف يتقدَّم الصانع في عملهِ ولا نفهم الحركات المتوالية التي يتخطَّى اليها لكي يكمل عملهُ ما لم نقف على حقيقة الغرض الذي يقصدهُ من عملهِ . ولولا ذلك لوقفنا مرتبكين في عملهِ لاننا لا نرى شيئًا ما هو قاصدٌ كما اذا كان مهندسٌ تحت يدهِ كثيرٌ من الصناع يبنون قصرًا وحضر من يجهل هذا العمل فرأى اناسًا يحفرون الارض وآخرين يخدمون الحجارة وغيرهم يقدمون الخشب الى غير ذلك من المهمّات فانهُ يرى ان الاعمال كثيرة ولكن لا يرى لذلك وجهًا لانهُ لا يعرف الغرض المقصود فيكون مشوَّش البال . وبناء على ذلك نريد ان نذكر بالاختصار اخصّ الاشياء المقصودة من اعمال الله العظيمة المتعلقة بعمل الفداء لكي لا يظهر انها عبثٌ

فنذكر اولاً وضع جميع اعداء الله تحت قدميهِ واظهار صلاحهِ اخيرًا غالبًا على جميع الشرّ . لا يخفى انهُ لم يلبث العالم كثيرًا بعد ما خلقهُ الله حتى دخل الشرّ اليهِ بسقوط بعض الملائكة والانسان ولم يمضِ على الخليقة العاقلة كثيرٌ من الزمان حتى قام عليهِ منهم اعداء . وعندما سقط الانسان دخل الشر الى عالم الدنيا وقامت اعداء الله فيهِ ايضًا . واذ اراد الشيطان ان يبطل ما قصدهُ الله في خلقهِ هذا العالم ويخرب عملهُ ويغتصب الحكم من يدهِ ويسلب الكرسيّ ويضع نفسهُ الهًا لهذا العالم عوض الذي خلقهُ . قام عليهِ سبحانهُ وادخل الخطية

الى العالم واذ جعل الانسان عدوًّا لله جلب عليهِ القصاص وادخل الى العالم الموت واشدَّ الشقاوة وافظعها فقد كان قهر هولاء الاعداء الى ان يخضعهم تحت قدميهِ من مقاصد الله العظيمة في عمل الفداء كما قيل انهُ يجب ان يملك حتى يضع جميع الاعداء تحت قدميهِ ١كو ١٥: ٢٥ وقد رتب الاشياء في الاصل على طريقةٍ حسنة بحيث يخزي الشيطان ويعربسهُ ويقهرهُ ويسحق راسهُ تحت رجلي المسيح تك ٣: ١٥ وعلى ذلك صدر وعدهُ بان نسل المرأة يسحق راس الحية. وكان ما قصدهُ الله في هذا العمل ان يُهلِك اعمال الشيطان ويخزيهُ في جميع مقاصدهِ. لاجل ذلك أُظهِر ابن الله لكي ينقض اعمال ابليس ١يو ٣: ٨ فكانت الغلبة على الخطية وعلى فساد البشر واقتلاع ذلك من قلوب شعبهِ بصيرورتهم لهُ جزءًا من مقصدهِ. واراد ايضًا ان تغلب نعمتهُ على جرم الانسان وشرّ الخطية غير المحدود. وكان ايضًا مما قصدهُ الغلبة على الموت. ومع ان هذا هو العدو الاخير الذي يجب ان يبيد فلا بد من قهرهِ واهلاكهِ اخيرًا. وعلى ذلك يظهر الله غالبًا على جميع الشرّ ومنتصرًا على جميع اعدائهِ بواسطة عمل الفداء

ثانيًا قصد الله ان يصلح بابنهِ ما اورثهُ السقوط من الخراب بقدر ما يتعلق بمختاريهِ في هذا العالم. ومن ذلك ما نقرأهُ عن استرداد جميع الاشياء اع ٣: ٢١ الذي ينبغي ان السماء تقبلهُ الى ازمنة ردّ كل شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع انبيائهِ القديسين منذ الدهر اع ٣: ١٩ فتوبوا وارجعوا لتُمحَى خطاياكم لكي تأتي اوقات الفرج من وجه الرب

وعند ما سقط الانسان تعطّلت نفسهُ فامّحت عنها صورة الله وانفسدت طبيعتهُ وصار ميتًا في الخطية. فقصد الله ان يردّ نفس الانسان الى الحياة والصورة الالهية بارشادهِ لهُ وان يديم استردادهُ في التقديس وان يكمل ذلك بالمجد. وتعطّل جسدهُ ايضًا وصار خاضعًا للموت بسبب السقوط فقصد الله اصلاحهُ وتخليصهُ ليس من الموت فقط بواسطة القيامة بل من نفس الاحتمال للموت ايضًا بجعلهِ شبيهًا بجسد المسيح المجّد. وتعطّل العالم ايضًا نظرًا الى

الانسان تعطيلاً عظيماً كما لو فقد النظام والترتيب ورجع الى الحال الخَرِبة التي كان عليها قبل انتظامهِ . فقصد الله ان يصلح ذاك الخراب كأنهُ يخلق سمواتٍ جديدة وارضاً جديدة . وبناءً على ذلك قال اشعياء النبي لاني هانذا خالق سموات جديدة وارضاً جديدة فلا تُذكَر الاولى ولا تخطر على بالٍ اش ٦٥ : ١٧ وقال بطرس الرسول ولكننا بحسب وعدهِ ننتظر سمواتٍ جديدة وارضاً جديدة يسكن فيها البر ٢ بط ٣ : ١٣

فقد شرع في العمل الذي يتمُّ ذلك بواسطتهِ حالاً عند السقوط وهو يدوم الى ان يتمَّ الجميع وتُرَدَّ السموات والارض . فيصير عند نهاية العالم كأنهُ قد خُلِق سموات جديدة وارض جديدة على المعنى الروحي . وذلك ما أُشيرَ اليهِ في الرؤيا اذ قيل ثم رأيت سماءً جديدة وارضاً جديدة لان السماء الاولى والارض الاولى مَضَتا رؤ ٢١ : ١

ثالثاً ان الله قصد في عمل الفداء ان يجمع بالمسيح كل الاشياء ما في السموات وما على الارض اف ١ : ١٠ ولكي يتحد الجميع في جسدٍ واحدٍ بالله الآب . وقد شرع في ذلك حالاً عند السقوط وهو يدوم على ممرّ الاجيال وينتهي عند نهاية العالم

رابعاً قد قصد الله بهذا العمل ان يكمل مجد جميع المختارين بالمسيح مجداً لم تَرَهُ عينٌ ولم تسمع بهِ اذنٌ ولم يخطر على قلب بشرٍ . وذلك بانهُ يأتي بهم الى غاية ما يكون من الفضل والجمال على صورتهِ وفي قداستهِ التي هي الجمال اللائق باهل السماء ويبلّغهم درجة عالية من الشرف ويرقيهم الى سعادةٍ ابدية . وبذلك اراد ان يمجد جميع الكنيسة انفساً واجساداً ويبلغ بهم مجد الملائكة المختارين الى الدرجة العليا تحت راسٍ واحد وقد شرع في ذلك حالاً بعد السقوط وهو يدوم على ممرّ الاجيال الى ان يكملهُ عند نهاية العالم

خامساً قصد الله في جميع ذلك ان يكمل مجد الثالوث الاقدس الى غاية ما يكون . لان الله منذ الازل قاصد ان يمجد كل واحدٍ من اقانيم لاهوتهِ . لانهُ

حسب ترتيب الطبيعة يجب ان نعتبر اولاً الغاية ثم الوسائط وعلى ذلك لما قصد الله هذه الغاية اختار ما شاء من الوسائط لها وكانت الواسطة الكبرى التي اختارها هي عمل الفداء هذا. فاراد بهذا العمل ان يمجد ابنهُ الوحيد يسوع المسيح. وان يمجّد الآب بالابن كما قال يوحنا الآن تمجد ابن الانسان وتمجد الله فيهِ. ان كان الله قد تمجد فيهِ فان الله سيمجدهُ في ذاتهِ ويمجدهُ سريعًا يو ١٣: ٣١ و٣٢ فقصد ان يتمجد الابن بذلك وان يمجّد الآب بما يعملهُ الروح القدس لمجد الروح فاذًا يتمجد الثالوث اجمالاً وافرادًا. وشرع في العمل الذي جُعِل واسطةً لذلك عند السقوط حالاً. وهو يدوم الى نهاية العالم وعند ذلك يتم العمل ويكمل جميع المقصود في جميع الاشياء

وإذ قد تقرَّر ما شرحناهُ فلنشرع الآن في بيان كيفية تمام الغرض من عمل الفداء في استمرارهِ من سقوط الانسان الى نهاية العالم. وبناء على ذلك قد قسمنا هذه المدَّة الى ثلاثة فصول اولها من سقوط الانسان الى تجسد المسيح. والثاني من تجسد المسيح الى قيامتهِ. والثالث من قيامة المسيح الى نهاية العالم

ولكن كلامنا في كيفية اجراء عمل الفداء في هذه الفصول الثلاثة بالترتيب على هيئة قضايا ثلاث الاولى انهُ من سقوط الانسان الى تجسد المسيح كان الله يعمل ما كان مهيئًا لمجيئهِ ومبشرًا بقدومهِ. الثانية ان الزمان الجاري من قيامة المسيح الى نهاية العالم هو الزمان الذي يُتمَّم فيهِ نجاح هذا الغرض

المُدّة الاولى

من السقوط الى التجسد الالهي

ان اعمال الله العظيمة في العالم في جميع هذه المدّة كانت جميعها مُعدّةً لما سيأتي الكلام عنهُ. فكل ما حصل فيها من تغيير الاحوال والانقلابات في العالم انما كان تنفيذًا لمقاصد العناية في تمهيد الطريق لمجيء السيد المسيح . والى ذلك اتّجهت على الخصوص كل اعمال الله العظيمة نحو كنيستهِ التي كانت في احوالٍ مختلفة قبل مجيء المسيح ولكن جميع هذه الاحوال جعلها تعالى تمهيدًا لمجيئهِ . وكان الله يخلص انفس الناس في جميع هذه المدة مع ان عددهم كان قليلاً بالنسبة الى ما كان بعدها وذلك على سبيل السَّلَف . فان جميع الانفس التي خلصت قبل مجيء المسيح كانت عربونًا للحصاد الروحي المزمع

نعم انهُ تعالى قد انقذ كنيستهُ وشعبهُ من الاسواء كثيرًا قبل مجيء المسيح . ولكن كان ذلك شبهًا ومثالاً لما كان قاصدهُ من العمل عند مجيء المسيح . وكانت الكنيسة في هذه المدة متمتعة بنور الوحي الالهي فكان عندهم شيءٌ من نور الانجيل . ولكن جميع ما أُنزِل اليهم من الوحي انما كان عربونًا للنور العظيم الذي يأتي بهِ مَن اتى ليكون نورًا للعالم . وكانت جميع هذه المدة ليلاً . نعم لم تكن كنيسة الله عادمة النور اصلاً ولكن كان نورها كنور القمر والنجوم يشوبهُ ظلامٌ كثيرٌ بالنسبة الى نور الشمس فلم يكن لها مجدٌ نظرًا الى المجد الفائق ٢كو٣: ١٠

وكانت الكنيسة في هذه المدة في سنّ الصبوة كما قال الرسول ما دام

الوارث قاصرًا لا يفرق شيئًا عن العبد مع كونهِ صاحب الجميع بل هو تحت اوصياء ووكلاء الى الوقت المؤجَّل من ابيهِ . هكذا نحن ايضًا لما كنا قاصرين كنا مُستعبَد بن تحت اركان العالم غل ٤: ١ الى ٣

ثم اننا لاجل زيادة الايضاح قد قسمنا هذه المدة الى ستة فصول اولها من السقوط الى الطوفان . الثاني من الطوفان الى دعوة ابرهيم . الثالث من دعوة ابرهيم الى موسى . الرابع من موسى الى داود . الخامس من داود الى سبي بابل . السادس من السبي الى تجسد المسيح

الفصل الاول

من السقوط الى الطوفان

ان الله تعالى شرع في هذا العمل العظيم في تلك المدة مع انها كانت ابعد من غيرها عن تجسد المسيح ونبين الآن كيف كان المسيح يمارس وظيفتهُ كوسيط ومخلص في تلك المدَّة

(١) ان المسيح كان قد تعهَّد للآب بذلك قبل ان خلق العالم بل منذ الازل على انهُ يقف عند ما تدعو الحاجة وسيطًا للانسان ويمارس هذه الوظيفة. ولما دعت الحاجة الى ذلك عند السقوط اتخذ المسيح ابن الله الازلي صفات الوسيط وقدَّم نفسهُ امام الآب وسيطًا بين الاله القدوس والانسان الذي عصى واستكبر. فقُبِلَت وساطتهُ وبذلك كفَّ غضبهُ تعالى عن انفاذ اللعنة الهائلة التي جلبها الانسان على نفسهِ

ثم انهُ لا ريب في ان المسيح شرع في وظيفة الوساطة بين الله والانسان

حالما سقط الانسان لان الرحمة استدركتهُ حالاً فلم يعذبهُ كما عذَّب الملائكة عند ما سقطوا . ولكنهُ ترفَّق بهِ رحمةً منهُ وتمهُّلاً عليهِ . ولا يخفى ان الانسان الخاطئ لا ينال الرحمة الاَّ عن يد وسيطٍ . ولو لم يمنع الله الشيطان برحمتهِ لاجتذبهُ حالاً الى النار الجهنمية . ولكن المسيح توسط لهُ عند سقوطهِ ومن ذلك اليوم اخذ المسيح على نفسهِ الاهتمام بالكنيسة في ممارسة جميع وظائفهِ . فصار يعلِّم الناس بمقتضى وظيفتهِ النبوية . ويشفع للخطاة بمقتضى وظيفتهِ الكهنوتية . ويحكم على الكنيسة والعالم بمقتضى وظيفتهِ الملوكية . وبذلك اخذ على نفسهِ المحاماة عن شعبهِ من جميع اعدائهم . وعند ما تغلَّب الشيطان العدوُّ العظيم على الانسان واسقطهُ تولَّى المسيح امر مقاومتهِ وقهرهِ . ومن ذلك الوقت شرع في كيد هذا العدوِّ الخبيث المارد وتعيَّن ان يكون رئيساً على جنود الرب وراس خلاصهم . ومن ذلك الزمان سُلِّم هذا العالم وكل ما يتعلق بهِ ليد ابن الله . لان الله الآب لم يُرِد عند سقوط الانسان ان يتعاطى امر هذا العالم الذي عصى عليهِ بدون واسطة فاقام وسيطاً لكي يعلِّم الناس بواسطتهِ ويحكم عليهم ويمنحهم البركات

ولذلك عند ما نقرأُ في الكتب المقدسة عما صنع الله في تعاقب الازمنة لاجل كنيستهِ ونرى كيف اعلن لهم نفسهُ ينبغي ان نعلم ان المراد بفاعل هذه الامور هو على الخصوص الاقنوم الثاني من اقانيم الثالوث الاقدس . وعند ما نقرأُ عن ظهور الله بعد السقوط بصورةٍ محسوسة او اشارةٍ خارجية الى حضورهِ يكون المراد غالباً ابن الله . وعلى ذلك قول يوحنا الله لم يرَهُ احدٌ قط . الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر يو ١ : ١٨ ولذلك دُعي صورة الله غير المنظور كو ١ : ١٥ والمراد بذلك ان الله الآب وان كان لا يُرَى فان المسيح هو صورتهُ التي يُرَى بها

ولم تقع في يد المسيح مناظرة هذا العالم والحكم عليهِ وتدبيرهُ بحسب مقصدٍ من الفداء فقط بل جميع الكون ايضاً من بعض الاوجه . فصارت الملائكة من ذلك الوقت خاضعة لهُ من حيث هو وسيط كما يظهر من الكتب المقدسة

حيث يقال انهم ارواحٌ خادمة في امور الكنيسة

ولذلك يسوغ لنا ان نظنَّ انهُ حالما سقط آدم أُخبرَت الملائكة بان الله اراد ان يفدي الناس الخطاة . وان المسيح صار وسيطًا بين الله والانسان. وانهُ يجب عليهم ان يخضعوا لهُ في وظيفتهِ هذه . وكما ان المسيح من حيث هذه الوظيفة صار ملك السموات والهًا متجسدًا ونورًا وشمس السموات رؤ ٢١: ٢٣ كذلك كان هذا الاعلان في السماء بين الملائكة كانهُ شفق هذا النور هناك . وعند ما صعد المسيح الى السماء بعد آلامهِ وتمجُّدهِ طلعت هذه الشمس في السماء فانما هي الخروف ونور اورشليم الجديدة

(٢) قد تبع ذلك اعلان الانجيل على الارض اول مرَّةٍ بهذه الكلمات المرموز بها عن سحق المسيح راس الشيطان بقولهِ تعالى للحية واضع عداوةً بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها هو يسحق رأسكِ وانتِ تسحقين عقبهُ تك ٣: ١٥ والظاهر ان ارادة الله لفداء الناس الخطاة قد أُعلِنت اولاً في السماء ثم على الارض لان ذلك مما تقتضيهِ اعمال الملائكة اذ هم ارواحٌ خادمة للوسيط . لانهُ اذ شرع المسيح في وظيفة الوساطة لزم ان تكون الملائكة مستعدَّةً في الحال لتخدمهُ في هذه الوظيفة . فيكون النور قد اشرق اولاً في السماء ثم بعد قليلٍ أُعلِن ذلك على الارض . ثم ان في كلمات الله هذه اشارةً الى اقامة ضمين آخر للانسان بعد انقطاع الضمين الاول وكانت هذه الكلمات اول اعلانٍ لعهد النعمة واول طلوع نور الانجيل على الارض

ولا يخفى انهُ قد كان لهذا العالم قبل السقوط اعظم ما يكون من النور في معرفة الله ومجدهِ وكرمهِ . ولكن حالما سقط الانسان انطفأ هذا النور جميعهُ وعاد العالم الى ما كان عليهِ من الظلام الشديد الذي يفوق الظلمة التي كانت على وجه الغمر تك ١: ٢ بما لا يقاس . وعجزت الناس والملائكة عن وجود طريقةٍ لازالة هذه الظلمة . فامتدَّ الظلام امتدادًا عظيمًا لما رأى آدم وامرأتهُ انهما عريانان وخاطا ورق التين لاستتارهما بهِ لما كانا مختبئين بين الاشجار اذ سمعا

صوت الرب وهو يتمشى في الفردوس . ولا ريب انهما اضطربا خوفًا وخجلاً اذ دعاهما تعالى الى الحساب فقال لآدم ماذا فعلت . هل اكلت من الشجرة التي امرتك ان لا تاكل منها . وقد كان قولهُ تعالى للحية كما ذكرنا اول انفجار صبح الانجيل على تلك الظلمة الهائلة . فانهُ لم يكن قبل ذلك شيءٌ من النور ولا الرجاء ولا السلوى . وكان هذا الكلام اعلانًا جامعًا لمواعيد الانجيل ولو كان رمزًا خفيًا. نعم ان الخطاب لم يكن لآدم ولا لحوّاء ولكن كان متضمنًا في خطابهِ تعالى للحيّة

ثم انهُ قد كان في قولهِ تعالى نسل المرأة اشارةٌ صريحة الى غايةٍ رحيمة كانها انفجار النور في المشرق عند طلوع النهار . وهذه الاشارة الى الرحمة قد ظهرت لآدم وحوّاء قبل نزول الحكم عليهما رقّةً ولطفًا لئلاَّ ينزعجا بسبب حكم الدينونة وها لا ينظران بابًا للرجاء

وفي هذهِ الآية اشارةٌ اخرى صريحة الى مقصدٍ من مقاصد عمل الفداء العظيم وهو ان الله يخضع اعداءهُ تحت قدمي ابنهِ فانها اول اعلانٍ في ذلك . وربما فرح الشيطان فرحًا عظيمًا بسقوط الانسان كانهُ ابطل ما قصدهُ تعالى من خليقتهِ فصرّح لهُ الله في هذه الآية بان العاقبة لا تكون مسرّةً لهُ بل ان نسل المرأة يظفر بهِ ويقهرهُ

وكان هذا الاعلان بالانجيل اول شيءٍ صنعهُ المسيح في وظيفتهِ النبوية . واذ كان الله من سقوط الانسان الى تجسد المسيح يصنع الاشياء المهيئة لمجيء المسيح وعملهِ الفداء وكانت اشاراتٍ سابقة وعربونًا لهُ. وكان من ذلك الانذار والوعد بهِ كما صنع في الازمنة المتوالية الى ان جاء المسيح . واذ ذاك تضمنت هذه الآية الوعد الاول والانذار الاول بهِ

(٢) قد فُرِضَت حالاً بعد ذلك سُنَّة تقديم الذبائح لتكون رمزًا دائمًا الى ذبيحة المسيح التي هي عبارةٌ عن مجيئهِ وتقديم نفسهِ ذبيحةً لله . ولم تُفرَض الذبائح اولاً في شريعة موسى كما يظنُّ البعض لانها كانت جزءًا من عبادة الله

التي وضعها منذ البدء . وعلى ذلك نرى في الكتاب ان هابيل ونوحًا والآباء ابرهيم واسحق ويعقوب قدموا ذبائح ولكن كان ذلك برسم الهي لانهُ كان جزءًا من عبادة الله في كنيستهِ المتقدمة بالايمان والمقبولة عندهُ . وذلك دليلٌ على انهُ تعالى وضع الذبائح لان العبادة الطبيعية لا تعرفها . على انهُ اذ كان نور الطبيعة لا يعلم الناس تقديم الحيوانات ذبيحةً لله وشريعة الطبيعة لا تأمر بذلك يلزم ان يكون قد وضعها الله بامر خصوصي لكي تكون مقبولةً عندهُ لان الله قد اشهر غضبهُ على العبادة الناتجة عن تعليم الناس من غير ارادتهِ بقولهِ لان هذا الشعب قد اقترب اليَّ بفمهِ واكرمني بشفتيهِ واما قلبهُ فابعدهُ عني وصارت مخافتهم مني وصية الناس معلَّمةً اش ٢٩ : ١٣ هذا وان العبادة غير المؤسَّسة على رسم الهي لا يمكن ان تتقدَّم بالايمان لانهُ لا يوجد اساس للايمان حيث لا يوجد رسم الهي . واذ لا يصح للناس ان يرجوا القبول عند الله فيما لم يضعهُ تعالى ولم يَعِد بقبولهِ ينتج ان سنَّة تقديم الذبائح لله وُضِعت حالاً عند السقوط . لان الكتاب يقول ان هابيل قدَّم ابكار غنمهِ وسمانها تك ٤ : ٤ وان الله قَبِل تقدمتهُ هذه عب ١١ : ٤ ثم انهُ لا يوجد في خبر هابيل اشارةٌ الى ان تقديم الذبائح قد وُضِع اولاً عند ما قدَّم ذبيحتهُ لله ولكن الظاهر انهُ قد تبع في ذلك عادةً مألوفة

ولا يبعد عن العقل ان الله وضع الذبائح عندما اعلن عهد النعمة تك ٣ : ١٥ على انهُ اساسٌ بُنِيت عليهِ هذه العادة . فيكون الوعد هو الحجر الاول في بناء عمل الفداء العظيم ثم تلاهُ وضع الذبائح حجرًا ثانيًا ليكون رمزًا للذبيحة العظيمة

ثم يقول الكتاب بعد ان ذكر حكم الله على الحية والمرأة والرجل ان الله صنع لهما اثوابًا من جلودٍ فكساهما . وقد ذهب الجمهور الى ان هذه الجلود كانت جلود الحيوانات المذبوحة لله . لاننا لا نسمع بالسبب الداعي الى ذبح الانسان للحيوانات على غير ارادة تقدمتها لله الاَّ بعد الطوفان . اذ لا يخفى انهُ لم تسبق العادة في اكل الانسان لحوم الحيوانات الاَّ بعد الطوفان . وقد كان طعام الانسان قبل السقوط اثمار شجر الفردوس وبعد السقوط غلات الحقل . وعلى

ذلك قولهُ تعالى وتأكل عشب الحقل تك ٣ : ١٨ ولم يمنحهُ تعالى اكل اللحوم الاَّ بعد الطوفان كما نرى في تك ٩ : ٣ كل دابَّة حية تكون لكم طعامًا

واذ ذاك يترجح الظنُّ ان الجلود التي اكتسى بها آدم وزوجتهُ كانت جلود الحيوانات التي قدَّماها ذبيحةً لله . ثم ان في الباسهِ تعالى اياهما اثوابًا يستتران بها اشارة واضحة الى الباسهِ اياها برَّ المسيح فانهما لم يحصلا على هذا اللباس بتعبهما ولكن الله اعطاهما اياهُ لانهُ قبل ان الله صنع لهما اثوابًا من جلودٍ وكساهما كما ان انفسهما العريانة تكتسي ببرٍّ ليس لنا ولكن بالبر الذي من الله

ان ابوينا الاولين اذ كانا عريانين اكتسيا بواسطة ذبح الحيوانات . هكذا المسيح لكي يكسو انفسنا العريانة ذاق الموت لاجل الجميع . وقد كانت خيمة الاجتماع التي كانت رمزًا للكنيسة مجلَّلةً بجلود التيوس المصبوغة باللون الاحمر كانها مخضبة بالدم اشارةً الى ان المسيح اصطنع برَّهُ بواسطة آلام الموت الذي بهِ سفك دمهُ الكريم

وقد تقدمنا سابقًا فقلنا ان النور الذي تمتعت بهِ الكنيسة من سقوط الانسان الى مجيء المسيح كان النور الذي يأتينا في الليل ليس من نور الشمس الآتي منها مستويًا بل بواسطة انصدامهِ من القمر والنجوم . فكان هذا النور رمزًا الى المسيح شمس البر المزمعة ان تطلع وكان هذا النور يأتيهم خصوصًا على طريقين احدهما النبوات عن المسيح العتيد ان يأتي والثاني الرموز والاشارات الدالة على مجيئهِ والفداء الذي يصنعهُ . فاول امرٍ صُنع لتمهيد الطريق للمسيح على الطريقة الاولى كان هو الوعد المذكور آنفًا . واول امرٍ من الطريق الثانية وكان وضع الذبائح . وكما ان الوعد المذكور في سفر التكوين ٣ : ١٥ كان اول طلوع نور الانجيل بعد السقوط بواسطة النبوة كذلك كان وضع الذبائح هو الاشارة الاولى الى ذبيحة المسيح بواسطة الرموز . فالاول كان يشير الى المسيح من حيث هو نبيٌّ . والثاني يشير اليهِ من حيث هو كاهن

وكان وضع الذبائح امرًا عظيمًا في تمهيد الطريق لمجيء المسيح وعمل الفداء

لان ذبائح العهد القديم كانت اخصّ رموزهِ على المسيح وما عملهُ من الفداء وكانت ايضًا مما تقرَّر عند كنيسة الله المنظورة من وجوب تقديم ذبيحة كفّارة عن الخطية ليرضى بهـا تعالى عن الخطاة وبحسب ذلك تمهَّد الطريق لقبول الانجيل الشريف الذي يعلن الذبيحة العظيمة ليس للكنيسة المنظورة فقط بل لجميع العالم ايضًا . لان جميع القبائل اخذوا عادة تقديم الذبائح لآلهتهم كفارةً عن خطاياهم من فرضهِ تعالى ذلك على شعبهِ . فلا يوجد قومٌ في اي درجةٍ كانوا من التوحش الاَّ وعندهم هذه العادة . فذلك دليلٌ قاطعٌ على صحة الديانة التي أُوحي فيها بكتاب الله . لانهُ ما عدا اليهود لا تستطيع طائفةٌ ان تخبر عن مصدر هذه العادة او عن الغرض المقصود من تقدمة الذبائح لان النور الطبيعي لا يعلّمهم شيئًا من ذلك اذ لم يعلّمهم ان الآلهة جياعٌ فيجب عليهم ان يطعموها اللحوم التي احرقوها بعد ذبحها . ومع ذلك كانت هذه العادة عندهم اجمعين ولا يوجد وجه لادخالها الاَّ انهم اخذوها عن نوح وهو اخذها عن سلفائهِ الذين فرضها الله عليهم بناء على انها رمزٌ لذبيحة المسيح العظيمة . وبهذه الواسطة تقرَّر في عقول جميع الطوائف انهُ لابد من كفارةٍ او ذبيحةٍ عوضًا عن الخطية فصار ذلك مدخلاً لقبولهم تعليم الانجيل في كفّارة المسيح وذبيحتهِ

(٤) ان الله قد شرع حالاً بعد السقوط في تخليص انفس الناس فعلاً بواسطة الفداء . فاتَّخذ المسيح وظيفة الوسيط التي اخذها على نفسهِ . ومارس في ذلك وظيفة الملك كما أُشير الى وظيفة الكهنوت في الذبائح والى وظيفة النبي في النبوة الاولى عن الفداء . ففي تلك النبوة ابتدأ يظهر نور الفداء الذي صنعهُ المسيح بواسطة النبوات عنهُ . وفي فرض الذبائح ابتدأ يظهر بواسطة الرموز المشيرة اليهِ . وفي تخليصهِ الناس بالفعل ابتدأ يظهر بواسطة اثمارهِ

ولذلك يترجح الظن ان آدم وحواء كانا اول اثمار الفداء . وذلك نظرًا الى تلطف الله بهما لانهُ عزّاهما بعد انتباههما على حالتهما وخوفهما منها . ولما انفتحت اعينهما وخجلا اذ نظرا انهما عريانان فخاطا ورق التين سترًا لعورتهما كما انهُ من

عادة الخاطئ بعد انتباههِ على حالهِ يريد ان يستر عورة نفسهِ بصلاح يتوهمهُ لهُ. ولما سمعا صوت الله مقبلاً ليدينهما اشتدَّ عليهما الخوف والخجل فركضا يستتران بين اشجار الفردوس لان ورق التين لم يقم بسترهما فلم يعتمدا عليهِ ان يسترهما من الله. فلما دعاهما الله الى الدينونة وقفا متحيرين مرتعدين امامهُ وقد أُغلِق باب الرجاء. ورأى تعالى ان يترك امامهما وسيلة للرجاء لئلاَّ ييأسا من الخلاص فاعلن رحمتهُ عن يد مخلِّص قبل ان يصبَّ عليهما الحكم بالعقاب. وبعد ما نطق بالحكم العادل المرهوب عندهما اراهما انهُ لم يتركهما بالكلية بل ترفَّق بهما وستر عريهما باثوابٍ من جلود صنعها لهما وكان ذلك دليلاً على انهُ تعالى قد قبل هذه الذبائح التي من جلودها البسهما الله رمزًا الى وعد الله ان نسل المرأة يسحق راس الحية. والظاهر انهما صدَّقا ذلك الوعد وقبلاهُ بدليل ان حواء قالت لما ولدت قايين اقتنيت رجلاً من عند الرب تك ٤: ١ اي انهُ كما ان الله وعد بان نسلي يسحق راس الحية اعطاني الآن عربونًا على ذلك اذ جاءني النسل. فافرَّت في ذلك بان الله اعطاها ذلك الولد ورجت ان يكون هذا نسلها الموعود بهِ من بكرها. لكنها غلطت في ذلك كما غلط ابرهيم في اسمعيل واسحق في عيسو وصموئيل في بكر يسَّى. وعلى الخصوص نرى رجاءها بوعد الله وانكالها عليهِ ما قالتهُ عند ما ولدت هابيل قائلةً لان الله قد وضع لي نسلاً آخر عوض هابيل لان قايين كان قد قتلهُ تك ٤: ٢٥

وبناء على ذلك يترجح الظن انهُ كما ان المسيح اخذ على نفسهِ عمل الوسيط عندما سقط الانسان كذلك ابتدأ حينئذٍ في عمل الفداء حالاً لان نتيجة انهُ صادم عدوَّهُ العظيم الشيطان الذي تكفَّل بالغلبة عليهِ. فخلَّص هذين الاسيرين الاولين من يدهِ والقاهُ صريعًا بعد غلبتهِ عليهما واسرهِ لهما. ومع انهُ كان قد طمع انهُ انجز امرهما واقتنص جميع ذريتهما ايضًا اراهُ المسيح الفادي انهُ قد وهَم في ظنهِ حين انقذهما من اسرهِ وبيَّن لهُ بعض ما تضمنتهُ اللعنة المستفادة من قولهِ ونسل المرأة يسحق راس الحية. واراهُ ان هذا الانقاذ كان دليلاً على اخضاع

جميع اعدائهِ تحت قدميهِ

ثم اننا نرى بعد ذلك اثمار الفداء في ابنها هابيل الذي دُعي في الكتب المقدسة صدّيقًا. فانهُ ربما كانت نفسهُ اول نفس صعدت الى السماء بواسطة الفداء الذي اصطنعهُ المسيح لانهُ اول ما ذُكِر في الكتاب انهُ مات مفديًّا واذا كان ذلك كذلك فكما ان برَّ الفداء كان في ترجيع انفس الناس وتبريرهم هكذا كان هابيل اول الذين تمجّدوا بواسطة الفداء . وعند ذلك شرع الملائكة في خدمة المسيح اذ اخذوا نفس هابيل الى المجد الابدي . وكانت تلك النفس اول نفسٍ رأوها من الجنس البشري الساقط الذي هوى في وهدة الخطية قد دخلت السماء وتمتّعت بالمجد السموي . فكان ذلك عندهم اعظم مما لو رأوا هابيل قد رجع الى الفردوس الارضي . ومن ذلك رأوا نتيجة الفداء العظيمة في حصول اهل الخطية والشقاء على المجد والسعادة

(٥) ان الفيض الروحي كان العمل التالي في تكميل الفداء بواسطة المسيح في ايام انوش وتابعًا لما عملهُ الله من هذا العمل الجليل لانهُ قيل في تك ٤: ٢٦ حينئذٍ ابتُدِئَ ان يُدعى باسم الرب

وقد اختلف العلماء في معنى هذه الآية فمنهم من قال ان المراد بها الزمان الاول الذي ابتدأ الناس فيهِ يصلّون لله وذلك لا يصحُّ لان الصلاة من واجبات الديانة الطبيعية والروح التقويُّ لا بد ان يهدي الناس اليها . واذا كانت الصلاة هي نفس ما يقوم بهِ الروح التقويُّ فلا يصحُّ ان نظنَّ ان اهل التقوى لبثوا اكثر من مئتي سنة بغير صلاة. ولذلك ذهب بعض العلماء الى ان المراد هو العبادة الجمهورية اي اجتماع الناس في لمعابد للصلاة . ولكن كيفما كان ذلك لا بدَّ من انهُ كان شيئًا جديدًا في كنيسة الله المنظورة من حيث الدعاء باسم الرب وانهُ كان زيادةً عظيمة في الصلاة وان الناس بلغوا فيها درجة لم يبلغوها قبلاً بوجهٍ من الوجوه . ولا بد ان يكون ذلك قد حصل من فيض روح الله على نوعٍ عجيب

ثم اذ كان هذا الزمان هو الزمان الاول الذي تحرك فيهِ الناس للاجتماع والمساعدة في طلب وجه الله على غير عادتهم فذلك دليل على انهُ كان لذلك سببٌ عظيمٌ وهو فيضان روح الله الذي تلازمهُ دائمًا كثرة الصلاة . لان روح الله متى انشأ عملاً في قلوب الناس يميل قلوبهم الى الدعاء باسم الرب فالذي قيل عن بولس بعد ما حرَّكهُ روح الله (لانهُ هوذا يصلّي) نراهُ في كل الذين حلَّ عليهم روح الله المذكورين في الكتب المقدسة اي انهم يلازمون الصلاة . وقد تنبأ نبي الله ان الروح القدس يُفاض لكي يكون روح النعمة والتضرعات زك ١٢ : ١٠ وعلى ذلك قول النبي صف ٣ : ٩ لاني حينئذٍ احول الشعوب الى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوهُ بكتفٍ واحدة

ثم ان المراد بقولهِ ابتدأ الناس يدعون الى آخرهِ هو ان ذلك الزمان كان الزمان الاول الذي اشتهر فيهِ ذاك وكان بداءة عمل الله في فيضان الروح على هذا النوع العجيب هو الاجتماع الجمهوري

فنقول انهُ من سقوط الانسان الى يومنا هذا قد جرى هكذا عمل الفداء نظرًا الى اثمارهِ غالبًا بواسطة فيض روحهِ تعالى على نوعٍ عجيب . نعم ان مواهب الروح القدس ترافق رسومهُ تعالى دائمًا الى درجةٍ ما . ولكن الطريقة التي تمَّ بها اعظم الاشياء في اجراء هذا العمل كانت هي الفيض العظيم الواقع في ازمنة الرحمة الخصوصية كما سترى . فما كان من ذلك في ايام انوش هو الفيض الروحي الاول الذي اشتهر وذُكر في الكتاب . نعم قد سبق ذلك عمل الله المنفذ في قلوب بعض الناس قبلاً ولكن الآن اراد الله ان يأتي بجمهورٍ عظيم من الانفس الى السيد المسيح . فنرى في ذلك ان البناء العظيم الذي وضع الله اساسهُ بعد السقوط حالاً قد زاد وارتفع اكثر ما كان

(٦) فالشيء الذي ورد بعد هذا في تكميل عمل الفداء هو سيرة اخنوخ المشهورة بالبرّ والاستقامة . لان عندنا من الدلائل ما يشهد لهُ انهُ كان فائقًا بالتقوى على كل من تقدَّمهُ من الصالحين . وعلى ذلك يكون عمل الفداء قد

وصل الى درجةٍ اعلى . اما من جهة اثمار هذا الفيض في الكنيسة المنظورة بوجه العموم فقد سبق الكلام ان ذلك بلغ في زمان انوش الى درجةٍ لم يبلغ اليها قبلاً . وربما كان اخنوخ من اهل ذلك الحصاد الروحيّ لان زمان حياتهِ على الارض كان في ايام انوش . واما من جهة الدرجة التي وصل اليها هذا العمل في نفس خصوصيتهِ فقد كانت في اخنوخ ابلغ مما كانت في الذين تقدموهُ . واذ بُنيت على المسيح بُنيت على درجةٍ من القداسة لم يبلغ اليها احدٌ قبلهُ فكان عبرةً ظاهرةً لفداء المسيح وقوّة نعمتهِ

(٧) قد اعلن الله في ايام اخنوخ مجيءَ المسيح باجلى بيانٍ فوق ما اعلنهُ قبل ذلك وعلى ذلك قول يهوذا الرسول وتنبأ عن هولاء ايضاً اخنوخ السابع من آدم قائلاً هوذا قد جاء الربُّ في ربوات قديسيهِ ليصنع دينونةً على الجميع ويعاقب جميع فجورهم على جميع اعمال فجورهم التي فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليهِ خطاةٌ فجّار يه ع ١٤ و١٥ والظاهر ان هذه النبوة لا تنحصر في مجيءٍ خصوصي للمسيح بل تتعلق بوجه العموم على مجيءِ المسيح في ملكوتهِ وتمامها يكون في مجيئهِ الاول والثاني . نعَم حتى ان المسيح اعلن نفسهُ بهِ اعلانًا ظاهرًا في العالم لخلاص شعبهِ وهلاك اعدائهِ . ومن هذا القبيل تشبه هذه النبوةَ نبواتٌ أُخر كثيرة في العهد القديم وعلى الخصوص تلك النبوة العظيمة المذكورة في دانيال عن مجيءِ المسيح في ملكوتهِ التي اخذ اليهود منها افكارهم عن ملكوت السماء . وهي قولهُ نهر نار جرى وخرج من قدامهِ . الوف الوف تخدمهُ وربوات ربوات وقوف قدامهُ . فجلس الدين وفُتحت الاسفار دا ٧ : ١٠ . وقولهُ ايضًا كنت ارى في رُؤَى الليل واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان اتى وجاء الى القديم الايام فقرّبوهُ قدامهُ فأُعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبّد لهُ كل الشعوب والامم والالسنة سلطانهُ سلطان ابدي ما لن يزول وملكوتهُ ما لا ينقرض ع ١٣ و١٤ نعم انهُ يمكن ان يريد اخنوخ في نبوتهِ هلاك العالم بالطوفان على الخصوص .. ولا يُنكَر ان ذلك كان شبيهًا بابادة المسيح جميع اعدائهِ عند

مجيئهِ الثاني ولكن لا ريب انهُ اراد ايضًا حقيقة هذا الرمز

وكما ان هذه النبوة عن مجيء المسيح كانت اصرح مما سبقها من النبوات كذلك كانت ايضًا اظهار زيادة نور الانجيل الذي بدأ يطلع حالاً بعد السقوط

ثم ان امتداد نور الانجيل وتقدُّم عمل الفداء في الكنيسة بالنظر اليهما على وجه العموم من بدايتها الى نهاية العالم يشبهان تقدُّم ذلك العمل وذلك النور في الانسان من بداءة رجوعها الى الله حتى تلبس الكمال والمجد . فتارةً يضيء النور بضياء ساطع وتارةً بضياء ضعيف . وتارةً تكثر النعمة وتارةً تقلُّ الى مدة طويلة متتابعة . ومرَّةً يغلب عليها الفساد ثم ترجع الى الصلاح ولكنها بالاجمال تنمو من بدايتها الى كمالها بالمجد وهكذا يُبنَى ملكوت المسيح في النفس . فذلك نظير عمل الفداء العظيم على الاجمال لانهُ يدوم من اوَّل بدايتهِ الى ان يكمل عند نهاية العالم

(٨) فالقضية العجيبة التالية في اتمام عمل الفداء هي نقل اخنوخ الى السماء كما يبان في سفر التكوين حيث يقول وسار اخنوخ مع الله ولم يوجد لان الله اخذهُ تك ٥ : ٢٤ ولذلك لم يذكر موسى في ترجمة الذين كانوا من سلالة نوح ان اخنوخ عاش كذا ثم مات كما ذكر عن غيرهِ بل قال ولم يوجد لان الله اخذهُ اي نقلهُ بجسدهِ حيًّا الى السماء كما يظهر ذلك من قول بولس الرسول بالايمان نُقِل اخنوخ لكي لا يرَى الموت عب ١١ : ٥ وبذلك بلغ عمل الفداء درجةً لم يبلغها قبلاً من وجوهٍ عديدة

ثم اذ كنا في شان الامور العظيمة المقصودة بعمل الفداء ذكرنا منها بناء الخراب الذي حصل من السقوط من جهة المنتخبين جسدًا ونفسًا . ولا يخفى ان انتقال اخنوخ كان المثال الاول في ترجيع خراب السقوط من جهة الجسد . نعم انهُ قد سبق ذلك ترجيع نفس الانسان بواسطة الفداء ولكن لم يسبقهُ شيء من فداء الجسد وتخليصهِ بالفعل . ولا ريب انهُ في نهاية العالم لا بُدَّ ان تندى

جميع اجساد الاطهار ايضًا بالفعل فالتي كانت قد ماتت تُفدَى بالقيامة والتي تكون حيةً تُفدَى بتغييرها الى حالةٍ مرضية . وقد اقام الله كثيرًا من اجساد الاطهار ومجّدها عند قيامة المسيح . وكان قبل ذلك قد مجّد جسد ايليا ولكن اول مثال كان انتقال اخنوخ

فتعاظم بذلك عمل الفداء لانهُ تعالى زاد الكنيسة من نور الانجيل والاعلان الصريح عن الآخرة وجزاء الاطهار العظيم في السماء كما قال بولس الرسول ٢تي ١:١٠ المسيح انار الحياة والخلود بواسطة الانجيل فما قيل في العهد القديم عن الآخرة نجدهُ خفيًا بالنسبة الى ما أُعلِن عنها في العهد الجديد . ومع ذلك قد انعم تعالى على كنيستهِ في ذلك الزمان القديم بالبينة الصريحة على حقيقة الآخرة حتى ارتقى واحد منهم الى السموات من غير ان يموت . والظاهر ان ذلك كان معلومًا عند شعب الله كما تقرَّر عندهم بعد ذلك بانتقال ايليا . وكما كان ذلك اعلانًا عن الآخرة اجلى مما كان قبلاً كذلك كان عربونًا لتمجيد جميع الاطهار المزمع الذي قصدهُ الله بالفداء

(٩) القضية التالية التي نذكرها كانت حفظ كنيسة الله في العشيرة التي جاء منها المسيح سالمةً من الفساد العمومي الذي حدث قبل الطوفان . وان كنيسة الله على الارجح كانت صغيرة بالنسبة الى ما بقي من العالم منذ الزمان الذي بدأ الناس يكثرون فيهِ او الزمان الذي خرج فيهِ قايين من امام الرب وسكن في ارض نود اي ارض النفي تك ٤:١٦ والظاهر ان الكنيسة دامت في ذرّية شيث خصوصًا لان نسلهُ كان هو الذي اقامهُ الله عوضًا عن نسل هابيل الذي قتلهُ قايين . ولا يحتمل ان نظنَّ ان ذرية شيث كانت اكثر من جزءٍ من خمسين بالنسبة الى اهل العالم لان آدم كان ابن مئة وثلاثين سنة لما ولد شيثًا . ولكن قايين الذي كان رئيس الخارجين عن الكنيسة كان بكر آدم وربما وُلِد على اثر السقوط الذي وقع بعد خلق آدم بقليل من الزمان فيحتمل ان يكون لقايين زمان يلد فيهِ كثيرا من البنين قبل ولادة شيث فضلاً عن اولاد آخرين

يمكن ان يكونوا قد وُلدوا لادم وحوّاء قبل ذلك حسب بركة الله عليهما بقولهِ اكثروا وانموا واملأوا الارض

وربما وُلِد لهولاء الاولاد اولادٌ آخرون ايضًا . ان قصة قايين قبل ان وُلِد شيث تشعر بانهُ كان جمع كثير من الناس على الارض لقولهِ انك قد طردتني اليوم عن وجه الارض ومن وجهك اختفي واكون تائهًا وهاربًا في الارض فيكون كل من وجدني يقتلني . فقال لهُ الرب لذلك كل من قتل قايين فسبعة اضعاف يُنتقَم منهُ . وجعل الرب لقايين علامةً لكي لا يقتلهُ كل من وجدهُ تك ٤ : ١٥ . هذا وان جميع الذين كانوا على الارض حينما وُلد شيث لابد ان تكون لهم فرصة في تكثير ذريتهم مثلهُ . فبناء على ذلك يترجّح ان ذرية شيث كانت جزءًا يسيرًا من اهل العالم

ولكن بعد ايام انوش واخنوخ نقصت كنيسة الله جدًّا لان كثيرين من نسل شيث الذين وُلدوا في كنيسة الله سقطوا واتحدوا مع الخطاة ولاسيما بمخالطة الزواج . وعلى ذلك قولهُ لما ابتدأ الناس يكثرون على الارض ووُلد لهم بنات . ان ابناء الله رأَوا بنات الناس انهنَّ حسنات . فاتخذوا لهم نساء من كل ما اختاروا تك ٦ : ١ و ٢ . وكانوا جبابرة في تلك الايام على الارض وايضًا بعد ذلك حينما دخل ابناء الله على بنات الناس وولدنَ اولادًا هولاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم تك ع ٤

فلا ريب ان المراد هنا ببني الله بنو الكنيسة لانهم يُلقَّبون كثيرًا بهذا الاسم في الكتب المقدسة . ولما تزوجوا من الخطاة وزوَّجوهم انحرفت قلوبهم عن الله وصار النقص فيهم عظيمًا يتقدم في الزيادة . والكنيسة التي كانت حاجزًا للخطاة نقصت جدًّا فزادت الخطية وهاج ابليس الذي جرَّب ابوينا الاولين واقام نفسهُ اله هذا العالم . فصارت جميع افكار قلب الانسان شرًّا في كل حين وامتلأ العالم من المعاصي فكأنَّ الخطية غمرتهُ حينئذٍ كما غمرتهُ مياه الطوفان بعد ذلك وغاص الجنس البشري فيها . وعند ذلك وثب الشيطان على كنيسة الله

بضربةٍ قاتلة فدفع عنها تعالى وابقى الذرية التي جاء المسيح منها مصونةً من ارتكاب المعصية فلم يسمح بهلاكها لان البركة كانت فيها . وكان الرب الفادي تلك الذرية مزمعًا ان يخرج منها لانهُ كانت عائلة خصوصية التي هي الاصل الذي منهُ يخرج فادي العالم العظيم فحفظ الله ذلك الاصل حيًّا بقدرتهِ الباهرة ونعمتهِ الفادية بحيث ابواب الجحيم لم تستطع ان تقوى عليهِ

وها قد بيَّنَّا كيف اجرى الله عمل الفداء في الملة الاولى من سقوط الانسان الى مجيء الطوفان على الارض ومع كون التاريخ الموسوي عن هذه الملة قصيرًا جدًّا نجدهُ جامعًا مفيدًا في الغاية لاننا نرى منهُ فاعلية الفداء التي فعلها الله قبل ظهور المسيح بأجيالٍ عديدة

الفصل الثاني

من الطوفان الى دعوة ابرهيم

فلنتقدم الآن الى بيان اجراء عمل الفداء في الملة الثانية من الطوفان الى دعوة ابرهيم . فنقول ان الطوفان العام وان كان اخرب العالم لم يخرب عمل الفداء الذي بناهُ الله . ولكن عوض الخراب قد نما هذا العمل وزاد استعدادًا بمجيء المخلص العظيم الى العالم لاجل فداء شعبهِ

(١) كان الطوفان نفسهُ من اعمال الله المتعلقة بهذا الغرض العظيم وما يؤول الى نجاحهِ . واذا نظرنا الى اعمال الله العظيمة التي جرت من السقوط الى نهاية العالم على ما يجب تظهر لنا اجراء لهذا العمل العظيم كانها درجاتٌ في تقدمهِ . ولا ريب ان الطوفان بما انهُ من الاعمال العظيمة العامَّة لا بد ان

يكون من جملة هذه الاجزاء . لان الله بواسطتهِ رفع الاعداء والموانع المعارضة لهذا العمل

والظاهر ان الشيطان كان قبل الطوفان في غضبٍ شديدٍ خاصةً على كنيسة الله ليهلكها لان ذلك دائمًا من دأبهِ . وكان قد ملأ العالم ظلمًا وغضبًا عليها فكان قد جذب اكثر الناس ليكونوا جنودًا لهُ ضد المسيح وكنيستهِ . وعلى ذلك قولهُ وامتلأت الارض ظلمًا . ولا ريب ان هذا الظلم كان ولاسيما على الكنيسة انمامًا لقول النبوة وأضع عداوةً بينكِ وبين نسلها . وكانت اعداء الكنيسة عديدةً بهذا المقدار لان العالم كلهُ كان ضدها . وقد بلغت عداوة هولاء الاعداء وظلمهم الى الغاية القصوى حتى وصلت الكنيسة الى غاية ما يكون من الضعف والعجز ولم ينفع وعظ نوح وانذارهُ من غضب الله . وكان روح الله قد اجتهد فيهم مئة وعشرين سنة فذهب اجتهادهُ بدون فائدة . ولذلك انحصرت الكنيسة في دائرةٍ ضيقة بحيث وُجِدت في اهل بيتٍ واحد . وعلى ذلك لم يبقَ الاَّ ان يبتلعوا الكنيسة حالاً وبذلك يهلكون ذاك الاصل الصغير الذي كانت فيهِ البركة اعني الذي جاء منهُ فادي الجنس البشري

وبحسب ذلك يكون اهلاك الله لهولاء الاعداء بواسطة الطوفان متعلقًا بعمل الفداء . لان ذلك كان جزءًا ما تمَّ من عهد النعمة على ما أُعلِن لآدم من قولهِ تعالى وأضع عداوةً بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها فهو يسحق راسكِ . ولقد كان الطوفان هلاك نسل الحية وهم مشتغلون بالغضب الشديد على نسل المرأة في ساعة الخطر الشديد

وقلَّما نقرأُ في الكتاب عن هلاك بعض القبائل الاَّ وتكون عداوتهم واضرارهم لكنيسة الله من الاسباب العظيمة المحركة لذلك . ولا ريب ان ذلك كان سببًا عظيمًا لهلاك جميع القبائل بالطوفان . والجبابرة المشهورون في تلك الايام كان اكثر شهرتهم بواسطة افعالهم الباهظة ضد المسيح وكنيستهِ التي اشتملت على الذين لم يشاركوا الآخرين في الفساد

قد قيل في كتاب الله انهُ قبل ان تحترق الدنيا بالنار تجتمع القبائل الذين في اربع زوايا الارض ضد الكنيسة وهم كرمل البحر ويطلعون على ساحة الارض ويحيطون بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة وتنزل نارٌ من السماء من عند الله فتأكلهم رؤ ٢٠ : ٨ الى ١٠ . فالظاهر ان حال العالم قبل الطوفان كان شديد المشابهة لهذا الوصف . ولذلك يكون هلاكهم من اعمال الله المتعلقة بعمل الفداء كما ان هلاك المصريين كان متعلقًا بخلاص بني اسرائيل من مصر . وكما ان هلاك جيش سنحاريب العظيم الذي احاط باورشليم ليخربها كان متعلقًا بتخليص الله هذه المدينة منهم

وبهذا الطوفان هلك دفعةً واحدةً جميع اعداء كنيسة الله الذين لم تستطع هذه الشرذمة الصغيرة ان تقاومهم . لان الله انتصر لهم وقام ضد اعدائهم وغرّق الذين كانوا يخافون منهم في هذا الطوفان كما غرّق اعداء بني اسرائيل الذين تبعوهم في البحر الاحمر

نعم ان الله كان يقدر ان يستعمل طرقًا اخرى لخلاص كنيستهِ كهداية الناس عوض ان يغرّقهم . وكذلك كان يقدر ان يستعمل طريقًا غير تغريق المصريين في البحر الاحمر . ولكن جميع ذلك لا يدلُّ على ان الطريقة التي استعملها لم تكن مما يظهر بهِ رحمتهُ على شعبهِ

وبواسطة الطوفان ايضًا خرج اعداء شعب الله عن املاكهم وأُعطيت الارض لنوح واولادهِ ليملكوها بالسلامة كما اعطى تعالى بني اسرائيل ارض كنعان باخراجهِ اعداءهم منها . وانما اخذ الله املاك اعداء كنيستهِ واعطاها جميعها لشعبهِ اتمامًا لوعد النعمة المذكور في مز ٣٧ : ٩ الى ١١ بقولهِ لان عاملي الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الارض . بعد قليل لا يكون الشرير تطّلع في مكانهِ فلا يكون . اما الودعاء فيرثون الارض ويتلذذون في كثرة السلامة

(٢) كان مما يتعلّق بهذا العمل ان الله حفظ العشيرة التي جاء منها فادي البشر على نوعٍ غريب عند ما غرّق جميع الناس . فكان تغريق الله العالم

وتخليصهُ نوحًا واهل بيتهِ راجعًا الى هذا العمل العظيم وذلك من وجهين لان الفادي كان مزمعًا ان يخرج من هذه العائلة وكما ان هذه العائلة هي الكنيسة التي افتداها فكانت جسد المسيح السرّي الذي خلّصها وكان خلاصهم اذ هلك جميع الناس عجيبًا جدًّا . وكان ايضًا رمزًا جليًّا عن الفداء المختوم بمعمودية الماء الذي ورد عنهُ في العهد الجديد قول بطرس الرسول اذ عصت قديمًا حين كانت اناة الله تنتظر مرَّةً في ايام نوح اذ كان الفلك يُبنَى الذي فيهِ خلص قليلون اي ثماني انفس بالماء . الذي مثالهُ يخلصنا نحن الآن اي المعمودية لا ازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح ابط ٣: ٢٠ و ٢١ . فالماء الذي غسل وسخ العالم وطهَّرهُ من الخطاة كان رمزًا عن دم المسيح الذي يرفع خطية العالم . وذلك الماء الذي خلص نوحًا وبنيهِ من اعدائهم كان رمزًا عن الدم الذي يخلص كنيسته من اشدّ اعدائهم . وذلك الماء الذي ملأَ العالم لكثرتهِ وغمر رؤوس اعلى الجبال كان رمزًا عن الدم الكافي لجميع العالم والغامر اعلى جبال الخطية . والفلك الذي كان ملجأً للكنيسة في زمان الطوفان كان رمزًا عن المسيح ملجأ الكنيسة الحقيقي من طوفان غضب الله

(٣) الامر الثالث الذي كان مما يتعلق بعمل الفداء هو انعام الله بالارض على نوح وبنيهِ حالاً بعد الطوفان بناء على عقدِ عهد النعمة . والمذبح الذي بناهُ نوح للرب والذبيحة التي قدَّمها من البهائم والطيور الطاهرة كانا اشارةً الى ذبيحة المسيح . ولما قبل تعالى تلك الذبيحة بارك نوحًا وتعهد لهُ ولنسلهِ ان لا يهلك الارض بعد ذلك بالطوفان دلالة على ان نعمة الله تأتي بواسطة ذبيحة المسيح بحيث يكون شعبهُ سالمًا من انصبات المهلكة ومتمتعًا برضوان ربهِ . واذ قدَّم نوح هذه الذبيحة انعم الله عليهِ وعلى ذريتهِ بالارض فخوَّل الانسان سلطانًا جديدًا على المخلوقات بناء على تلك الذبيحة التي بني عليها عهد النعمة . وبحسب ذلك يكون هذا الانعام هبةً ممتازة عن الهبة التي انعم الله بها على آدم اذ باركهم وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر

وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الارض تك ١:٢٨. لان هذا الانعام لم يكن مبنيًا على عهد النعمة اذ أُعطي لآدم لما كان تحت عهد الاعمال فيكون قد بطل عند بطلان هذا العهد وسُلبت الارض من الناس لانهم لم يقوموا بالعهد الذي بُني عليهِ ذلك الانعام والله لم يجدّدهُ الاَّ بعد الطوفان . ولو لم يُنقَض العهد الاول لما غرّق الله العالم ونزعهُ من يد الانسان بل كان الانعام الاول باقيًا ولكن لما انتقض العهد اهلك الله الارض بعد ذلك عند ما عظم شرُّ الانسان

ولما قدَّم نوح بعد الطوفان تلك الذبيحة التي تشير الى ذبيحة المسيح وقبلها لانها كانت اشارةً الى ذبيحة المسيح الحقيقية المقبولة عند الله انعم على نوح بملك الارض هبةً جديدة مبنية على عهد النعمة الذي انعقد بواسطة ذبيحة المسيح مصحوبةً بوعد ان لا يهلك الارض بعد ذلك الى نهاية جميع الاشياء تك ٨:٢٠ الى ٢٢ و٩:١ و٢ و٣ و٧. وكان السبب في اضافة هذا الوعد الى الهبة التي انعم الله بها على نوح ان ذلك كان مبنيًا على عهد النعمة الذي لا يمكن نقضهُ لان المسيح كان كفيلاً بهِ . ولذلك مع كثرة شرور الناس في هذه الايام وامتلاء الارض من الظلم والطغيان وازدياد الخطية باعتبار زيادة النور والرحمة بعد نزول الانجيل لم يزل الله صبورًا لا يهلك الارض لان رحمتهُ وصبرهُ ثابتان عند وعدهِ . ولم تزل الهبة التي اعطاها لنوح وبنيهِ ثابتة صحيحة لانها مبنية على عهد النعمة

(٤) اعاد الله عند ذلك عهد النعمة مع نوح وبنيهِ. فذلك قولهُ ها انا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم ومع كل ذوات الانفس الحية الى آخرهِ تك ٩:٩ و١٠. وانما كان ذلك هو عهد النعمة الذي تعمُّ فائدتهُ حتى تصل الى البهائم اذ بحسبهِ لا يهلك الارض دفعةً ثانية الى نهاية العالم . وعلى ذلك يراد بقولهِ تعالى عهدي في الكتاب غالبًا عهد النعمة . فقولهُ واقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم دليلٌ واضحٌ على ان ذلك الميثاق كان موجودًا وان نوحًا قد

فَهِمَ منهُ عهد النعمة

(٥) وكان مما يتعلق بعمل الفداء تعرُّض الله لبناء مدينة بابل وبرجها. لان الذين ارادوا ان يبنوها انما ارادوا مقاومة عمل الفداء. فكان شروع الناس في هذا البناء ناتجًا عن الفساد الذي سقط فيهِ الجنس البشري حالاً بعد الطوفان وكان الغرض منهُ عندهم مقاومة مدينة الله لان الاله الذي اقاموهُ لهم كان كبرياءهم. واذ تركوا الاله الحقيقي كان صنمهم الاول شهرتهم بين الناس وبما ان بناءهم هذا كان مؤسَّسًا على كبرياء الناس وغرورهم كان مبنيًّا على اساس شديد المنافاة لحقيقة ملكوت المسيح المؤسَّس على التواضع

ولما رأى تعالى ان هذا البناء مما يبطّل الغرض من البناء العظيم المؤسس على دم المسيح غضب وابطل عملهم وخيب آمالهم كما انهُ دائمًا يبطّل كل مقصدٍ يراد بهِ مقاومة عمل الفداء العظيم

ان اشعياء في الاصحاح الثاني من نبوَّتهِ اذ كان يشير الى الله وهو يبني ملكوت المسيح في العالم يتنبأُ انهُ يخفض قبل ذلك كبرياء الانسان وان يوم الرب يكون على كل برجٍ عالٍ وعلى كل سور منيع. وملكوت المسيح انما يُبنى بهدم كل شامخٍ ليذهب من طريقهِ. وعلى ذلك قول الرسول اذ اسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون هادمين ظنونًا وكل علوٍّ يرتفع ضد معرفة الله ٢كو ١٠ : ٤ و٥ فكل ما يُصنَع في النفس لبناء ملكوت المسيح فيها لا بدَّ ان يكون بهدم بابل من تلك النفس

ان اولئك المرَدة زعموا انهم يبنون بابل حتى تصل الى السماء فذهب جهدهم الفاسد باطلاً. واما البناء الذي ذكرناهُ فيصل الى السماء بالحقيقة بل الى اعلى السموات حيثما يتم عند نهاية العالم. ولذلك لم يسمح الله بنجاح بناء اعدائهِ مقاومةً لهُ. ولو نجحوا في بناء تلك المدينة وذلك البرج لامكن ان يتم غرضهم في جمع الناس الاشرار اليهم وربما لو كانوا يبقون مجتمعين في مدينة واحدة عظيمة لكانوا يغلبون مدينة الله

ثم ان بابل هذه هي المدينة المشهورة بهذا الاسم . وكلما جاء ذكرها في الكتاب يقال فيها انها عدوٌّ عظيمٌ مخيفٌ لمدينة الله لانها كانت دائمًا مضادّةً لاورشليم وصهيون كما نقرأ في العهد القديم والجديد وكانت بعد ذلك عدوًّا مخيفًا قويًّا لمدينة الله مع ان الله تعرّض لبنائها في بدايتهِ . فلو لم يتعرّض الله لها لكانت على الارجح اشدّ بأسًا واكثر استطاعةً ان تعذّب كنيسة الله او تهلكها

(٦) قد كان من هذا العمل ان الله فرّق القبائل وقسم الارض بين اهلها عند ما تعرّض لبناء بابل . فقصد تعالى بذلك ما يوافق عمل الفداء . وعلى الخصوص قد توجّه نظرهُ الى انتشار الانجيل بين القبائل في ما يأتي من الزمان . فكانت البلاد التي نزلوها والحدود التي حصرتهم حول ارض كنعان في غاية المناسبة لهذا الغرض . وعلى ذلك قولهُ حين قسم العليُّ للامم حين فرّق بني آدم نصب تخومًا لشعوب حسب عدد بني اسرائيل تث ٣٢ : ٨ وقولهُ ايضًا وصنع من دمٍ واحد كلَّ امةٍ من الناس يسكنون على كل وجه الارض وحتم بالاوقات المعيَّنة وبحدود مسكنهم . لكي يطلبوا الله لعلَّهم يتلمسونهُ اع ١٧ : ٢٦ و٢٧ . وكانت ارض كنعان مستحكمة في احسن اقطار العالم لاذاعة النور الموحى بهِ بين القبائل عمومًا . لان المملكة الرومانية التي كانت اعظم البلاد المتمدنة كانت في زمان الرسل مستحكمة على البلدان المحيطة بارض كنعان . واذ رأى الشيطان فائدة موقع القبائل هناك لنجاح عمل الفداء وضرر ذلك على مصلحة ملكهِ جذب قبائل كثيرة الى اقصى اطراف الارض ليحوّلهم عن طريق الانجيل . فجاء بقومٍ منهم الى اميركا وباخرين الى الاقاليم الشمالية الباردة التي يعسر الوصول اليها في الغاية

(٧) كان مما يتعلق بذلك في تلك المدة حفظهُ تعالى للديانة الحقيقية في سلسلة الانساب التي جاء منهـا المسيح لما اتبع الناس على وجه العموم عبادة الاصنام . وكانت الكنيسة في خطر عظيم من ان يبتلعها الفساد العمومي . ومع انهُ لم يمضِ كثيرٌ من الزمان على ما صنعهُ الله من الخلاص لكنيستهِ واظهرهُ من

الرحمة نحوها اذ اهلك جميع من سواها من العالم واقام عهد النعمة مع نوح وبنيهِ لم يزل قلب الانسان الفاسد يميل الى ترك الله والسقوط في وهدة الخطايا حتى ان العالم تهوَّر في عبادة الاصنام على اثر الطوفان حالاً. وامتدَّ ذلك حتى عمَّ الجميع الاَّ قليلاً قبل زمان ابرهيم. وقد تمادى الفساد الى الغاية في زمان بناء بابل حتى وصل الى نفس شعب الله وهو السلالة التي جاء منها المسيح. وعلى ذلك قولهُ آباؤُكم سكنوا في عبر النهر منذ الدهر تارح ابو ابرهيم وابو ناحور وعبدوا آلهة اخرى يش ٢٤: ٢. والمراد بعبر النهر عبر نهر الفرات حيث سكن آباء ابرهيم

ولكن ليس المراد انهم سقطوا في عبادة الاصنام وتركوا الاله الحقيقي بوجه العموم والاطلاق لانهُ قيل ان الله كان اله ناحور. وعلى ذلك قولهُ اله ابرهيم وآلهة ناحور آلهة ابيهما يقضون بيننا تك ٣١: ٥٣. بل انهم اشتركوا الى درجةٍ ما في الفساد الذي في تلك الايام كما اصاب سليمان من فساد عبادة الاصنام. وكما قيل عن بني اسرائيل انهم كانوا يعبدون آلهةً اخرى في مصر مع ان كنيسة الله الحقيقية كانت بينهم. وكما كان يوجد اصنامٌ في بيت يعقوب الى زمانٍ طويل وهي التي جاءت مع نسائهِ من بين النهرين

وكانت هذه مرَّةً ثانية كادت تتلاشى الكنيسة فيها من الفساد الذي عمَّ العالم وفقد الديانة الحقيقية. ومع ذلك لم تزل الديانة الحقيقية موجودة في العشيرة التي جاء منها المسيح فتلك مرَّةٌ اخرى حفظ الله فيها كنيستهُ من طوفان الفساد العمومي الذي هاج بهِ اله هذا العالم وكاد يبتلع كنيسة الله. الاَّ انهُ تعالى لم يدع ابواب الجحيم تغلب عليها

الفصل الثالث

من دعوة ابرهيم الى موسى

ان الله اراد اولاً ان يفرز في هذه المدة الرجل الذي جاء منهُ المسيح عن غيرهِ من اهل الارض لتكون كنيستهُ تعالى محفوظة في ذريتهِ الى مجيء المسيح. فدعا ابرهيم من وطنهِ وقبيلتهِ للذهاب الى بلادٍ بعيدة يريهِ اياها فأتى بهِ اولاً من اور الكلدانيين الى حران ثم الى ارض كنعان

قد سبق الكلام في ان عبادة الاصنام عمَّت في هذه المدة جميع الارض وانهُ لم يبقَ من الناس مَن لم يشرك بالله الاَّ القليل. ولذلك رأى الله انهُ يجب ان تُفرَز طائفةٌ لعبادتهِ حتى تبقى الديانة الحقيقية في العالم ولئلا تسقط كنيسة المسيح مع الناس في الشرك والفساد لان اكثر قبيلة ابرهيم كانوا قد سقطوا. فكان الظاهر انهُ لا يمضي كثيرٌ من الزمان الاَّ وتفقد الديانة الحقيقية من تلك القبيلة. اللهمَّ الاَّ ان تتوسَّط غاية خصوصية من لدنهُ تعالى. ولذلك دعا الله ابرهيم الذي اراد ان يحفظ الديانة الصحيحة في ذريتهِ من بلادهِ وقبيلتهِ الى بلادٍ بعيدة لتكون ذريتهُ هناك شعباً مفرزاً من بقية العالم الذين يعبدون آلهةً من دون الله

وكانت ارض الكلدانيين التي خرج منها ابرهيم حول بابل وكانت بابل اخصَّ مدن الكلدانيين. وقد ذهبت العلماء الى ان عبادة الاصنام نشأت اولاً في تلك البلاد وان هذه العبادة خرجت من ارض الكلدانيين ومن مدينة بابل الى ما بين قبائل الارض. ولذلك يقال لارض الكلدانيين ولبلاد بابل في الكتب المقدسة ارض النحوتات وعلى ذلك قول ارميا النبي سيف على الكلدانيين يقول الرب وعلى سكان بابل وعلى رؤسائها وعلى حكمائها. سيف على الخادعين

فيصيرون حمقًا . سيف على ابطالها فيرتعبون . سيف على خيلها وعلى مركباتها وعلى كل اللفيف الذي في وسطها فيصيرون نساء. سيف على خزائنها فتُنهب. حرٌّ على مياهها فتنشف لانها ارض منحوتات هي وبالاصنام تُجنُّ ار ٥٠: ٣٥ و٣٨ فدعا الله ابرهيم من بين الاشراك والكفر الى بلادٍ بعيدة جدًّا. وعند ما نزل بها لم يعطهِ فيها ميراثًا ولا موطئ قدم ولكن بقي غريبًا سائحًا ليكون مُفرَزًا مع عشيرتهِ عن العالم اجمع

وكان ذلك امرًا جديدًا بين الناس لان الله لم يصنع شيئًا منهُ قبل ذلك الوقت اذ لم يفرز كنيستهُ عن العالم على هذه الصورة الى هذه المدة بل كانوا يسكنون معًا فنتج من ذلك عواقب رديئة مرارًا كثيرة لانهُ لما خالط شعب الله خطاة العالم قبل الطوفان من دون حاجزٍ بينهم كانت العاقبة ان بني الكنيسة تزوجوا من بنات الخطاة ففسدوا وكادت الكنيسة تهلك . فكانت الواسطة التي استعملها الله لحفظ كنيستهِ عند ذلك انهُ غرَّق الخطاة بالطوفان وخلَّص الكنيسة بالسفينة . وقبل ان دُعي ابرهيم كان العالم قد رجع الى الفساد فاختار الله طريقًا آخر ولم يهلك العالم ويخلّص ابرهيم وامرأتهُ ولوطًا في فلكٍ بل دعاهم الى السكنى بمعزلٍ عن بقية العالم

فكان ذلك امرًا جديدًا عظيمًا صنعهُ الله استعدادًا لعمل الفداء . وقد حصل ذلك في المدة المتوسطة بين سقوط الانسان ومجيء المسيح الذي كان بعد ذلك بالفي سنة . وبواسطة دعوة ابرهيم وُضع اساسٌ لقيام الكنيسة في العالم الى ان يجيء المسيح لانهُ لما اتبع الناس عبادة الاصنام احتاج الامر الى اعتزال نسل المرأة عنهم

وكان الامر يحتاج ايضًا الى افراز قومٍ مخصوصين عن العالم لتكون بينهم الرموز والنبوات التي اوحى بها الله اليهم عن المسيح تسهيلاً لمجيئهِ ويتسلموا ذلك الوحي الذي أُنزِل من لدنهُ تعالى ويكونوا واسطة لحفظ تاريخ اعمال الله العظيمة من الابداع والعناية ولكي يولد منهم المسيح وينتشر نور الانجيل منهم في

العالم . وهذه الاغراض لم يكن تحصيلها ممكنًا لو بقي شعب الله مخالطًا لعبدة الاصنام مدة هذه الالفي السنة . وبحسب ذلك تكون دعوة ابرهيم اساسًا جديدًا وُضع لكنيسة الله المنظورة على اجلى طريقٍ . وبما ان ابرهيم كان هو الذي وُضع فيهِ هذا الاساس يشار اليهِ في الكتاب انهُ ابو جميع الكنيسة اي ابو المؤمنين وانهُ اصلٌ قد خرجت منهُ الكنيسة كانها شجرة ممتازة عن غيرها وكان المسيح غصن البر لهذه الشجرة . ثم لما جاء المسيح قُطعت منها الاغصان الاصلية ودخلت الامم مكانها . وبناءً على ذلك لم يزل ابرهيم ابًا للكنيسة واصلاً لها بواسطة المسيح . فانها هي نفس الشجرة التي من بداءةٍ صغيرة في زمان ابرهيم نشرت اغصانها في هذه الايام على جانبٍ عظيمٍ من الارض وسوف تملأها جميعها في الزمان المعيَّن . وعند نهاية العالم تُقلَع من الارض الكثيفة وتُغرَس في فردوس الله

(٢) قد أوحَى الله الى ابرهيم عند ذلك من عهد النعمة بالتخصيص والتصريح ما لم يُوحهِ اليهِ من قبل . وكان قد أُنزِل سابقًا الوحي في هذا العهد دفعتين مخصوصتين الاولى أُنزلت لابوينا الاولين حالاً بعد السقوط والثانية لنوح وبنيهِ حالاً بعد الطوفان . فيكون نزولهُ لابرهيم عند دعوتهِ وبعدها دفعةً ثالثة . وحيث ان هذه الدفعة كانت اقرب لمجيء المسيح من الدفعتين السابقتين اذ كانت متوسطةً بين السقوط ومجيء المسيح كما سبق فكان الوحي عن عهد النعمة في هذه الدفعة اوضح واكمل . وقد أوحَى الى ابرهيم في هذه الدفعة ليس بمجيء المسيح فقط بل انهُ يكون من نسلهِ . ووعدهُ بانهُ تتبارك بهِ جميع قبائل الارض . وقد كرَّر الله هذه المواعيد لابرهيم مراتٍ متوالية . فاولها كان لما دعاهُ حيث قال فاجعلك امةً عظيمة وابارككَ واعظم اسمك . وتكون بركةً تك ١٢ : ٢ . ثم اعاد لهُ هذا الوعد بعد ان جاء الى ارض كنعان تك ١٣ : ١٤ . ثم بعد ان رجع من قتل الملوك تك ١٥ : ٥ و ٦ . ثم بعد ان قرَّب اسحق تك ٢٢ : ١٦ الى ١٨

وقد أُعلن في تكرار عهد النعمة مع ابرهيم بعض امورٍ متعلقة بذلك العهد

على وجهٍ اجلى مما أُعلِنت قبلاً . فلم يقتصر الوحي على ان المسيح يأتي من زرع ابرهيم فقط بل اشتمل ايضًا على دعوة الامم لتدخل جميع القبائل الى الكنيسة ويتبارك جميع العالمين . وصار الشرط العظيم لعهد النعمة وهو الايمان معروفًا على اجلى بيانٍ . وعلى ذلك قوله وقال له هكذا يكون نسلك فآمن بالرب فحسبه له برًّا تك ١٥ : ٥ و٦ وقد ذُكِر ذلك كثيرًا في العهد الجديد انهُ كان هو السبب في ان ابرهيم دُعي ابا المؤمنين

وكما انهُ في هذه المدة اتَّسع الوحي من جهة عهد النعمة كذلك زاد اثباتهُ بواسطة الختم والعربون . وكان من ذلك الختان الذي كان ختم عهد النعمة للكنيسة المنظورة الى ان يجيء المسيح كما يظهر من وضعهِ الاول تك ١٧ فمن هذا الاصحاح يبان انهُ كان ختم العهد الذي وعد الله بهِ ابرهيم ان يجعلهُ ابًا لقبائل كثيرة ع ٥ و٩ و١٠ وقد صرَّح بولس الرسول بانهُ ختم برّ الايمان

ولما كان من اللازم ان تُعزَل عشيرة ابرهيم وذريتهُ عن بقية العالم الى ان يجيء المسيح كان سرُّ الختان هو الحاجز العظيم بين الفريقين . وفضلاً عن ذلك قد اعطى الله ابرهيم عربونًا لاتمام الوعد الذي وعدهُ بهِ اذ نصرهُ كدرلعومر والملوك الذين كانوا معهُ . والظاهر ان كدرلعومر كان متسلطًا على اقليمٍ عظيم من البلاد المعمورة في عصرهِ . لانهُ مع ان مقامهُ كان في عيلام بعيدًا عن ارض كنعان نحو الفي ميل كان ملكهُ متصلاً الى اكثر ارض كنعان . وذلك ظاهرٌ من الاصحاح الرابع عشر ع ٤ الى ٧ وقد ذهب اهل العلم الى انهُ كان ملك ولاية اشور وهي التي كان قد انشأها نمرود في بابل . وبما ان الملوك في تلك الايام كانوا يبنون مدنًا تكون قصباتٍ لما لكهم انظر تك ١٠ : ١٠ الى ١٢ يُظنُّ انهُ بنى مدينةً في عيلام وجعلها كرسيَّ ملكهِ وان الملوك الذين جاءوا معهُ كانوا نوَّابًا عنهُ في المدن والبلاد التي كانت تحت نظارتهم . ولكن ولو كانت مملكتهُ شديدة البأس وجيشهُ كثير العدد غلبهُ ابرهيم بالغلمان الذين وُلدوا في بيتهِ فقط واستظهر عليهِ وعلى الذين كانوا معهُ وقهرهم جميعًا فكان لهُ ذلك عربونًا

من عند الله للوعد الذي وُعِد به اي الغلبة التي تحصل للمسيح الذي هو من نسلهِ على قبائل الارض حتى يملك ابواب اعدائهِ . وقد صرَّح بذلك اشعياء النبي حيث ينبأ عن الغلبة العظيمة المزمعة ان تحصل للكنيسة على قبائل العالم . وهو يدعو غلبة ابرهيم هذه عربونًا لغلبة الكنيسة . وذلك قولهُ من انهض من المشرق الذي يلاقيهِ النصر عند رجليهِ . دفع امامهُ امَمًا وعلى ملوكٍ سلَّطهُ جعلهم كالتراب بسيفهِ وكالقش المذري بقوسهِ طردهم مرَّ سالمًا في طريقٍ لم يسلكهُ برجليهِ تك ١٤ : ٢ و ٣

ثم جاء لابرهيم اثبات آخر لعهد النعمة من عند ربهِ وذلك عند ما رجع من قتل الملوك لما تلقَّاهُ ملكي صادق ملك ساليم كاهن الله العليّ الذي هو الرمز الواضح عن المسيح وباركهُ واحضر لهُ خبزًا وخمرًا . وكان الخبز والخمر يشيران الى نِعَم عهد النعمة التي يشير اليها الخبز والخمر في العشاء السرّي . واما ملاقاة ملكي صادق لهُ بهذا الختم لعهد النعمة عند غلبتهِ فهي دليلٌ على ان ذلك كان عربونًا لاتمام الله ذلك العهد انظر تك ١٤ : ١٨ و ٢٠

ثم جاءهُ اثبات آخر لعهد النعمة . وذلك انهُ رأى في الحلم عند ما سقط عليهِ ذلك السبات الثقيل تنُّور الدخان والمصباح الموقَد يمرّان بين قطع الذبيحة انظر تك ١٥ فكانت تلك الذبيحة تشير الى ذبيحة المسيح وتنور الدخان الذي عبر في وسط الذبيحة يشير الى آلام المسيح . واما المصباح الموقَد الذي جاء بعدهُ واضاء بنور ساطع فكان يشير الى المجد الذي تلا آلام المسيح ناتجًا عنها

واعطى الله ابرهيم عربونًا آخر لاتمام عهد النعمة . وذلك انهُ اعطاهُ ابنًا عند شيخوختهِ بجيء منهُ المسيح عب ١١ : ١١ و ١٢ ورو ٤ : ١٨ وحفظ لهُ حياة اسحق بعد ما وضعهُ على الحطب ليقرّبهُ محرقة . فكان ذلك توكيدًا لايمان ابرهيم بالوعد الذي وعد الله بهِ ان يكون المسيح من ذرّية اسحق . وكان ذلك ايضًا اشارةً الى قيامة المسيح عب ١١ : ١٧ الى ١٩ وبما ان ذلك كان تأكيدًا لعهد النعمة كرَّر الله لابرهيم هذا العهد دفعةً ثانية في ذلك الوقت تك ٢٤ : ١٥

فيظهر مما تقدَّم ان عهد النعمة أُوحي بهِ في زمان ابرهيم على وجهٍ اكمل واثبت مما أُوحي قبلاً . والملحوظ انهُ صار لابراهيم بواسطة ذلك معرفة شافية بالمسيح الفادي العظيم وبالامور التي كان مزمعاً ان يفعلها . والى ذلك يشير المسيح بقولهِ ان ابرهيم تهلل بان يرى يومي فرأى وفرح يو ٨: ٥٦ وقد اوصل الله هذا البناء الذي ابتدأ يمارسهُ من بداءة العالم الى هذه الدرجة العالية بمشيئتهِ الالهية

(٣) وكان الامر الثالث في هذه المدة انهُ تعالى حفظ رؤَساء الآباء سالمين من اهل ارض كنعان وغيرهم من الاعداء وبما ان رؤَساء الآباء ابرهيم واسحق ويعقوب كانوا اصلاً تفرَّع منهُ المسيح عُزِلوا عن الناس لكي تكون الكنيسة محفوظة فيهم ولذلك كان حفظهم جزءاً من عمل الفداء . وقد حفظتهم العناية الالهية ومنعت سكَّان الارض التي نزلوها عن اهلاكهم لان سكان الارض حينئذٍ كانوا اشراراً جدًّا ولو كان شرُّهم لم يكمل الى الغاية فازداد فيما بعد . وذلك ظاهر من قولهِ وفي الجيل الرابع يرجعون الى ههنا لان ذنب الاموريين ليس الى الآن كاملاً تك ١٥: ١٦ . ويظهر عظم اثمهم من كراهة ابرهيم واسحق ان يزوجوا بنيهم من بنات تلك الارض . ولذلك لما شاخ ابرهيم استحلف غلامهُ ان لا يتخذ لابنهِ امرأةً من بنات الارض وهان على اسحق ورفقة ان يرسلا يعقوب الى ما بين النهرين على مسافةٍ بعيدة ليتزوَّج من هناك . ولما تزوَّج عيسو ببعض بنات تلك الارض قيل ان ذلك كان مرارة نفسٍ لاسحق ورفقة . وكل ذلك دليل واضح على فظاعة شرِّ اهل تلك الارض

ولنا دليلٌ آخر على ساجة فواحشهم مما ورد عن سدوم وعمورة وادمة وصبويم التي كانت من مدن ارض كنعان . لكنها ربما كانت اشدَّ من غيرها فساداً وعداوةً لهولاء الصالحين . فذلك يوافق قولهُ تعالى واضع عداوةً بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها . وكانت حياتهم الصالحة دينونةً متصلة على شرِّ الكافرين الذين كانوا يوبخونهم على تلك الرذائل كما كان لوط يوبخ اهل

سدوم اذ يقول الكتاب انهُ كان حزينًا على اعمالهم الرديئة وكان لهم واعظًا بالتوبة والرجوع الى الله

وكان في موقف الخطر منهم لانهم كانوا غرباء في تلك الارض وليس لهم ملكٌ فيها. ومن المعلوم ان اهل الارض يميلون الى اعنات الغرباء وظلمهم لادنى سبب. وكان ذلك حال اهل سدوم مع لوط لانهُ لما وبخهم توبيخًا لطيفًا على فسقهم قالوا لهُ انما دخلت لتكون بيننا ساكنًا لا قاضيًا وتهدَّدوهُ بالسوء

وانما حفظ الله ابرهيم ولوط واسحق ويعقوب واهل بيوتهم من هؤلاء الاشرار على نوع غريب ولو كانوا قليلين في العدد وقليلهم سهلٌ جدًّا برهانًا لحفظهِ كنيستهُ من اعدائها. كتول صاحب الزبور اذ كانوا عددًا يحصى قليلين وغرباء فيها ذهبوا من امَّةٍ الى امة ومن مملكة الى شعب آخر فلم يدع انسانًا يظلمهم بل وبخ ملوكًا من اجلهم قائلاً لا تمسوا مسحائي ولا تسيئوا الى انبيائي مز ١٠٥: ١٢ الى ١٥

وكانت هذه الوقاية منهُ تعالى لهم غريبة جدًّا في بعض الاحيان لما داخل اهل الارض من الغضب والحنق عليهم كما كان من امر شمعون ولاوي مع اهل شكيم تك ٣٤: ٣٠ فان الله وقى يعقوب واهل بيتهِ من غضب اولئك القوم على نوع غريب اذ قرَّر عندهم الخوف والمهابة فلم ينهضوا عليهم. فذلك قولهُ وكان خوف الله على المدن التي حولهم فلم يسعوا وراء بني يعقوب تك ٣٥: ٥

ثم ان الله لم يحفظهم من الكنعانيين فقط بل من جميع الذين ارادوا لهم السوء كما حفظ يعقوب وجماعتهُ من لابان عندما اقتفى اثرهم حنقًا يريد ان يوقع بهم مكروهًا. فتلقاهُ الله وتهدَّدهُ قائلاً احترز من ان تكلم يعقوب بخير او شرّ. وكذلك عند ما خرج عيسو بجيشهِ الى لقاء يعقوب عازمًا على قتلهِ. فاستجاب الله لصلاتهِ عند ما صارعهُ المسيح في فنوئيل وحرف قلب عيسو عن العداوة واضمار السوء الى المحبة والارتداع

وعلى ذلك قد حُفِظت هذه الشرذمة الصغيرة التي جاء منها المسيح سالمة

من الاعداء والمخاطر فكان ذلك بحفظهِ تعالى للفلك والطوفان محيط بالارض

(٤) والامر الرابع الذي كان من ذلك في هذه المدة هو خراب سدوم وعمورة مع المدن المجاورة لها . فانهُ كان منفذًا لمقاصد عدل الفداء من وجهين الاول ان ذلك كان مما يحجز اهل تلك الارض عن الاساءة الى الغرباء الصالحين الذين اتى بهم الله ليسكنوا بينهم . وبما ان لوط كان من اولئك الغرباء ونزل في تلك الارض مع ابرهيم اهلك الله سدوم مع اهلها لانهم اهانوهُ اذ كان ينذرهم بالتوبة والرجوع الى الله . وكان السبب العظيم في هلاكهم تلك الفاحشة التي تعرَّضوا بها للوط والملائكة الذين نزلوا عندهُ . وربما ظنوا ان اولئك الملائكة كانوا بعض اصحاب لوط جاءوا يزورونهُ . فاحاطوا ببيت لوط يريدون ان يفسقوا بهم ويتهدَّدوهُ بالسوء ان اعترضهم . فضربهم الله حينئذٍ بالعمى وفي الصباح اهلك المدينة وما حولها بعاصفةٍ هائلة من النار والكبريت . وكانت هذه الضربة ظاهرةً عند الذين سلموا من سكان تلك الارض فلا ريب انها اوقعت في قلوبهم الخوف من التعرض بالاذى لاولئك الغرباء الصالحين . وربما كان ذلك من اعظم الوسائط لحجزهم عن الاساءة اليهم . واذ قيل في الكتاب ان السبب في عدم اتباع اهل الارض ليعقوب لما قام بنوهُ على اهل شكيم كان هو وقوع خوف الرب عليهم فربما اشير بذلك الى هذه التهلكة العظيمة فذكروا خراب سدوم الهائل مع مدن تلك النواحي لاجل ما قدَّم اهلها من سوء المعاملة للوط وخافوا من الاساءة الى يعقوب واهل بيتهِ

والوجه الثاني ان الله اظهر بذلك قصاص التعدي على شريعتهِ ليشعر الناس باحتياجهم الى الرحمة . وقد كان ذلك مصاحبًا لعمل الفداء منذ ابتدائهِ لان الشريعة انما هي قائدٌ يرشد الناس الى المسيح

وفي مدة العهد القديم كان الامر داعيًا لظهور غضب الله على الخطية بنوعٍ اجلى مما يدعو اليهِ في زمان الانجيل . لان الانجيل قد اعلن للناس وجود الآخرة وعذاب النار على وجهٍ اوضح مما أُعلِن قبلهُ . وقد ظهر فيهِ ايضًا عدل الله

مما احتملهُ المسيح من الآلام لاجل خطايا الناس . ولذلك كان الله في تلك الايام يصحب اعلانهُ بما يوقع الخوف الشديد في قلوب اهل ذلك الزمان وهكذا لما ظهر الله على طور سينا ليعطي الشريعة كان ذلك بالرعود والبروق والغمام الكثيف وصوت البوق . واما قبل انزال الشريعة فقد لزم ان يظهر الله غضبهُ على الخطية بطريقةٍ ظاهرة من جيلٍ الى جيل وكان ذلك ممكنًا بواسطة النقل لان آدم الذي عاش تسع مئة وثلاثين سنة كان يمكنهُ ان يخبر الكنيسة عن تهديدات الله المخيفة التي تهدَّد بها من يخالف عهد الاعمال الذي قطعهُ معهُ . وايضًا كان يمكنهُ ان يخبر عن نتائج السقوط المخيفة لانهُ شاهدها عيانًا واختبرها شخصيًّا . والذين تحدثوا مع آدم عاشوا الى وقت الطوفان . فاهلاك العالم بالطوفان اظهر غضب الله على الخطية واحتياج الناس الكلّي الى رحمة الله والبعض من الذين نظروا الطوفان عاشوا الى زمان ابرهيم

ولكن في هذه المدة كاد جميع ذلك يُنسَى فاظهر الله غضبهُ على الخطية باهلاك تلك المدن وكان ذلك اوفق صورة لجهنم . ولذلك قال يهوذا الرسول مكابدةً عتاب نارٍ ابدية يه ع ٧ . لان الله امطر عليهم سيولاً من النار والكبريت فاحرق جميع تلك المدن واهلك اهلها بنار الغضب الالهي ومن ذلك يُعلَم غضب الله الشديد على شر الكافرين ويُعرَف لزوم الفداء . ولهذا كان ذلك يؤول الى نجاح هذا العمل العظيم

(٥) كرَّر الله عهد النعمة لاسحق ويعقوب واثبتهُ لهما . اما لاسحق فقولهُ تعالى وأُقيم بالقسم الذي اقسمت لابرهيم ابيك . واكثر نسلك كنجوم السماء واعطي نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع أمم الارض تك ٢٦ : ٣ و٤ واما ليعقوب فقد كان مرَّتين الاولى لما باركهُ اسحق مع نسلهِ وكان قد دعاهُ الى تلك البركة الهامٌ من عند ربهِ فباركهُ بقولهِ ليستعبد لك شعوبٌ . وتسجد لك قبائل . كن سيِّدًا لاخوتك . وتسجد لك بنو امك . ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين تك ٢٧ : ٢٩ ولذلك لما فقد عيسو هذه البركة فقد ميراث

البركات الناتجة عن عهد النعمة . والثانية وهو في بيت ايل لما رأى السلَّم الواصل الى السماء في الحلم وكان ذلك السلَّم اشارةً الى طريق الخلاص بواسطة المسيح

لان الحجر الذي توسَّدهُ يعقوب كان رمزًا عن المسيح الذي استند اليهِ شعب الله بدليل ان يعقوب صبَّ عليهِ دهنًا وجعلهُ مذبحًا ولا يخفى ان المسيح هو مسيح الله والمذبح الوحيد الحقيقي . ولما كان يعقوب متوسدًا ذلك الحجر ورأى السلَّم منتصبًا ظهر الله واعاد لهُ عهد النعمة بقولهِ ويكون نسلك كتراب الارض وتمتدُّ غربًا وشرقًا وشمالاً وجنوبًا . ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الارض تك ١٤:٢٨

ثم حصل يعقوب على اثباتٍ آخر لهذا العهد في فنوئيل حيث صارع الله وقَدِر . وكان قد تراءى لهُ المسيح اذ ذاك بصورة الطبيعة التي اتخذها عند ما تجسَّد . ثم كرَّر لهُ العهد ايضًا بعد رجوعهِ من بين النهرين لما وصل الى بيت إيل حيث كان قد رأى السلَّم تك ١٠:٣٥ . وهكذا تكررت اعادة عهد النعمة اكثر مما سبق . واذ ذاك ازداد نور الانجيل حينما قرب زمان ظهور المسيح

(٦) وكان الامر السادس من ذلك ان الله بواسطة يوسف حفظ السلالة التي جاء منها المسيح ناجيةً من الهلاك بالقحط الذي دام سبع سنين على الارض . لانهُ لما قرب زمانهُ شاء الله ان يرسل يوسف الى مصر على نوع عجيب من العناية الربانية لكي يعول يعقوب واهل بيتهِ في تلك الايام ولولا ذلك لهلكوا عن آخرهم جوعًا . فذلك قول يوسف لاخوتهِ انتم قصدتم لي شرًّا . اما الله فقصد بهِ خيرًا لكي يفعل كما اليوم . ليُحيي شعبًا كثيرًا تك ٢٠:٥٠ . وكم من مرَّةٍ كان هذا الاصل الصالح الذي فيهِ غصن البرّ الذي هو الفادي المجيد في خطرٍ من الهلاك وحفظهُ تعالى من ذلك لاتمام غايتهِ الجليلة فسبحانهُ ما اعظم رحمتهُ نحو بني البشر

وكان هذا الخلاص لبيت اسرائيل بواسطة يوسف كثير المشابهة من بعض

الاوجه لخلاص الذي صنعهُ المسيح . فكما ان خلاصهم من الهلاك بالجوع كان بواسطة يوسف وهو نسيبهم واخوهم كذلك كان خلاص كنيسة الله من الهلاك بالقحط الروحي عن يد المخلص الذي هو نسيبهم ولا يأنف من ان يدعوهم اخوةً لهُ

وكما ان يوسف كان مُبغَضًا عند اخوتهِ فباعوهُ واراد وا قتلهُ كذلك المسيح مكروهٌ عند طبيعتنا التي مشيئتها ضد مشيئتهِ ونحن قد بعناهُ بابا طيل العالم وقتلناهُ مصلوبًا بخطايانا . وكما كان يوسف خادمًا في بيت سيدهِ كذلك ظهر المسيح بصورة الخادم . وكما طُرِح يوسف في سجن فرعون كذلك نزل المسيح الى القبر ثم قام وخرج من ذاك السجن . وكما ارتفع يوسف بعد خروجهِ من السجن حتى صار نائب الملك وجالسًا عن يمينهِ ومسلطًا على جميع مملكتهِ ليعطي الطعام حفظًا لحياة الناس كذلك ارتفع المسيح وجلس عن يمين الآب ليعطي الطعام المحيي انفس الخطاة . وكما صار يوسف رئيسًا على اخوتهِ الذين ابغضوهُ وباعوهُ ومخلصًا لهم من هلاك المجاعة كذلك صار المسيح راسًا للذين كان يدعوهم اخوتهُ ومخلصًا للذين ابغضوهُ وباعوهُ بيع الهوان

(٧) قد جاءت بعد ذلك نبوةٌ عن المسيح لما بارك يعقوب ابنهُ يهوذا . وكانت هذه النبوة اصرح مما سبقها لانها دلَّت على من جاء المسيح من ذريتهِ . وذلك ان الوحي قبل ابرهيم لم يخصص نسب المسيح باكثر من ان يجيء من ذريتهِ . ثم زاد التخصيص بكونهِ من ذرية اسحق احد اولاد ابرهيم . ثم زاد بكونهِ من ذرية اسرائيل احد ولدَي اسحق . ثم زاد بكونهِ من ذرية يهوذا احد اولاد اسرائيل الاثني عشر . وقد ذُكِر في هذه النبوة ان المسيح هو اسد سبط يهوذا فذلك اشارةٌ الى اعمالهِ العظيمة . وعلى ذلك قولهُ يهوذا اياك يحمد اخوتك . يدك على قفا اعدائك . يسجد لك بنو ابيك . يهوذا جرو اسدٍ . من فريسةٍ صعدت يا ابني جثا وربض كاسدٍ وكلبوةٍ من يُنهِضهُ تك ٤٩ : ٨ و ٩ وفي هذه النبوة مزيد تصريح من جهة زمان مجيء المسيح الذي اشار اليهِ بقولهِ لا يزول

قضيبٌ من يهوذا ومشترعٌ من بين رجليهِ حتى يأتي شيلون ولهُ يكون خضوع شعوبٍ تك ع ١٠

(٨) قد كان من عمل الفداء في هذه المدة ان الله حفظ بني اسرائيل بمصر على نوعٍ عجيب اذ كان المصريون مشتغلين بما يؤدّي الى هلاكهم . فان الظاهر مما قيل في الكتاب انهم كانوا تحت حكم المصريين لانهم كانوا خدّامًا لهم وكان فرعون متسلطًا عليهم فقصد ان يُذِلَّهم بالظلم الشديد . ولما رأى نفسهُ عاجزًا عن ذلك عزم على اهلاكهم عن آخرهم فامر باغراق كل طفلٍ من الذكور . ولم يجدِ ذلك نفعًا لان الله حفظهم بنوعٍ عجيب وبارك فيهم وعوض ان ينقطعوا زادوا اضعافًا

(٩) يجب ان نلاحظ فيما تقدم ليس حفظ اولئك القوم فقط بل حفظهُ تعالى للكنيسة غير المنظورة المتضمنة فيهم من السقوط في عبادة الاصنام بمصر . لانهُ اذ طالت مدة بني اسرائيل بين المصريين وكانوا خدامًا لهم لم يتيسَّر لهم ان يقوموا بحق الديانة ويحافظوا على التعاليم التي أُوحي بها اليهم . واذ لم يكن عندهم شيءٌ من ذلك مكتوبًا فقدوا الديانة شيئًا فشيئًا واشتركوا مع المصريين في عبادة الاصنام وعلى ذلك تورط اكثرهم في الشرك بالله انظر خر ٣٢ : ٦ الى ٨ و٣٢ : ٨

وكانت هذه مرةً ثالثة كاد فيها شرُّ العالم يبتلع كنيسة الله بعد المرّتين اللتين كانت احداهما قبل الطوفان والثانية قبل دعوة ابرهيم . ولكن لم يسمح الله بسقوط كنيستهِ بالكلية بل خلَّصها كما خلَّص آل نوح في سفينةٍ من مياه الطوفان وكما خلَّص موسى في تابوتٍ من البردي من خطر المياه المحيطة بهِ فلم يزل البعض منهم يحافظون على الديانة الحقيقية ولبثوا شعبًا لله في ذلك الزمان المظلم الفاسد . وكان من اتقياء الله في تلك المدة ابو موسى وامهُ بدليل قول الرسول بالايمان موسى بعد ما وُلد اخفاهُ أبواهُ ثلاثة اشهر لانهما رأيا الصبي جميلاً ولم يخشيا امر الملك عب ١١ : ٢٣

وها قد بيّنا كيف أُجرِي عمل الفداء في الملة الثالثة من زمان العهد القديم اي من دعوة ابرهيم الى موسى وقد رأينا في ذلك اموراً عظيمة متعلقة بهذا العمل ونجاحًا فيهِ لم يبلغ اليهِ فيما سبق فلنتقدّم الى ما وراء ذلك من الزمان

الفصل الرابع

في ما جرى من عمل الفداء من زمان موسى الى داود

(١) ان الامر الاول الذي حصل من ذلك كان هو انقاذ الله لكنيسته من مصر. وهو اشهر ما ذُكر في العهد القديم من هذا القبيل وأَدَلُّ الرموز على الفداء الذي صنعهُ المسيح. وقد اكثرت الكتب المقدسة الكلام فيهِ. فهو الرمز العظيم للفداء الذي صار بالمسيح. وكان الفاعل لهذا العمل يسوع المسيح الذي ظهر لموسى في العلّيقة وارسلهُ ليخلّص بني اسرائيل بدليل انهُ دعي ملاك الرب خر ٣:٢ و٣. وكانت تلك العليقة اشارةً الى طبيعة المسيح البشرية التي تجلّى بها وكان من اسمائهِ الفصن وكانت نابتة في جبل سيناء ويقال لهُ حوريب ايضًا ومعناهُ الارض اليابسة كما ان طبيعة المسيح البشرية كانت اصلاً خارجًا من ارض يابسة. واما كونها مشتعلة بالنار فهو اشارةٌ الى آلام المسيح التي كانت تحت نار غضب الله. وكما ان اشتعالها لم يستطع ان يفنيها كذلك آلام المسيح ولو كانت قادحةً جدًّا لم تهلكهُ لكنهُ غلب عليها وقام منها. ولان ذلك كان فيهِ اشارةٌ الى سرّ تجسد المسيح وآلامهِ قال موسى اميل الآن لانظر هذا المنظر العظيم. وكان بالحقيقة منظرًا عظيمًا اذ أُشير فيهِ الى الاله متجسدًا متمثلاً موتًا فظيعًا وناهضًا من الموت

وقد كان موسى مخلص الكنيسة من يد فرعون ملك مصر كما ان المسيح بموته وآلامهِ خلّص شعبهُ من يد الشيطان الذي هو فرعون الروحي. وكما ان موسى خلص قومهُ من المشقّة والعبودية كذلك المسيح خلص شعبهُ من عبودية الخطية والشيطان. ذاك خلصهم من اتون الحديد والمسيح خلص كنيستهُ من اتون النار الابدي. ذاك خلصهم بيدٍ رفيعة وذراع منيعة وضربات هائلة على اعدائهم والمسيح يغلب الذين يقاومونهُ بالقدرة الباهرة وينزل الضربات الرائعة على اعداء كنيستهِ اذ يسحق راس الحية. ذاك خلصهم من الهلاك الذي حلّ على اعدائهم بواسطة رش دم حَمَل الفصح كما ان كنيسة الله تخلص من الموت الذي يحلُّ بالخطاة بواسطة رش دم المسيح. وكما ان الله اخرج بني اسرائيل رغمًا عن المصريين كذلك المسيح يخلص شعبهُ رغمًا عن الشيطان

ثم ان المسيح لم يخلص بني اسرائيل من المصريين فقط بل خلصهم من الشياطين آلهة مصر لانهم كانوا عبيدًا للمصريين ولآلهتهم ايضًا. وعلى ذلك نرى نسل المرأة المرموز بهِ عن المسيح قد انزل بنوع عجيب اللعنة المحكوم بها على الحية بسحقهِ راسها كما قيل اني اجتاز في ارض مصر هذه الليلة واضرب كل بكر في ارض مصر من الناس والبهائم واصنع احكامًا بكل آلهة المصريين خر ١٢: ١١. ولا ريب ان جهنم نفسها كانت مجتهدة في هذا العمل اكثر من مصر. والشيطان الذي هو الحية القديمة قد بذل جهدهُ في ذلك بكبريائهِ وقساوتهِ اكثر من فرعون. وكان يقاوم شعب الله بكل ما يمكنهُ ويحاول بكل استطاعتهِ ان يقف في طريق نجاتهم. الاَّ ان الله عزَّ وجلَّ عند ما انقذ شعبهُ من مصر سحق راسهُ وقهرهُ كما ورد في الزبور من قولهِ كسرت رؤوس التنانين على المياه انت رضضت رؤوس لوياثان جعلتهُ طعامًا للشعب لاهل البرية مز ٧٤: ١٣ و١٤ وان الله اضطرَّ اعداءهم ان يطلقوهم لكي يقدروا ان يعبدوهُ كما يلاحظ زكريا في كلامهِ عن الكنيسة تحت الانجيل راجع لو ١: ٧٤ و٧٥

وعند ما خرج بنو اسرائيل بيد قوية وكان المسيح يتقدمهم بعمود سحاب

ونار حصلت الغلبة العظيمة على الارض وجهنم معًا. واذ خرج فرعون وجنودهُ والشيطان بواسطتهم في اثر شعب الله غرَّقهم المسيح في البحر الاحمر وتعظم بالمجد كما قيل الفرس وراكبهُ طرحهما في البحر فماتوا هناك ولم يبقَ احد منهم يجدُّ في طلب اسرائيل بعد ذلك . وعلى هذا المنوال تغرق اعداء المسيح في دمهِ لان البحر الاحمر رمز لدم المسيح كما يظهر من تشبيه الرسول اجتياز بني اسرائيل في البحر الاحمر بالمعمودية اكو ١٠ : ١ و ٢ ولا يُنكَر ان ماء المعمودية رمز لدم المسيح . وبما ان دم المسيح الكريم كافٍ لخلاص جميع العالم وبسبب الآلام التي كابدها عند سفكهِ هذا الدم استحق ان يشار اليهِ بالبحر الاحمر

وهكذا نرى كيف ان المسيح انقذ بمحبتهِ ورأفتهِ شعب الله وحملهم كما يُحمَل على اجنحة النسور فلم يستطع احد من اعدائهم الارديا المتكبرين من المصريين والشياطين ان يسهم بضرر

ولا ريب ان هذا عمل آخر جديد قد عملهُ الله نحو عمل الفداء العظيم ولم يعمل قط شيئًا مثلهُ فيما مضى تث ٤ : ٣٢ الى ٣٤ . وهو لا محالة تقدُّم عظيم في العمل الذي ابتدأ بهِ منذ سقوط الانسان . ومنهُ يتضح ان العناية الالهية قد اكملت امرًا عظيمًا يتجه الى الاستعداد لمجيء المسيح الى العالم لكي يتم الفداء العظيم الابدي بواسطة سفك دمهِ الكريم لان هذا الشعب هو الشعب الذي كان المسيح مزمعًا ان يأتي منهُ . وهنا نرى كيف ان الغرس الذي جعلهُ الله في ابرهيم قد نما واخصب . ثم انهُ وان تكن العائلة التي يأتي منها المسيح قد انفصلت قبل هذا الوقت بدعوة ابرهيم عن سائر قبائل العالم الاَّ ان ذلك الانفصال لم يكن كافيًا . لانهم ولو كانوا بواسطتهِ لم يزالوا كغرباء ومسافرين بين الشعوب الذين عاشروهم ومحفوظين من الاتحاد معهم فكانوا مختلطين بهم وعلى خطر من ترك الديانة الحقيقية وعبادة اوثان الامم المجاورة لهم . ولكن الله باخراجهِ اياهم من مصر على هذا المنوال قد فصل بينهم وبين بقية الشعوب وجعلهم ينفردون في الاحكام والديانة من دون اختلاط بالامم الوثنية . وبذلك صارت كنيسة

المسيح محفوظةً من الزيغ وحافظةً لكلام الله. وقد حُفِظت فيها الرموز والنبوّات المتعلقة بالمسيح مع ما سبق من الاخبار والتعاليم الالهية . وكل ذلك يحتاج اليهِ لاجل تمهيد الطريق لاتيان المسيح

(٢) كما افرز الله هذا الشعب لكي يكون شعبهُ الخاص رفض سائر الشعوب الآخرين باسرهم رفضًا تامًّا وتركهم الى عبادة الاوثان . وذلك من جملة اعمال عناية الله في اعداد الطريق لمجيء المسيح وللخلاص العظيم الذي كان عتيدًا ان يكمل بهِ . لان ذلك انما كان استعدادًا لغلبة قوة المسيح ونعمتهِ على الاشرار وانتصارهِ عليهم بطريقٍ امجد واعجب ولكي يكون خلاص البشر بالمسيح اظهر واوضح . وذلك مطابقٌ لما تخبرنا بهِ الكتب المقدسة من هذا القبيل في اماكن عديدة . ومن ذلك ما يذكرهُ الرسول في كلامهِ عن المرتدّين من الامم حيث يقول فانهُ كما كنتم انتم مرَّةً لا تطيعون الله ولكن الآن رُحِمتم بعصيان هولاء هكذا هولاء ايضًا الآن لم يطيعوا لكي يُرحَموا هم ايضًا برحمتكم رو ١١ : ٣٠ و٣٢ كانهُ يقول ان الله قصد ان العالم باسرهِ من اليهود والامم يقع في عدم الايمان على نوعٍ ظاهر منظور لكي تكون رحمة الله وخلاص المسيح لهم ظاهرين منظورين ايضًا . والرسول لا يتكلَّم هنا بالخصوص عن عدم الايمان الذي هو من صفات شعب الله المؤمنين وغيرهم بوجه العموم بل يتكلم ايضًا عن عدم الايمان الظاهر المنظور كالذي سقط فيهِ اليهود عند ما رفضوا المسيح جهارًا وتركوا الاقرار بالله . وهو يلاحظ هنا كيف ان المرتدّين من الامم كانوا قبل مجيء المسيح في عدم ايمانٍ ظاهر ومقاومة جهارية للديانة الحقيقية وذلك لاجل تمهيد الطريق لدعوة الامم التي كانت بعد ذلك بزمان يسير لكي تكون رحمة الله اكثر ظهورًا لهم . ويلاحظ ايضًا كيف ان اليهود رُذِلوا وخرجوا من الكنيسة المنظورة لاجل تمهيد الطريق لدعوتهم التي سوف تكون في الايام الاخيرة . وذلك لكي يتضح لجميع الشعوب من اليهود والامم ان المسيح هو الذي بواسطة سفك دمهِ جعلهم جميعًا ذوي قرابةٍ بعد ما كانوا اجنبيين عن رعوية اسرائيل

وبلا رجاء ولا اله في العالم

ولا يمكننا ان نعين بالتحقيق الوقت الذي حاد فيهِ جميع قبائل الامم عن الاله الحقيقي وكفروا بهِ كفرًا ظاهرًا . وقد تقدَّم الكلام انهم سقطوا في الكفر شيئًا فشيئًا . وقد كان ذلك عموميًّا في ايام ابرهيم لكن بقي بعض اناس لم يسقطوا فيهِ . لاننا في هذا العصر نرى ملكي صادق احد ملوك كنعان كان حبرًا لله العلي . وبقيت الديانة بعد ذلك الى حينٍ محفوظة بين البعض من بقايا نسل ابرهيم فضلاً عن عائلة يعقوب . كما كان بين البعض من بني ناحور وايضًا مثل ايوب واصدقائهِ الثلاثة وغيرهم . وكانت ارض عوص حيث كان ايوب ساكنًا تحت ولاية بني عوص بن ناحور اخي ابرهيم المذكور في سفر التكوين ٢٢: ٢١ وبلداد الشوحي كان من نسل شوح بن ابرهيم من زوجتهِ قطورة تك ٢٥: ١ و٢ . واليهو البوزي كان من نسل بوز بن ناحور اخي ابرهيم اي ٣٢: ٢ و٦ وتك ٢٢: ٢١ . فيتضح من ذلك ان الديانة الحقيقية بقيت بعد ابرهيم بمدةٍ من الزمان بين شعوب غير بني اسرائيل . الاَّ انها لم تثبت مدةً طويلة وربما انهم لم يرفضوا الديانة الحقيقيّة رفضًا تامًّا ويتبعوا الآلهة الغريبة الاَّ بقرب الوقت الذي افرز الله فيهِ بني اسرائيل من المصريين لكي يعبدوهُ . لانهُ تعالى في هذا الوقت كان يذكّرهم مرارًا بانهُ انما اخرجهم من وسط هولاء القوم لكي يكونوا شعبهُ الخاص او لكي يتميزوا عن جميع الشعوب الموجودين على وجه الارض ويعرفوا انهم وحدهم شعبهُ وخاصتهُ وان الباقين مرذولون لديهِ . والظاهر من ذلك ان الله اختارهم في هذا الوقت على وجهٍ يظهر منهُ جليًّا انهُ رفض جميع الشعوب الآخرين في العالم حتى انهُ تعالى اتى ظاهرًا ونزل فيما بينهم تاركًا سائر القبائل . وكما ان دعوة الامم الاولى بعد مجيء المسيح كانت مقرونة برفض اليهود كذلك دعوة اليهود الاولى ان يكونوا شعب الله الخاص عند خروجهم من مصر كانت مقرونة برفض الامم

فقد ظهر من ذلك ان جميع الشعوب في العالم ما عدا بني اسرائيل وخلفاءهم

كانوا منهورين في عبادة الاوثان ولبثوا كذلك حتى جاء المسيح وكانت تلك المدة نحو الف وخمس مئة سنة وقد بقوا كل هذه المدة في الكفر لكي يكون ذلك بيانًا قاطعًا للاحتياج الى مخلص . وبيان من هذا الامتحان الطويل ان الجنس البشري عاجزٌ بالكلية عن استنقاذ نفسهِ من تلك الظلمة المدلهمَّة والعبودية للشيطان التي كانوا ساقطين بها وان فلاسفة الامم بكل حكمتهم لم يقدروا ان ينقذوهم من الظلام المستحوذ عليهم . وذلك لكي يتعاظم مجد المسيح الذي عند مجيئهِ انارهم وخلصهم بانجيلهِ المجيد . ولا ريب ان ذلك يظهر حكمة الله العجيبة في اعدادهِ الطريق على هذا المنوال للنداء بالمسيح كما يعلمنا الرسول بقولهِ لانهُ اذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله ان يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة اكو ١ : ٢١

(٣) ان مما عملهُ الله نحو عمل الفداء اعطاءهُ الشريعة الادبية على جبل سيناء بطريقةٍ هائلة رهيبة . ولا ريب ان هذا امر آخر جديد قد عملهُ الله نحو هذا العمل العظيم كما ذُكر في سفر التثنية من قولهِ هل سمع شعبٌ صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمعت انت وعاش تث ٤ : ٣٣ . وهو امرٌ عظيمٌ على كل حال سواء اعتبرناهُ اظهارًا جديدًا لعهد الاعمال ام دستورًا للحياة

وقد ظهر هنا عهد الاعمال كمرشدٍ ينقاد الناس الى المسيح ليس لاجل منفعة ذلك الشعب الذي كان تحت العهد القديم فقط بل لاجل منفعة كنيسة الله في جميع الاجيال ايضًا . وهو واسطةٌ يستعملها الفادي لاجل اقناع الناس بانهم خطاة اشرار وعاجزون عن تخليص انفسهم وبان الله ذو مهابةٍ رهيبة وعدل صارم وذلك عند النظر اليهِ كديان . وهذا الاعتبار لا محالة يجعل الناس يشعرون باضطرارهم الى المسيح في امر الخلاص . وهذا العمل الفدائيُّ عند تأثيرهِ المنفذ في نفوس الناس بالتدريج لا يمكن اتمامهُ خلوًا من استعمال هذه الشريعة المعطاة على جبل سيناء

وقد أُعطيت هذه الشريعة بطريقةٍ هائلة وصوتٍ شديد مخيف حتى ان

جميع الشعب في المعسكر كانوا يرتجفون . وكذلك موسى نفسهُ مع انهُ خليل الله قال انا مرتعبٌ ومرتعدٌ . وكان مع ذلك الصوت بروقٌ ورعود وكان الجبل يشتعل بالنار الى وسط السماء والارض ترتجُّ وترتعد . وقد كان كل ذلك لكي يشعر الجميع بعظمة السلطان والقدرة والعدل الطالبة لتكميل هذه الشريعة وبشدة الغضب الذي يحلُّ على كل من تعدَّاها . لكي يشعر الناس ويتحققوا انهُ لا يمكن نوال الخلاص بواسطة اعمال الشريعة وانهم محتاجون في الغاية الى وسيط

واذا اعتبرنا الشريعة المعطاة على جبل سيناء لا كعهدٍ للاعمال بل كدستورٍ لحياة فاننا نرى الفادي قد استعملها من ذلك الوقت ولا يزال يستعملهـا الى نهاية العالم كمرشد لشعبهِ يهديهم الى الطريق التي ينبغي ان يسيروا فيهـا اذا كانوا يريدون الوصول الى السماء . لان الطاعة لهذه الشريعة باخلاصٍ واجتهاد هي الطريق الضيقة المؤدية الى الحياة

(٤) في هذه المقالة كان اعطاء الله الشريعة الرمزية اي السنن والفرائض غير المختصَّة بالشريعة الادبية . وهي تحتوي على الشرائع المسماة غالبًا طقسية لتضمنهـا طقوس العبادة اليهودية مع سائر ظروفها وعلى الشرائع المدنية ايضًا المرسومة لاجل سياسة اليهود المدعوة غالبًا قضائية لان كثيرًا منها كان رمزيًّا . فكان اعطاء الشريعة الرمزية امرًا آخر جديدًا يتجَّه الى اثبات عمل الفداء العظيم واتمامهِ . وكان قبل هذه الايام اعمالٌ كثيرة رمزية صادرة عن عناية الله تشير الى المسيح والفداء بهِ وبعض سنن رمزية كالختان والذبائح . واما الآن فعوض ان يشار الى الفادي بواسطة سنن وفرائض يسيرة قد رسم الله شريعةً مملوءة من الرموز والاشارات الى الامور الصالحة المزمعة ان تكون . وهذه الرموز من شانها ان تتجَّه باليهود شعب اسرائيل كل سنة وكل شهر بل كل يوم في اعمالهم الدينية والسياسية الى شيءٍ ما يختص بالفادي . فكل طقسٍ يدلُّ على تعليم او منفعة او شيءٍ آخر من هذا القبيل حتى صارت كل الامَّة بواسطة هذه الشريعة كانها

مركبة من الطقوس والرموز. وعلى هذا المنوال سبق فتقدم لهم الانجيل حتى انهُ قلما وُجِد فيهِ تعليمٌ لم تسبق الاشارة اليهِ او التعليم بهِ على وجهٍ مخصوص بواسطة شيءٍ من محفوظات هذه الشريعة ولو كان ظلاًّ فقط وتحت سترٍ كما كان موسى يغطي وجههُ اللامع بالبرقع . وقد اختص بهذه الشريعة الرمزية جميع السنن المتعلقة ببناء الخيمة في البرية وهيئتها واوانيها وادواتها وهلمَّ جرًّا

(٥) ان الله في هذه الفترة سلَّم الكنيسة كلامهُ الاول المُكتَتَب . وذلك لاستحالة عملٌ عظيمٌ نحو الفداء وتقدُّم جديدٌ في البنيان وشروعٌ في تلك الشريعة المكتوبة التي اعطانا اياها الله لاجل ارشادنا في الايمان والعبادة والعمل الى انتهاء العالم . وقد اخذت هذه الشريعة في النمو والزيادة من ذلك الوقت متسلسلةً في اجيالٍ عديدة الى ان كملت وخُتِمت الكتب المنزلة عن يد يوحنا الرسول . وليس مما يعنينا كثيرًا ان نعرف هل كانت الكلمة التي كُتبت اولاً هي العشر الوصايا المكتوبة باصبع الله على اللوحين الحجريين ام سفر ايوب . وهل الذي كتب سفر ايوب هو موسى كما ذهب اليهِ جماعةٌ ام اليهو كما ذهب آخرون . وعلى افتراض الثاني يكون سفر ايوب قد كُتب قبل هذه الايام وليس ذلك ببعيدٍ ومما يعضدهُ اعتبار اصل الاشخاص المذكورين في هذا السفر وكبر ايوب في السنّ قبل كتابتهِ

ثم ان كلام الله المُكتَتب هو الآلة الكبرى المستعملة من المسيح في كل الاجيال لتكميل عمل الفداء . ولا يخفى احتياج هذه الاعصار الى اكتتاب كلام الله لكي يكون دستورًا راسخًا لكنيستهِ . وقد كانت الكنيسة في ما مضى حافظةً كلام الله بالتقليد خَلَفًا عن سَلَف وذلك اما عن السنة اناسٍ ثقات اتقياء ملهمين من الله كانوا حينئذٍ احياء او عن السنة اجيالٍ سالفة نُقِلت الكلمة عنهم ولاجل طول اعمار الناس في تلك الايام بقيت محفوظة من دون تحريف . فانهُ كان ممكنًا لنوح ان يتكلم مع متوشالح الذي كان في ايام آدم وينقل عنهُ شيئًا من التقليد . ونوح عاش الى قرب ايام ابرهيم . وبنو يعقوب عاشوا زمانًا يكفي

ان يسلّموا لبنيهم في مصر ما أُوحي بهِ الى ابرهيم واسحق ويعقوب . ولكن لاجل طول المدة وبُعدها عن ابتداء الامور بهذا المقدار وقصر حياة الانسان التي وصلت الى حدّها الحاضر في ايام موسى وانتخاب الله شعبًا لهُ وتخصيصهِ بهِ وافامتهِ اياهُ لاجل المحافظة على كلامهِ قد وجد سبحانهُ ان هذا الوقت موافقٌ لكتابة كلامهِ لكي يكون في المستقبل دستورًا راسخًا لجميع الاجيال التالية فكتب المسيح ما عدا سفر ايوب الوصايا العشر على لوحين من حجر باصبعهِ . ثم كُتبت الشريعة التي هي خلاصة كتب موسى الخمسة بامر من الله ودُعيت كتاب الشريعة ووُضعت في الخيمة لتكون محفوظةً فيها لاجل فائدة الكنيسة تث ٣١ : ٢٤ الى ٢٦

(٦) ان الله قد ارتضى في هذه المدة ان يبين على نوع عجيب كيفية تقدم كنيستهِ المفتداة في هذا العالم الى ميراثها الابدي . وذلك بواسطة تيه بني اسرائيل في البرية عند خروجهم من مصر الى ارض كنعان . ويوجد اشاراتٌ متنوعة الى درجات الفداء المتنوعة التي ترتقي بها كنيسة المسيح من ابتدائها الى ان تحصل على المجد الكامل في السماء . فان الحالة التي يُفتدَون منها يشار اليها بمصر وبعبوديتهم التي تركوها هناك . وافتداؤهم يشار اليهِ بتقدمة خروف الفصح الذي قُرِّب في الليلة التي قتل الله فيها ابكار المصريين . وابتداء استعمال الفداء لكنيسة المسيح عند ارتدادها يشار اليهِ بخروج بني اسرائيل من مصر واجتيازهم في البحر الاحمر على نوعٍ عجيب فائق الطبيعة . ويشار الى سَفَر الكنيسة في هذا العالم الخبيث والتغيُّرات المختلفة التي تحصل لها بسفَر بني اسرائيل في البرية . وطريقة اقتياد المسيح لها يشار اليها باقتياد بني اسرائيل بعمود من السحاب نهارًا وعمودٍ من النار ليلاً . وكيفية اعانة الكنيسة في سعيها واعالتها بالطعام الروحي والمناجاة مع الله يومًا فيومًا يشار اليها باعالة الله بني اسرائيل بالمن الذي انزلهُ من السماء والمياه التي اخرجها من الصخرة . ويشار الى المخاطر التي تصادف الابرار في هذا العالم بالحيّات المحرقة التي صادفت بني اسرائيل في البرية . ويشار الى حروب الكنيسة مع اعدائها بحروب بني اسرائيل مع العمالقة وغيرهم . وهلمَّ جرًّا مما يدلُّ

واضحًا على ما يصيب الكنيسة والقديسين في جميع الاجيال ولا حاجة الى استيفاء ذلك بالتفصيل للاستغناء عنهُ بما ذكرناهُ . وكون هذه الاشياء رمزيَّة يظهر من قول الرسول فهذه الامور جميعها اصابتهم مثالاً وكُتبت لانذارنا نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور اكو ١٠ : ١١ . ولا يخفى ان الرسول يتكلم هنا عن نفس الامور التي ذكرناها ويصرح بانها عرضت لهم مثالاً

(٧) انهُ يوجد امرٌ آخر من اعمال العناية الالهية العظيمة في هذه المدة نحو الجنس البشري مما يجب ان لا نغفل عن ذكرهِ وهو تقصير حياة الانسان فانها بعد ان كانت بين تسع مئة والف سنة قد قصرت حتى صارت نحو سبعين او ثمانين سنة . وقد اخذت في التصرف يسيرًا فصارت في الجيل الاول ست مئة سنة . وفي الثاني بين اربع مئة وثلاث مئة . ولم تزل تقصر شيئًا فشيئًا الى نحو الزمان الذي وقع فيهِ الفناء العظيم في بني اسرائيل . وذلك بعد ان تذمروا على الله عند استماعهم خبر الجواسيس فسقطت جثثهم في البرية ومات جميع رجال القتال . ولم تزل تقصر حياة الانسان حتى انتهت الى حالها الحاضر كما ذكر موسى النبي في المزمور الذي كتبهُ عند وقوع ذلك الفناء بقولهِ ايام سنينا هي سبعون سنة وان كانت مع القوة فثمانون سنة وافخرها تعب وبليَّة لانها تُقرَض سريعًا فنطير مز ٩٠ : ١٠

ولا ريب ان قصر حياة الانسان يجعل الناس المساكين يقبلون باكثر سهولة واعظم سرور بشارة الحياة الابدية البهجة التي أُعلنت بالانجيل ويتضمنون الخلاص الذي اشترى مثل هذه البركة وقدَّمها لهم من اقرب طريقٍ . ولو بقيت حياة الانسان طويلة كما كانت قديمًا لكانت الاسباب المحركة الى اعتبار الحياة الآتية اقلَّ مما هي الآن وكانت الاسباب التي تحركنا الى الارتياح في امور هذا العالم والتغافل عن العالم الابدي اقوى مما نراها الآن . وربما كان طول الحياة من اكبر اسباب شرّ العالم قبل الطوفان . واما الآن فما اعظم الاسباب المحركة الى طلب الفداء بالمسيح والجدّ في التماس حياةٍ افضل من هذه الحياة

بواسطة الفادي العظيم . لان حياة الانسان الآن ليست جزءًا من اثني عشر بالنسبة الى ما كانت قديمًا . حتى ان الناس يموتون الآن غالبًا في السنّ الذي كانوا يبلغون فيهِ في الايام القديمة

(٨) من جهة الاعمال المتجهة نحو الفداء في هذه المدة حفظ الله للشعب الذي كان المسيح عتيدًا ان يأتي منهُ وصيانتهُ من الهلاك بالكلية عند ما كان في البرية . وذلك باعجوبةٍ غير منقطعة مدة اربعين سنة . وكان ذلك على نوع عجيب فحفظ نوح واهل بيتهِ من الطوفان . وابرهيم واسحق ويعقوب وعيالهم من سكان ارض كنعان . وبواسطة يوسف حفظ اهل بيت يعقوب من الهلاك بالجوع . ولكن حفظ الاسرائيليين في البرية كان في بعض اوجه اعظم من هذه جميعها لانهُ كان باعجوبة متصلة الى مدة طويلة وكان عددهم في اول الامر مليونين من الانفس ولولا عناية الله العجيبة لكانوا هلكوا جميعًا في شهر واحد ولم يبقَ احدٌ منهم . ولكن الله بعنايتهِ الفائقة قد حفظ هذا الجمهور الغفير مدة اربعين سنة في ارض مقفرة لا يحرثون ولا يزرعون ولا يحصدون وكان يمطر عليهم خبزًا من السماء ويعطيهم ماء من الصخرة والثياب التي خرجوا بها من مصر بقيت عليهم كل هذا الزمان غير بالية . ولا يوجد في التاريخ مثالٌ لهذا العمل العظيم قد حُفظت فيهِ امةٌ على هذا المنوال مدةً طويلة هكذا . وبحسب ذلك نجد ان الله قد حفظ كنيستهُ باعجوبةٍ غير منقطعة وابقى في الحياة ذلك الشعب الذي كانت فيهِ البركة وهي فادي العالم المجيد

(٩) قد سرَّ الله في هذه المدة ان يوحي عن المسيح الفادي بواسطة النبوات او الاخبار بهِ قبل مجيئهِ . ومن هذه النبوات ثلاثٌ تستحق ان تُفرَد بالذكر في هذا الكتاب . الاولى نبوة بلعام حيث يقول اراهُ ولكن ليس الآن . ابصرهُ ولكن ليس قريبًا . يبرز كوكبٌ من يعقوب ويقوم قضيبٌ من اسرائيل فيحطّم طَرَفي موآب ويهلك كل بني الوغا . ويكون ادوم ميراثًا وتكون سعير اعداؤهُ ميراثًا . ويصنع اسرائيل ببأس . ويتسلّط الذي من يعقوب ويهلك الشارد من

مدينةٍ عد ١٧:٢٤ الى ١٩. وهذه النبوة عن المسيح هي اوضح من كل نبوةٍ تقدمتها ولا سيما بالنظر الى وظيفة المسيح كملك. ولكن يوجد نبوةٌ عن المسيح اوضح من هذه وعلى الخصوص من حيث وظيفتهِ كنبي. وهذه النبوة قد تنبأ بها موسى وهي قولهُ تعالى اقيم لهم نبيًّا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمهِ فيكلمهم بكل ما اوصيهِ بهِ الى آخرهِ تث ١٨:١٨. وكونها اوضح مما قبلها هو لان جميع النبوات التي تقدمتها قد أُوردت بعبارات مجازية سرّية كالنبوة الاولى التي وردت عنهُ انهُ المجد وهي قولهُ تعالى ان نسل المرأة يسحق راس الحية وكذلك المواعيد لابرهيم واسحق ويعقوب ان بنسلهم يتبارك جميع قبائل الارض فان هذه النبوات كانت سرّية غير مفيدة مثل هذه لان قولهُ تعالى بنسلك عامٌ ولا يلزم حصرهُ في شخص مخصوص. ومن هذا القبيل كانت نبوة يعقوب في بركتهِ ليهوذا كما هو مذكورٌ في سفر التكوين ٨:٤٩. وهكذا نبوة بلعام التي يذكر فيها على سبيل المجاز عن المسيح انهُ كوكبٌ. وذلك بخلاف نبوة موسى فانها واضحة ظاهرة مجردة عن العبارات السرّية

ثم ان هذه النبوة تتضمن اموراً كثيرة عن المسيح. فانها في العدد السادس عشر تذكر وظيفتهُ كوسيط وتعلمنا كيف يقوم بين ذلك الشعب وبين الله ذي الجلال الرهيب والقداسة والعدل بحيث لا يمكنهم ان يدنوا منهُ ويخاطبوهُ مشافهةً من دون وسيط يتوسط بين الفريقين. لانهم اذا تقدموا الى الهٍ نظيرهِ منتقم من الخطاة وليس لهم واسطةٌ يكون لهم كنار آكلة وبموتون لا محالة. وكذلك تذكر هذه النبوة ايضًا وظيفتهُ النبوية حيث يقول تعالى اقيم لهم نبيًّا من وسط اخوتهم مثلك الى آخرهِ. وتخبرنا ايضًا انهُ يكون في هذه الوظيفة مثل موسى الذي كان قائدًا ورئيسًا لجميع الشعب وقد انقذهم بامر الله من مصر اذ اخرجهم من بيت العبودية. وكان ايضًا راعيًا لهم لان الله اجازهم على يدهِ في البحر الاحمر والبرية وشفيعًا لهم عند الله ونبيًّا وملكًا في الجماعة لانهُ كانت لهُ قوة ملكٍ فيما بينهم حتى قيل عنهُ انهُ كان ملكًا في يشورون تث ٥:٣٣. وهو النبي الذي بنى

الله كنبيسته على يدهِ وبواسطتهِ اعطى بني اسرائيل سنن العبادة وهكذا المسيح كان عتيدًا ان يكون نبيًّا نظير موسى . وعلى ذلك تكون هذه النبوة اوضح النبوات الوارد عن المسيح واكملها

واما النبوة الآتي ذكرها فانها تختص بدعوة الامم بعد مجيء المسيح وهي قولهُ تعالى هم اغاروني بما ليس الهًا اغاظوني بابا طيلهم . فانا اغيرهم بما ليس شعبًا بامة غبية اغيظهم تث ٣٢ : ٢١ . وهذه نبوة واضحة عن رفض اليهود ودعوة الامم . وكما ان اليهود اغاروا الله اذ تركوهُ واتخذوا غيرهُ ما ليس بالهٍ هكذا الله يقول انهُ يغيرهم على هذا المنوال برفضهِ اياهم واتخاذهِ غيرهم من ليس بشعبٍ لهُ . وبولس الرسول قد اقتبس هذه الآية مستدلاً بها على دعوة الامم حيث يقول لكني اقول العل اسرائيل لم يعلم اولاً موسى يقول اغيركم بما ليس امةً بامة غبية اغيظكم ثم اشعياء يتجاسر ويقول وُجِدتُ من الذين لم يطلبوني وصرتُ ظاهرًا للذين لم يسألوا عني رو ١٠ : ١٩ و ٢٠

فيظهر من ذلك جميعهِ كيف ان نور الانجيل الذي ابتدأ اولاً يشرق بعد السقوط اخذ في الزيادة شيئًا فشيئًا بالتدريج حتى وصل الى زمان المسيح

(١٠) ان من جملة ما عملهُ الله نحو الفداء في هذه الفترة افاضة روحهِ على الشبَّان في البرية . ان الجيل الذي كان عند خروج بني اسرائيل من مصر في سن عشرين سنة فما فوق كان عاصيًا متمردًا لانهم تنجسوا باوثان مصر ونجاساتها ولم يفطموا منها حز ٢٠ : ٦ الى ٨ . ولذلك عملوا العجل الذهبي اقتداء بالمصريين الذين كان من عادتهم عبادة العجول والثيران . ومن ثمَّ دُعيت المواشي رجس المصريين اي اوثانهم . فغضب الله جدًّا على هذا الجيل واقسم بغضبهِ انهم لن يدخلوا راحتهُ . واما الجيل الذي كان دون العشرين سنة من العمر فلما خرجوا من مصر لم يكونوا كذلك كما يتضح من قولهِ تعالى واما اطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمةً فاني سادخلهم فيعرفون الارض التي احتقرتموها عد ١٤ : ٣١ . وهذا هو الجيل الذي تجدَّد معهُ العهد كما يذكر في سفر التثنية

ودخل ارض كنعان وقد ارتضى الله ان يجعل هذا الجبل شعبًا لاجل سيدهِ لانهُ كان مشهورًا بالقنوى كما يبان من عدة اقوال وردت عنهُ وعلى الخصوص قول ارميا قد ذكرت لكِ غيرة صباكِ محبة خطبتكِ ذهابكِ ورائي في البرية في ارض غير مزروعة . اسرائيل قدس للرب اوائل غلتهِ ار ٢ : ٢ و ٣. فانهُ يتكلم هنا عن هذا الجيل الذي اتبع الله في البرية بديحٍ وشكر عظيم ويشبّه محبتهم لله بمحبة العروس لخطبتها . وذلك حين اتبعوهُ في تلك البرية الهائلة بعد ان رجعوا من قادش برنيع كما قيل الذي سار بك في القفر العظيم المخوف مكان حيات محرقة وعقارب وعطش حيث ليس ماء تث ٨ : ١٥. ثم ان هذا الجيل قد اصابتهُ تجارب وبلايا اعظم مما اصاب جيل آبائهِ قبل اتيانهم الى قادش برنيع لكنهُ لم يتقمقم قط على الله كما فعل آباؤهُ بل كان تأثير الشدائد فيهِ انها كانت واسطة لتنبيههِ وتسليمهِ وتواضعهِ واعدادهِ لقبول رحمة عظيمة بخلاف ما كان في اوائك . وهكذا بواسطة المصائب التي القاها الله على آبائهم حتى سقطت جثثهم في البرية تنبّهوا واستفاقوا من غفلتهم . وبواسطة افاضة الله روحهُ عليهم وانزالهِ بهم هذه البلايا المنبّهة وسفرهم في البرية وكلام الله الذي انذرهم بهِ موسى عرفوا خبث قلوبهم وتواضعوا قدام الله ورجعوا اليهِ رجوعًا خالصًا كما قيل وتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب الهك هذه الاربعين السنة في القفر لكي يذلك ويجرّبك ليعرف ما في قلبك أتحفظ وصاياهُ ام لا فاذلّك واجاعك الى آخره تث ٨ : ٢ و ٣ وقيل ايضًا في هذا الاصحاح عينهِ الذي سار بك في القفر العظيم المخوف لكي يحسن اليك في آخرتك ع ١٥ و ١٦. ولذلك يقول هوشع النبي انا عرفتك في البرية في ارض العطش هو ١٣ : ٥. فان الله قد تلطف لهم واتى بهم الى البرية وتكلم الى قلوبهم كما تنبأ هوشع ايضًا هو ٢ : ١٤

واما الاحكام الهائلة التي انزلها الله على الجماعة بعد رجوعهم من قادش برنيع في قضية قورح وفغور فقد كانت بالخصوص على الجبل القديم الذي افناهُ

الله في البرية. وكان ذلك العصيان في الاكثر بين شيوخ الجماعة الذين دُفِعوا الى شهوات قلوبهم وساروا بحسب مؤامرتهم فغضب الله على اعمالهم اربعين سنة في البرية

وبرارة هذا الجيل تظهر من تاريخهم جميعهِ لان الجيل الاول كان شريرًا فاصابتهُ اللعنات من كل جهةٍ . واما ابناء هذا الجيل فقد كانوا ابرارًا ولهذا نراهم قد نالوا بركاتٍ عظيمة لان الله عمل لهم اعمالاً نفيسة فحارب عنهم وملَّكهم ارض كنعان . وقد جرت عادتهُ تعالى اذا اراد ان يمنح بركاتهِ لشعبٍ ان يعدَّ ذلك الشعب لقبول تلك البركات ثم يفيضها عليهِ كما اعدَّ هولاء فانهُ اعطاهم اولاً الايمان بهِ وجعلهم يغلبون بالايمان سيحون وعوج وجبابرة ارض كنعان . وقد مدحهم يشوع على تمسكهم بالرب قائلاً لهم . ولكن الصقوا بالرب الهكم كما فعلتم الى هذا اليوم يش ٢٣ : ٨ . ولكن بعد وفاة يشوع وموت كل هذا الجيل قام جيلٌ آخر لم يعرف الرب . وقد ظهر من ذلك الجيل الصالح غيرةٌ عظيمةٌ نحو الله في امورٍ كثيرة كما في خطية عخان . وعلى الخصوص عند ما اقام السبطان ونصفٌ مذبحًا ضد مذبح المحرقات . ولم يُذكر جيلٌ في بني اسرائيل كثير الصالحات وقليل السيئات نظير هذا الجيل الذي في ايامهِ كان الخنان الثاني العمومي الذي بواسطتهِ زال العار عن بني اسرائيل بالكلية وصاروا اطهارًا . ثم عند ما تنجسوا بعد ذلك بواسطة عخان طهَّروا انفسهم ثانيةً

ثم بعد موت رجال الجيل السابق وتقديس الله لهذا الجيل جدد سبحانهُ العهد مع بني اسرائيل باحتفالٍ عظيم كما تخبرنا عن ذلك الاسفار المقدسة ولاسيما الاصحاح التاسع والعشرون من سفر التثنية . ولا ريب ان تجديد العهد على هذا المنوال اذا كان معهُ حلول الروح القدس يكون منهُ اصلاح عمومي كما كان في ايام حزقيا ويوشيا . ولا نعلم بالتحقيق انهُ حصل نموٌّ في الديانة بين شعب اسرائيل في احد الازمنة كما حصل في هذا الجيل . وكما ان الديانة المسيحية كانت في ايام الرسل نامية مزهرة كذلك كانت كنيسة اليهود في اول تأسيسها في ايام موسى

ويشوع

ومن ذلك يتضح ان الله في هذا الجيل اعطى عمل الفداء تقدمًا ونجاحًا عظيمًا بواسطة كلامهِ وفيض روحهِ القدوس . الذي ليس هو فقط في نفسهِ مثالٌ جليلٌ نظرًا الى موضوعهِ بل ايضًا من حيث ان الله استعان بهِ لاجل توطيد اركان الكنيسة الاسرائيلية عند ما ابتدأت تحفظ وصاياهُ في ارض كنعان كما ان حلول الروح في ابتداء الكنيسة المسيحية كان واسطة عظيمة لتوطيدها في سائر الاجيال التالية

(١١) ان مما اريد ان اذكرهُ في هذا الباب من حوادث هذه الفترة افتياد الله شعب اسرائيل على يد يشوع وادخالهم الى الارض التي كان المسيح عتيدًا ان يولد فيها وكانت رمزًا عظيمًا لكنعان السموية المشتراة بدم المسيح . ولا يخفى ان يشوع كان من نسل يوسف وهو رمزٌ عظيمٌ للمسيح . ولهذا قيل له الراعي صخر اسرائيل تك ٤٩ : ٢٤ . وبناء على كونهِ رمزًا قويًا للمسيح تسمّى باسمهِ لان يشوع ويسوع اسمٌ واحدٌ

وقد ملّك الله شعبهُ هذه الارض بعد ما قهر سكانها الاصليين وجبابرتها الاقوياء كما ان المسيح قهر الشيطان العدوّ الجبار . فان الله قهر اولاً الملوك العظام الذين كانوا في شرقي الاردن سيحون ملك الاموريين وعوج ملك باشان . ثم شقّ بعد ذلك نهر الاردن كما شقّ فيما مضى البحر الاحمر وجعل اسوار اريحا تسقط من صوت ابواق الكهنة وكان ذلك الصوت رمزًا لصوت الانجيل الذي تنادي بهِ خدام الكلمة واسوار اريحا الشقية رمزًا لاسوار مملكة الشيطان . ثم اهلك بعد ذلك جيش الاموريين العظيم في ايام الملوك الخمسة حين امر بوقوف الشمس والقمر عن سيرهما لكي يعين الشعب على اعدائهِ . وذلك بواسطة يشوع الذي هو رمزٌ ليسوع كما تقدّم . ومن هنا يتضح كيف ان الله يُخضع الطبيعة نفسها لعمل الفداء العظيم ويحوّل كل شيء الى خير شعبهِ المُفتدى

وقد اظهر المسيح محبتهُ لشعبهِ بهذا المقدار حتى جعل الطبيعة خاضعة

لمساعدتهم وبيّن لنا ان الشمس والقمر وسائر الاشياء من المنظورات وغيرها موقوفةٌ لهم باشترائهِ اياها . ونرى المسيح في الوقت نفسهِ يحارب عنهم كقائد جيشٍ لهم وينزل حجارة بَرَدٍ عظيمة على رؤوس اعدائهم فتهلك منهم اكثر ما يُقتل بسيف اسرائيل . ثم بعد ذلك اعطى المسيح هذا الشعب غلبة عظيمة على جيشٍ اعظم من هذا في شمالي الارض من الذين اجتمعوا على مياه ميروم كالرمل الذي على شاطئ البحر يش ١١ : ٥

ثم ان الله قد اعطى الشعب الذي كان المسيح عتيدًا ان يخرج منهُ تلك الارض التي كان مزمعًا ان يُولَد فيها ويتربى ويشر ويعمل الآيات ثم يموت ويقوم من الاموات ويصعد منها الى السماء التي كانت هذه الارض رمزًا لها

(١٢) ان مما عملهُ الله لنجاح هذا العمل اثبات عبادتهِ المأمور بها واجراءها بالفعل بين الشعب حسبما ترتبت قبلاً في البرية . وقد تعيّنت هذه العبادة على جبل سيناء وكانت استعدادًا لمجيء المسيح لان طقوسها الكثيرة تشير اليهِ والى فدائهِ المزمع . وبما انهم كانوا في البرية غير ثابتين في مكانٍ واحد كان كثيرٌ منها لا يمكن حفظهُ . وكذلك كانت هناك فرائض وسنن كثيرة مختصة بارض كنعان وباماكن سكناهم فيها فلم يمكنهم استعمالها وحفظها بالفعل حتى جاءوا الى تلك الارض . واما الآن فعند ما تمّ كل ذلك وضع الله خيمتهُ في وسط شعبهِ كما وعدهم بقولهِ واجعل مسكني في وسطكم لا ٢٦ : ١١ . ونُصبت الخيمة في شيلوه يش ١٨ : ١ . وترتبت وظائف الكهنة واللاويين ومدن الملجإ وصار الشعب في هذا الوقت مستعدًّا لحفظ الاعياد وتأدية العشور وتقديم القرابين لله وحفظوا اكثر العبادات الاَّ شيئًا لم يحفظوهُ حتى بعد ذلك الوقت

(١٣) ان مما يستحق الذكر ايضًا في هذه البرهة حفظ الله شعبهُ بنوعٍ عجيب من ذلك الوقت فصاعدًا حين كان جميع الذكور منهم يصعدون ثلاث مرات كل سنة الى المكان الذي كانت فيهِ خيمة الله . ولا يخفى ان بني اسرائيل كانت الاعداء تحيط بهم من كل جانب ممن كان يطلب فرصةً لاهلاكهم ونزع الارض

من ايديهم . وكان لم يزل في ارض بقايا الكنعانيين وغيرهم جماهير كثيرة من الاهالي الاولين الى ايام داود الملك ممن كان يبغض بني اسرائيل بغضًا شديدًا. وكان لهم وقتٌ موافقٌ ثلاث دفعات في السنة ان يهجموا عليهم ويأخذوا مدنهم وقراهم لانها في تلك الاوقات الثلاثة لا يكون فيها غير النساء والعاجزين الذين لا يمكنهم الصعود الى اورشليم لاجل الاعياد. وقد حفظهم الله في كل هذه الاجيال في الاوقات المذكورة وغيرها بنوع عجيب اتمامًا لوعدهِ اياهم بقولهِ ولا يشتهي احدٌ ارضك حين تصعد لتظهر امام الرب الهك ثلاث مرات في السنة خر ٣٤: ٢٤ . وهكذا رتب الله كل شيء بنوعٍ عجيب واستولى على قلوب اعدائهم الذين كانوا مملوئين عداوةً لهم وطالبين اخذ الارض من ايديهم . وما اكثر الايام التي كانت لهم فرصةٌ بها حين تكون الارض باسرها خالية مجرَّدة من كل من له استطاعة على مقاومتهم ولا يحتاجون الاَّ الى الذهاب اليها والاستيلاء عليها . ومع كل ذلك لا نرى في جميع تاريخهم ان احدًا من اعدائهم اغتنم هذه الفرصة عليهم . وما ذلك الاَّ لان الله اراد ان يحفظ كنيستهُ على نوعٍ عجيب في كل هذه الاجيال المتوالية . ولا ريب ان ذلك فعل عنايةٍ الهية لاجل تكميل قصدهِ تعالى في عمل الفداء الكريم

(١٤) ان من ذلك حفظ الله لكنيستهِ والديانة الحقيقية من التلاشي بالكلية في الاوقات الكثيرة التي كان شعب اسرائيل يرتد فيها عن عبادة الله حين كانوا تحت حكم القضاة . فكم كان هذا الشعب يميل الى ترك الاله الحقيقي الذي صنع له هذه الاعمال العجيبة والى السقوط في عبادة الاصنام. وكم مرة كانت الارض تملأ يومًا بعد يوم من المنحوتات الوثنية . ولكن الله لم يسمح بالاشاة عبادتهِ الحقيقية فحفظ الخيمة وتابوت العهد وكتاب الشريعة وصان الكهنوت من التلاشي حتى بقيت له كنيسةٌ بين الشعب . وكان حينًا بعد حين يحيي الديانة بين الشعب اذ يرسل له ملاكًا او يقيم له شخصًا معتبرًا يتخذهُ واسطة لاصلاح ذلك الفساد

(١٥) ان من ذلك حفظ الله لهذا الشعب من الهلاك مع ان اعداءهم كانوا مرارًا كثيرة ينتصرون عليهم ويقهرونهم ويتسلطون عليهم. ولا نتعجب من عدم تلاشي الديانة الحقيقية فقط وفقد الكنيسة بهذه الواسطة بل من ان الشعب الذي كانت هذه الكنيسة في وسطهِ لم يهلك ايضًا مع ان اعداءهُ مرارًا كثيرة تسلطوا عليهِ وقهروهُ حتى كان مرةً يخضع لكوشان رشعتايم ملك آرام النهرين واخرى للموآبيين. وتارةً يباع ليابين ملك كنعان واخرى يقع في ايدي المديانيين. وطورًا يضايقهُ بنو عمون والفلسطينيون. الاَّ ان الله حفظهُ في جميع هذه الاخطار وصانهُ من السقوط الكلي. وكان من حين الى حين عند ما يراهم على حافة الهلاك يرسل اليهم من ينقذهم ويخلصهم من ايدي اعدائهم كما قيل لان الرب يدين شعبهُ وعلى عبيدهِ يشفق حين يرى ان اليد قد مضت ولم يبقَ محجوز ولا مطلق تث ٣٢: ٣٦. واعمال العناية الالهية هذه تراها مذكورة في كلام المرنم بعبارات واضحة لطيفة راجع مز ١٠٦: ٣٤ الى آخرهِ وجميع هولاء المنقذين كانوا رمزًا المسيح المنقذ العظيم والفادي الكريم. ولاسيما البعض منهم كباراق ويفتاح وجدعون وشمشون. وذلك في امور كثيرة وعلى الخصوص شمشون

(١٦) ان المسيح في تدبير كنيستهِ في هذه المدة كان مرارًا يتراءى بصورة تلك الطبيعة التي اتخذها في تجسدهِ كما نرى انهُ ظهر مرارًا لموسى. وعلى الخصوص حين خاطبهُ الله وجهًا لوجهٍ كما يخاطب الانسان صاحبهُ فرأى شبه الرب خر ٣٣: ٨ بعد ان طلب منهُ تعالى ان يريهُ مجدهُ. وهذا المنظر اعجب المناظر التي رأى فيها المسيح. وقد كشف الآن عن امرين يتعلقان بالمسيح احدهما روحي يتعلق بالكنيسة التي نُودِي بها وهي الرب الرب الهٌ رحومٌ ورؤُوف بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء. حافظ الاحسان الى الوفٍ. غافر الاثم والمعصية والخطية. ولكنهُ لن يُبرِئَ ابراء. مفتقدٌ اثم الآباء في الابناء وفي ابناء الابناء في الجيل الثالث والرابع خر ٣٤: ٦ و٧ والآخر خارجي وهو ما رآهُ موسى عندما جاز المسيح وجعلهُ في نقرة من الصخرة وسترهُ بيدهِ حتى اجتاز ثم رفع يدهُ فنظر

وراءهُ خر٣٣: ٢٢ و٢٣. ولا ريب ان ما رآهُ كان صورةً بشرية جليلة تراءى المسيح بها لهُ . وربما كانت صورة طبيعتهِ البشرية المجَّدة التي كان مزمعًا ان يظهر بها فيما بعد . وهو لم ينظر وجههُ لانهُ لا يُظَنُّ ان احدًا من البشر يقدر ان ينظر الى مجد طبيعة المسيح البشرية كما هي الآن في السماء

وقد ظهر المسيح ايضًا بصورة بشرية للسبعين شيخًا كما يتضح مما قيل ثم صعد موسى وهرون وناداب وابيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل . ورأوا اله اسرائيل وتحت رجليهِ شبه صنعةٍ من العقيق الازرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة . ولكنهُ لم يمدَّ يدهُ الى اشراف بني اسرائيل . فرأوا الله واكلوا وشربوا خر٢٤: ٩ الى ١١ وهكذا تراءى بطبيعتهِ البشرية ليشوع كما يبان مما قيل وحدث لما كان يشوع عند اريحا انهُ رفع عينيهِ ونظر واذا برجلٍ واقفًا قبالتهُ وسيفهُ مسلول بيدهِ . فسار يشوع اليهِ وقال لهُ هل لنا انت اولاعدائنا . فقال كلاَّ بل انا رئيس جند الرب. الآن انتبت يش ٥: ١٣ و١٤ وكذلك تراءى ايضًا لجدعون ومنوح كما يظهر من سفر القضاة قض ٦: ١١ و١٣: ١٧ الى ٢١ . وقد ظهر لمنوح في صورتين احداها حالة تجسدهِ لانهُ ظهر بصورة بشرية والاخرى حالة موتهِ وآلامهِ المرموزة بذبيحة الجدي وصعودهِ في لهب الذبيحة . ونستدلُّ من ذلك على انهُ لهُ المجد هو الذبيحة العظيمة التي يجب ان نقدِّم لله الرائحة الطيبة في نار غضبهِ كما أُحرِق ذلك الجدي وصعد في اللهب . ومن هنا نرى كيف كان المسيح يتراءى حينًا بعد حين بصورة الطبيعة التي لبسها فيما بعد. لان ظهورهُ هنه المرة كان لاجل قصدهِ تكميل العمل الذي ارادهُ وتمَّمهُ فيما بعد

(١٧) ان ما عملهُ الله في هذه الفترة نحو عمل الفداء تتابع الانبياء واقامة مدرسة منهم في ايام صموئيل . وقد كان في آل اسرائيل شيء من روح النبوة بعد موسى وقبل صموئيل. وكان في يشوع وكثيرين غيرهِ من القضاة شيء من هذا الروح فكانت دبورة نبية وكذلك البعض من عظماء الكهنة ولاسيما عالي فقد كان فيهم هذا الروح . وبحسب ذلك تكون هذه الفترة لم تخلُ بالكلية

من اشخاص افرزهم الله بنوع خصوصي وافرزهم لهذا العمل فدُعوا لذلك انبياء كما قيل ان الرب ارسل رجلاً نبيًّا الى بني اسرائيل الى آخره قض ٦: ٨. وقيل ايضًا وجاء رجل الله الى عالي وقال له الى آخره ١ صم ٢: ٢٧ والظاهر ان هذا الرجل كان نبيًّا

ولكن لم تكن رتبة مثل هذه من الناس محفوظة ثابتة قبل صموئيل النبي. وقد اشير الى الاحتياج اليها في قوله تعالى وكانت كلمة الرب عزيزة في تلك الايام لم تكن رؤيا كثيرًا ١ صم ٣: ١ وانما ابتدأت في صموئيل سلسلة من الانبياء كانت محفوظة على الدوام اقل ما يكون مع انقطاع قليل من ذلك الوقت الى ان فقد روح النبوة بالقرب من زمان ملاخي. ومن ثمَّ نرى الكتب المقدسة تذكر صموئيل كانه اول حلقة من هذه السلسلة حيث تقول وجميع الانبياء ايضًا من صموئيل فما بعد جميع الذين تكلموا سبقوا وانبأوا بهذه الايام اع ٣: ٢٤. ثم بعد صموئيل قام ناثان وجاد وعدُّو وهيمان واصاف وآخرون. وبعد هولاء في ايام سليمان يُذكَر اخيا. وكذا في ايام يربعام ورحبعام يذكر بعض الانبياء. وهكذا كان نبيٌّ يخلف نبيًّا الى سبي بابل. وفي اسفار الانبياء المعدودة من الكتب القانونية نرى ذكر انبياء كانهم رتبةٌ من الناس ثابتة محفوظة في الارض. وما زالت الانبياء موجودةً في السبي البابلي كحزقيال ودانيال وبعدهُ ايضًا كحجي وزكريا وملاخي

وبما ان الله قد شاء ان تكون سلسلة من الانبياء محفوظة بغير انقطاع من ايام صموئيل فصاعدًا أُنشِئت في ايام صموئيل مدرسة للانبياء كان يأتي اليها الفتيان ويتعلمون تحت يد نبي عظيم يناظر عليهم ويرشدهم في درس القضايا الالهية وممارسة القداسة لكي يكونوا مستعدين للدخول في هذه الوظيفة السامية حينما يدعوهم الله اليها. فتسمَّوا ابناء الانبياء واحيانًا تسمَّوا انبياء. وكانوا اولاً تحت نظارة صموئيل كما يتضح مما قيل ولما رأَوا جماعة الانبياء يتنبأُون وصموئيل واقفًا رئيسًا عليهم اصم ١٩: ٢٠ ومثل هولاء جماعة الانبياء المذكورين في اصم

١٠:٥. ثم يذكر انهم كانوا بعد ذلك تحت نظارة ايليا وكان اليشع واحدًا منهم ولكنهُ طلب ان يكون عليهِ روح معلمهِ ايليا مضاعفًا نظير خليفةٍ لهُ كما كانت العادة ان الابن الاكبر يأخذ نصيبًا مضاعفًا من ميراث ابيهِ. ولذلك عند ما رأى بنو الانبياء ان روح ايليا حلَّت على اليشع خضعوا لهُ واتخذوهُ بمنزلة معلمٍ لهم مكان ايليا معلمهم الاول. وكل ذلك واضحٌ مما قبل ولما رآهُ بنو الانبياء الذين في اريحا قبالتهُ قالوا قد استقرَّت روح ايليا على اليشع. فجاءوا للقائهِ وسجدوا لهُ الى الارض ٢مل ٢:١٥ وبما ان اليشع كان رئيسهم او معلمهم كان يجب عليهِ ان يهتمَّ بهم كما يظهر مما قبل ورجع اليشع الى الجلجال. وكان جوعٌ في الارض وكان بنو الانبياء جلوسًا امامهُ. فقال لغلامهِ ضع القدر الكبيرة واسلق سليقة لبني الانبياء ٢مل ٤:٣٨ وكان في ايام ايليا واليشع اماكن عديدة لسكنى جماعاتٍ من بني الانبياء مثل بيت ايل واريحا والجلجال وقد يمكن ان الاخيرتين كانتا مدرسة واحدة وربما كان الموضع حيث كانت خلة النبيَّة مدرسةً اخرى في اورشليم كما يظهر من سفر الملوك الثاني ٢٢:١٤ حيث يقال عن خلة النبيَّة انها كانت ساكنة في اورشليم في القسم الثاني وقيل مشنه. وقد بُني لهم بيوتٌ يسكنون فيها معًا ولذلك لما كثر التلاميذ الذين في اورشليم ورأوا بيتهم قد ضاق عليهم طلبوا الاذن من سيدهم ومعلمهم اليشع ان ينصرفوا ويقطعوا خشبًا ليبنوا لهم بيتًا اكبر ٢مل ٦:١ و٢ وكان في بعض الاوقات عددٌ كثيرٌ من بني الانبياء في اسرائيل لانهُ لما قتلت ايزابل انبياء الرب قيل ان عوبديا اخذ مئةً منهم وخبأهم خمسين خمسين في المغاير ١مل ١٨:٤

وبما ان هذه المدارس التي للانبياء قد اقامها صموئيل وحفظها بعدهُ ايليا واليشع تلميذهُ يجب ان تكون من ترتيب الله. ولهذا نرى ان الله قد انعم على بني الانبياء بشيءٍ من الوحي وهم يتعلمون في المدارس ايضًا. وكان عند اقامتهِ نبيًّا يقيمهُ غالبًا من ابناء هذه المدارس. ولذلك عند ما يتكلم عاموس عن دعوتهِ اي وظيفة النبوة يقول انهُ لم يتعلم في مدارس الانبياء ولا كان ابن نبي عا ٧:١٤ و١٥

ومن هنا يبان لنا ان الله كان من عادتهِ ان يأخذ انبياءهُ من ابناء هذه المدارس مباركًا بذلك على ترتيبهِ وان لم يكن ذلك على وجه الاطلاق

ولاجل تقدم عمل الفداء العظيم ترى ان الله ابتدأ بعنايتهِ هذه العظيمة يقيم سلسلة من الانبياء في ايام صموئيل لكي تبقى بعدهُ باجيالٍ عديدة . ولاجل هذه الغاية رتب مدرسة تحت نظارة صموئيل لكي تدوم بعدهُ في اسرائيل لتعليم الانبياء بها . لان العمل الاهمّ عند هولاء الانبياء المتتابعين انما هو ان يسبقوا فيخبروا بالمسيح والفداء العظيم الذي يكون بهِ . وبهذه الواسطة كانوا يمهّدون الطريق لاتيانهِ كما ورد في الاعمال حيث يقول لهُ يشهد جميع الانبياء وحيث يقول ايضًا واما الله فما سبق وانبأ بهِ بافواه جميع انبيائهِ ان يتألم المسيح قد تمّمهُ هكذا اع ١٠ : ٤٣ و٣ : ١٨ راجع ايضًا ٢٤ : ٣

اذًا زمان العهد القديم كان كالليل فان الكنيسة لم تكن عديمة النور بالكلية ولا انتفعت باشعّة الشمس بالذات وانما مندفعةً من الكواكب . فان هولاء الانبياء هم الكواكب الذين اندفع منهم نور الشمس ولذلك نراهم قد تكلموا كثيرًا عن المسيح كما يظهر لنا ذلك من نبواتهم التي في ايدينا . وكانوا يبذلون جهدهم وهم في المدارس وبعد خروجهم منها في البحث عن عمل الفداء كما يتضح ذلك من قول بطرس الرسول الخلاص الذي فتش وبحث عنهُ انبياء . الذين تنبأوا عن النعمة التي لاجلكم . باحثين اي وقت او ما الوقت الذي كان يدل عليهِ روح المسيح الذي فيهم اذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والامجاد التي بعدها ابط ١ : ١٠ و ١١ وكذا قول بولس الرسول ان كنيسة الفادي قد بُنيت على اساس الرسل والانبياء والفادي هو الحجر في راس الزاوية اف ٢ : ٢٠

ولا ريب ان هذا اول شيء عملهُ الله من هذا القبيل في هذا العالم وهو امرٌ عظيم بالنظر الى عمل الفداء . وقد كانت فيما مضى نبواتٌ عن المسيح حسبما تقدم بيانهُ . واما الآن فبما اننا قد وصلنا الى وقتٍ اقرب من مجيء المسيح قد ارتضى الله ان يقيم رتبةً من الناس مخصوصة على النوالي يكون عملها الاهمُّ هو الاخبار عن

المسيح وحصول الفداء بهِ وتمهيد الطريق امام وجههِ . فاقام مدارس لاجل تعليم كثيرين واعدادهم لهذه الغاية . وقد قيل في الرؤيا انا عبدٌ معك ومع اخوتك الذين عندهم شهادة يسوع فان شهادة يسوع هي روح النبوَّة ١٩ : ١٠

الفصل الخامس

من داود الى سبي بابل

يقول اولاً . ان الامر الاول الذي يجب ذكرهُ هنا هو مسح الله الشخص الذي كان المسيح مزمعًا ان يأتي من نسلهِ واقامتهُ اياهُ ملكًا على شعبهِ . فان انتظام العناية الالهية في الملة السابقة كان يتجه الى الشعب الذي كان المسيح عتيدًا ان يأتي منهُ . واما الآن فان التاريخ المقدس يخبرنا عن الشخص الخصوصي الذي كان المسيح عتيدًا ان يأتي من نسلهِ وهو داود الملك . فقد ارتضى الله في ذلك الوقت ان يختار على نوعٍ عجيب هذا الشخص من بين الوف اسرائيل جميعها ويعطيهُ افضل كرامة بمسحهِ اياهُ ملكًا مسلَّطًا على شعبهِ الخاص . والله وحدهُ كان قادرًا على انتخابهِ لان بيت ابيهِ يقال انهُ كان حقيرًا في اسرائيل وكان هو اصغر جميع اخوتهِ ولعلهُ كان آخر شخص خطر على بال صموئيل ان الله قد اختارهُ لهذه الوظيفة وقد شرَّف الله قبل ذلك الاشخاص الذين كان المسيح عتيدًا ان يأتي منهم كشيث ونوح وابرهيم واسحق ويعقوب . ولكن اول خبر بلغنا عن انتخاب الله ظاهرًا الشخص الذي كان المسيح عتيدًا ان يأتي من نسلهِ موجودٌ في بركة يعقوب لابنهِ يهوذا ما لم نحسب تقدم نحشون في البرية لكي يكون راس سبط يهوذا . ولكن تميز الشخص الذي كان المسيح مزمعًا ان يأتي

من ذريتهِ على هذا المنوال كان كريمًا في الغاية وهو مسح الله لهُ ان يكون ملكًا لشعبهِ . وكان هذا يشير الى شيء لم توجد اشارةٌ اليهِ في مسح شاول لكي يكون ملكًا بشخصهِ ولكن لما بعث الله صموئيل لكي يمسح داود قصد ان قضيب اسرائيل يبقى في عائلتهِ بعدهُ ما دام الملك في اسرائيل . ولم يقصد ذلك فقط بل قصد ايضًا امرًا آخر اكثر شرفًا واعتبارًا بغير قياس وهو ان يثبت قضيب كنيستهِ العامة التي هي اسرائيل الروحية في نسلهِ الى نهاية العالم والى الابد

ولا ريب ان هذا عملٌ عظيمٌ باشرهُ الله نحو تقدم عمل الفداء وذلك لقرب زمان انيان المسيح . وكما كان داود جدًّا للمسيح كان ايضًا اعظم رمزٍ شخصيٍّ لهُ بين رموز العهد القديم . لان الرموز الدالة على المسيح ثلاثة انواع رموز طقسية واعظمها الذبائح . ورموز عنائيَّة واعظمها انقاذ بني اسرائيل من مصر . ورموز شخصية واعظمها داود الذي نحن في صددهِ . ومن ثمَّ يُدعى المسيح في نبوات الكتاب المقدس مرارًا كثيرة داود . ومن ذلك قولهُ تعالى واقيم عليها راعيًا واحدًا فيرعاها عبدي داود هو يرعاها وهو يكون لها راعيًا . وانا الرب اكون لهم الهًا وعبدي داود رئيسًا في وسطهم حز ٣٤ : ٢٣ و٢٤ وهكذا في اماكن اخرى كثيرة . ومرارا كثيرة يقال عن المسيح انهُ زرع داود وابن داود

وبما ان داود جدٌّ للمسيح ورمزٌ عظيمٌ لهُ ينتزل مسح الله لهُ لكي يكون ملكًا على شعبهِ تعالى ويكون ملكوت كنيستهِ ثابتًا الى الابد في عشيرتهِ منزلة مسح المسيح نفسهِ في بعض الاحوال كأنَّ المسيح قد مُسح فيهِ . ولهذا نرى الكتاب الالهي يتكلم عن مسح داود ومسح المسيح كانهما واحدٌ كما ورد في الزبور من قولهِ وجدت داود عبدي بدهن قدسي مسحتهُ مز ٨٩ : ٢٠ . ويتكلم عن كرسي داود وكرسي المسيح كانهما شيءٌ واحدٌ عند قولهِ ويعطيهِ الرب الاله كرسي داود ابيهِ لو ١ : ٣٢ وقولهُ ايضًا فاذ كان (داود) نبيًّا وعلم ان الله حلف لهُ بقسمٍ انهُ من ثمرة صلبهِ يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيهِ اع ٢ : ٣٠

وهكذا يكون ابتداء الله في اقامة ملكوت كنيستهِ في بيت داود كأنهُ تأسيس

جديد لملكوت المسيح اي ابتداؤهُ بذلك في حالةٍ منظورة مثل هذه كما بقي من بعد ذلك . ولا ريب ان الله بهذا العمل غرس الاصل الذي كان غصن البر والملك الابدي لكنيستهِ عتيدًا ان ينبت منهُ . ولذلك دُعي هذا الملك الابدي قضيبًا من جذع يسَّى كما قال اشعياء ويخرج قضيبٌ من جذع يسَّى وينبت غصنٌ من اصولهِ اش ١١ : ١ . وقال ارميا ها ايامٌ تأتي يقول الرب واقيم لداود غصن برٍّ فيملك ملك ويفلح ار ٢٣ : ٥ وقال ايضًا ها ايام تأتي يقول الرب واقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها الى بيت اسرائيل والى بيت يهوذا . في تلك الايام وفي ذلك الزمان انبت لداود غصن البر فيجري عدلاً وبرًّا في الارض ار ٣٣ : ١٤ و ١٥ . وكذلك يُدعى المسيح اصل داود وجنسهُ راجع رؤ ٢٢ : ٦

ولا يخفى ان الله مسح داود بعد شاول ليملك عوضًا عنهُ . فاخذ التاج منهُ ومن عائلتهِ مع انهُ كان اعلى قامةً من جميع شعبهِ وكان عندهم اليق بها من داود واعطاهُ لداود الذي كان قصير القامة وحقير المنظر . وهكذا ارتضى الله ان يبين لنا كيف ان المسيح الذي ظهر وليس له منظرٌ ولا جمال بل كان مهانًا ومرذولاً من الناس يأخذ الملك من عظماء الارض . ولا يخفى ايضًا ان داود كان اصغر بني يسَّى كما كان يعقوب الابن الاصغر لاسحق فخلع عيسو واخذ منهُ البكورية والبركة . وكما ان فارص اخا جدّ المسيح اخذ البكورية من زارح واسحق احد اجداد المسيح طرد اخاهُ الاكبر اسمعيل وبذلك تمَّ قول المسيح الذي كرَّرهُ مرارًا ان الآخرين يصيرون اولين والاولون آخرين

(٢) ان الامر الثاني الذي اذكرهُ هنا هو حفظ الله حياة داود بعناية عجيبة الى موت شاول . اني قد ذكرت فيما تقدم كيف ان الله حفظ آخرين من اجداد المسيح مثل نوح وابرهيم واسحق ويعقوب وكيف ان الله يحفظ هولاء قد حفظ على الفداء من الخيبة اذ كان المسيح عتيدًا ان يُولد منهم وايضًا قد حفظ الكنيسة المقتداة بهِ من الانقلاب . وان حفظ داود لم يكن اقل اعتبارًا من حفظ احد هولاء . فكم من مرَّةٍ ما كان بينهُ وبين الموت الاَّ خطوة واحدة فالمثال

الاول من حفظهِ تجدهُ في مصارعتهِ للاسد والدب عند خطفها الحمل من قطيعهِ مع أنها لولا مساعدة الله على نوعٍ عجيب كانا قادرَين على تمزيقهِ لحداثتهِ كما يمزقان الحمل الذي خلصهُ من ايديهما وهكذا قد انحفظ الذي من نسل وذرية داود من الاسد الزائر الذي يجول ملتمسًا من يبتلعهُ هو وفاز بالغلبة عليهِ وانقذ نفوس الناس الذين هم كحملان في فم هذا الاسد المفترس . والمثل الثاني من ذلك تجدهُ في مصارعتهِ لجليات الجبار الذي كان قادرًا ان يمزقهُ ويطرح جثتهُ الى وحوش البرية وطيور السماء كما كان يتهددهُ ولكن الله حفظهُ واعطاهُ الغلبة عليهِ حتى قطع راسهُ بسيفهِ وبذلك صار منقذًا آل اسرائيل من ايدي آل فلسطين

فهكذا المسيح قتل جليات الروحي بسلاح صليبهِ وانقذ شعبهُ

وكم كانت عناية الله عجيبة في حفظ داود من شاول اذ كان يطلب فقد حياتهِ . اولاً اذ وعدهُ باعطاء ابنتهِ ميكال لتكون زوجةً لهُ بشرط انهُ يأتي بمئة غلفة من الفلسطينيين وهذا مكر منهُ لاملهِ انها تكون شركًا لهُ وانهُ يُقتل منهم

وتلك العناية الالهية ظهرت ايضًا اذ حفظتهُ بعد ذلك حينما امر شاول يوناثان ابنهُ وجميع عبيدهِ ان يقتلوا داود وجعلت قلب يوناثان يتعلق بهِ حتى انهُ قد احبهُ كنفسهِ وصار واسطة عظيمة لانقاذهِ حتى انهُ خاطر بحياتهِ لاجلهِ مع انهُ كان الارجح ان ليس احد يكون راضيًا بقتلهِ مثل يوناثان اذ كان داود على نوعٍ ما خصمًا لهُ في طلب مملكة ابيهِ وكذلك حينما رماهُ شاول بالرمح قاصدًا قتلهُ وحين ارسل الى بيتهِ رسلاً لكي يكمنوا لهُ ويقتلوهُ فدلّتهُ ميكال ابنة شاول من الكوّة وحين ارسل رسلاً الى نابوت في الرامة عدة مرّات لكي يقبضوا عليهِ فمنعهم روح الله عن ذلك بنوعٍ عجيب وعند ما ذهب شاول نفسهُ الى الرامة لجهدهِ في مسك داود فمنعهُ ايضًا روح الله اذ حلَّ عليهِ وجعلهُ يتنبأُ كاحد الانبياء . وكم كان حفظهُ عجيبًا وهو في جت بين الفلسطينيين حين هرب الى اخيش ملك جت وكان هناك تحت ايدي الفلسطينيين الذين لولا عناية الله لكانوا اهلكوهُ

لا محالة لانهم كانوا يبغضونهُ جدًّا لاجل قهرهِ اياهم . وكذلك ايضًا حين انحصر في قعيلة وظنَّ شاول انهُ قد وقع في يديهِ . وايضًا على الجبال حين جد شاول في طلبهِ . وفي برية معون حيث احاط بهِ شاول وجنودهُ . وفي كهف عين جدي حيث دخل اليهِ شاول الى المغارة فاعمى الله بصر شاول عن رؤيتهِ وعوض ان يقع داود في يدهِ اوقعهُ الله بيد داود حتى انهُ قطع طرف ثوبهِ وكان يمكنهُ بسهولة كذا ان يقطع راسهُ . وهكذا نجاهُ الله في برية زيف . وبعد ذلك حينما رجع ثانيةً الى الفلسطينيين مع كونهِ قد حاربهم وغلبهم في قعيلة بعد ما خرج من بينهم اول مرَّة وكان يُظنُّ ان هذا يكون تنبيهًا كافيًا لعدم اركانهم بهِ واعطائهم اياهُ فرصةً للفرار من بين ايديهم ولكن الله قد امال قلوبهم لمحبتهِ وحمايتهِ عوضًا عن اهلاكهِ

وهكذا انحفظ ذاك الزرع الكريم المحنوي بلا ريب على الفادي وجميع بركات الفداء مع ان جهنم والارض كانتا متوامرتين على اهلاكهِ وكثيرًا نرى داود يذكر ذلك في زبورهِ بلسان الشكر والتعظيم

(٢) الامر الثالث الذي اذكرهُ هو انهُ في مدة هذا العصر قد أُضيف الى كلام الله المكتتب اي الكتاب المقدس شيءٌ على يد صموئيل . انهُ قد سبق القول ان الكتاب المقدس قد ابتُدئَ بهِ وان الجزء الاول من ذلك القانون أُعطي للكنيسة دستورًا للايمان والعمل بالقرب من ايام موسى والارجح ان يشوع قد اضاف شيئًا اليهِ اذ كتب الاصحاح الاخير من سفر التثنية واكثر السفر المعروف باسمهِ وقد اطبق راي جمهور اللاهوتيين على ان صموئيل كتب سفر القضاة وراعوث وقسمًا من السفر الاول من السفرين المنسوبين اليهِ وعلى كل حال فلنا بيّنة قوية على ان صموئيل اضاف اشياء الى الكتاب المقدس لان اسمهُ مذكور في العهد الجديد مع الانبياء الذين لهم كتابات في الاسفار المقدسة اع ٣:٢٤ لان قولهُ الذين تكلموا يراد بهِ الذين كتبوا كما لا يخفى وهذا يتضح ايضًا مما ورد في سفر الايام الاول ٢٩:٢٩ اذ يقول وامور داود الملك الاولى

والاخيرة هي مكتوبة في اخبار صموئيل الرائي

والطريقة التي تكلم بها صموئيل عن المسيح وبشارته هي ذكرهُ الاشياء التي كانت رمزًا لها واشارةً اليها ولاسيما ما كتبهُ عن داود وقد أُوحي اليهِ ان يكتب هذه الاشياء بالاخص لانها تشير الى المسيح والى ازمنة الانجيل وقد تقدَّم الكلام ان هذا كان غاية الله في الهام جميع الانبياء الذين ابتدأت سلسلتهم من صموئيل

اما سفر راعوث الذي يظهر كانهُ يتكلم عن امور خصوصية فقد كتبهُ صموئيل لان اكثر الاشخاص المذكورين فيهِ هم من العائلة التي خرج منها داود والمسيح فاذًا يتضح ان غاية كتابتهِ هي تلك الغاية التي اشار اليها بطرس بقولهِ عن صموئيل وباقي الانبياء المذكورين في اعمال الرسل الاصحاح الثالث كما تقدَّم فحيث ان الكتب المقدسة هي اكبر واعظم واسطة لانتشار عمل الفداء فلا ريب ان مثل هذه الاضافة اليها يجب ان تُعتبر كعملة لهذا العمل وزيادة على ذلك البناء العظيم

(٤) ان الامر الرابع الذي اذكرهُ مما صنعهُ الله لاجل عمل الفداء في هذا العصر هو الهامهُ لداود ان يخبر عن المسيح وفدائهِ في مزاميرهِ الالهية لكي تستعملها الكنيسة في جميع الاجيال في عبادتهِ الجمهورية وقد كان لداود روح النبوة ودُعي نبيًا اذ قيل يسوغ ان يقال لكم جهارًا عن رئيس الآباء داود انهُ مات ودُفن وقبرهُ عندنا حتى هذا اليوم واذ كان نبيًا وعلم الخ اع ٢:٢٩ و٣٠. فلكونهِ ملكًا ونبيًا معًا فهو رمزٌ للمسيح

والزيت الذي استُعمل في مسح داود كان رمزًا للروح القدس فأُعطي داود الرمز والمرموز معًا كما قيل فاخذ صموئيل قرن الدهن ومسحهُ في وسط اخوتهِ. وحلَّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدًا ١صم ١٦:١٣. والارجح ان روح النبوة من ذلك الوقت حلَّ عليهِ ومن جملة ما أُلهم داود بهِ هو ان يخبر عن المسيح وعن فدائهِ المجيد بمزامير وترنيمات الهية تشير الى عواطف

نقية مملوءة تعجبًا من امور الفادي العظيمة ومضطرمة بمحبة الله وشكرهِ الجسيم ولهذا دعي مرنم اسرائيل الحلو ٢صم ٢٣: ١ والموضوعات الاولى في هذه المزامير هي امور الانجيل الجليلة كما يتضح من تفسير العهد الجديد لها واستعمالهِ اياها. وليس كتاب في العهد القديم اقتبس منهُ العهد الجديد مرارًا كثيرة بهذا المقدار مثل كتاب المزامير فكم كان هذا الرجل الصالح بفرحٍ يرنم بامور الفداء العظيمة التي كانت منذ الابتداء رجاء وانتظار كنيسة الله وشعبهِ وبهذا قد تبعهُ آخرون بفرح عظيم مثل آساف وهيمان وايثان وغيرهم. لان كتاب المزامير وان يكن اكثرهُ من اقوال داود لم يكن كلهُ له ولا ريب ان هذا السفر هو زيادة نفيسة على الاسفار الالهية

وهذا الامر هو تقدُّم عظيم لهذا البناء لا محالة ونور الانجيل الذي كان ينمو شيئًا فشيئًا قد زاد كثيرًا بهذه الواسطة. لانهُ لم يكن قبلاً سوى نبواتٍ نادرة عن المسيح في اجيالٍ عديدة واما داود جدُّهُ فتكلم عنهُ هنا كثيرًا في ترنيماتٍ مخبرًا عن تجسدهِ وحياتهِ وموتهِ وقيامتهِ وصعودهِ الى السماء وايمانهِ وشفاعتهِ ووظائفهِ النبوية والملوكية والكهنوتية والخيرات العظيمة الناتجة منهُ في هذه الحياة وفي الحياة العتيدة واتحادهِ مع كنيستهِ وبركة الكنيسة بهِ وبدعوة الامم ومجد الكنيسة في نهاية العالم ومجيء المسيح الى الدينونة الاخيرة. فان جميع هذه المذكورات وغيرها كثيرًا مما يتعلق بالمسيح وفدائهِ نراها واردة في المزامير الالهية مرارًا وافرة

وقد كان ذلك تقدمًا عظيمًا لعمل الفداء لان الله بواسطتهِ اعطى كنيسته كتاب ترنيمات الهية تستعملها في عبادتها الجمهورية وبها ترنم الشكر لهُ في جميع الاجيال الى نهاية العالم ولا يخفى ان كتاب المزامير قد أُعطي من الله لاجل هذه الغاية الجليلة اذ استُعمل حسب تعيين الله في كنيسة اسرائيل كما يظهر من مقدماتٍ كثيرة من المزامير حيث خُصِّصَت بامام المغنّين وهو الذي كان مقدمًا للترنيم في الهيكل وقت الصلاة الجمهورية. ولهذا قد دُعي داود مرنم

اسرائيل الحلو لانهُ كتب المزامير لاجل استعمال الكنيسة في اسرائيل . والكتب المقدسة تخبرنا ان كنيسة اسرائيل كانت ترنم مزاميرهُ في عباداتها حتى بعد وفاتهِ باجيال كما يتضح من قولهِ تعالى وقال حزقيا الملك والرؤساء اللاويين ان يسبحوا الرب بكلام داود وآساف الرائي ٢ اي ٢٩ : ٣٠ . وقد تعينت هذه المزامير في العهد الجديد لاجل استعمالها في الكنيسة المسيحية وقت الصلاة كما يبان من قول الرسول مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح واغاني روحية اف ٥ : ١٩ وقولهُ ايضاً منذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح واغاني روحية كو ٣ : ١٦ . وقد كانت هذه المزامير ولا تزال الى انقضاء العالم تُستعمل في الكنيسة في تقديم الاعتراف والشكر لله . وكانت العادة جارية قبل داود بين شعب الله ان يعبدوهُ تعالى احياناً في ترنيم تسابيح لشكرهِ كما فعلوا عند البحر الاحمر ولاجل هذه الغاية أُعطيت لهم تسبحة موسى النبوية المذكورة في سفر التثنية ص ٣٢ وقد رنمت دبورة وباراق وحنة تسابيح لله . واما الآن فقد اعطى الله كنيستهُ كتاب ترنيمات الهية لكي تستعملها على الدوام

(٥) مما اذكرهُ في هذا المقام رفع الله داود الى كرسي الحكم على اسرائيل مع كل المقاومات التي كانت ضدهُ . وبما ان الله قد قضى بذلك ازال جميع الموانع لاقامتهِ . فرذل شاول وبنيهِ واقام اولاً داود على سبط يهوذا ثم بعد عزلهِ ايشبوشث جعلهُ على كل اسرائيل . وبذلك تمَّ قولهُ لداود اذ اخذهُ من حظائر الغنم من خلف المرضعات اتى بهِ ليرعى يعقوب شعبهُ واسرائيل ميراثهُ مز ٧٨ : ٧٠ و ٧١ . وقد ثبت حينئذٍ الحكم في تلك العائلة التي قصد الله ابقاءهُ بها الى الابد

(٦) ان الله في هذا الوقت اختار مدينة مخصوصة من بين اسباط اسرائيل لكي يجعل اسمهُ فيها . ويذكر في اسفار موسى مراراً عن اتيان بني اسرائيل بذبائحهم وقرابينهم الى الموضع الذي يختارهُ الرب كما في تث ١٢ : ٥ و ٧ ولكن الله لم يتقدم الى تعيين ذلك الاَّ في هذا الوقت ولم يكن التابوت ولا الخيمة

ثابتين بل كانا ينتقلان من مكان الى آخر حتى ارتضى الله ان يختار اورشليم . ولم تُغلب هذه المدينة غلبة كاملة ولم تُؤخذ من ايدي اليبوسيين الاَّ في ايام داود كما يظهر من سفر يشوع اذ يقول واما اليبوسيون الساكنون في اورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في اورشليم الى هذا اليوم يش ١٥ : ٦٣ واما الآن فقد اخضعهم داود اخضاعًا تامًّا كما يتضح من ٢صم ص ٥ فقد اختار الله هذه المدينة لكي يضع اسمهُ فيها كما بيان من جلب داود التابوت اليها بعد ذلك بقليل . وهذه اول مرة اختار الله فيها مدينة خصوصية لهذه الغاية كما يظهر من مراجعة ٢ اي ٦ : ٥ و ٦ و ١٢ : ١٣ . ثم اظهر الله بعد ذلك لداود نفس المكان الذي يريد ان يبني هيكلهُ فيهِ وهو بيدر ارونة اليبوسي

فلذلك دُعيت اورشليم المدينة المقدسة وهي اعظم رمزٍ في العهد القديم لكنيسة المسيح . وقد استخلصها داود رئيس اجناد اسرائيل من ايدي اليبوسيين لكي تكون مدينة الله والمكان المقدس لراحتهِ تعالى الى الابد . هكذا المسيح رئيس خلاص شعبهِ ينقذ كنيستهُ من ايدي الشياطين لكي تكون مدينتهُ المقدسة المحبوبة . ولذلك ترى الكتب المقدسة مرارًا كثيرة عند ما تتكلم عن فداء المسيح لكنيستهِ تدعوها باسم صهيون واورشليم وهي المدينة التي جعلها الله مكانًا لاول اجتماعٍ للكنيسة المسيحية وبنائها بعد قيامة المسيح ومكانًا لحلول الروح القدس بنوعٍ عجيب على الرسل وعلى المسيحيين الاولين والمكان الذي منهُ خرج صوت الانجيل الى اربعة اقطار المسكونة وهي مولد الكنيسة المسيحية التي كانت عتيدة ان تصير امًّا لجميع كنائس العالم كما تنبأ اشعياء بقولهِ من صهيون تخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الرب فيقضي بين الامم وينصف لشعوبٍ كثيرين . وهكذا اختار الله جبل صهيون ليخرج منهُ صوت الانجيل كما خرجت الشريعة من جبل سيناء

(٧) ان ما نذكرهُ هنا تجديد الله عهد النعمة مع داود باحتفال عظيم ووعدهُ اياهُ بان المسيح يولد من نسلهِ كما يخبرنا الكتاب المقدس بذلك في ٢صم

ص ٧. وكان ذلك عتيب افتكار داود بان يبني بيتًا لله فارسل الله اليهِ في هذا الوقت ناثان النبي يعدهُ بمواعيد عظيمة متضمنة عهد النعمة وذلك العهد موجودٌ على الخصوص في هذه الكلمات يأمن بيتك ومملكتك الى الابد امامك كرسيك يكون ثابتًا الى الابد ومضمون هذا الوعد يتجه الى المسيح الذي هو من زرع داود ولا يتمُّ الاَّ بهِ لان مملكة داود قد تلاشت منذ زمان طويل ما لم نحسبها محفوظةً في المسيح

ثم ان هذا العهد المقطوع الآن مع داود بواسطة ناثان النبي يبان انهُ عهد النعمة من شهادة الكتب المقدسة الواضحة كما في نبوة اشعياء ٥٥: ١ الى ٣ حيث يدعو المسيح الخطاة الى الخلاص وفي العدد الثالث يقول اميلوا آذانكم وهلموا اليَّ اسمعوا فتحيا انفسكم واقطع لكم عهدًا ابديًا مراحم داود الصادقة فان المسيح يقدم هنا لخطاة المساكين اذا انوا اليهِ نفس العهد الابدي الذي عاهد بهِ داود مقدمًا مراحم داود الصادقة بعينها وليس هذا العهد الذي يخصَّص بالخطاة اذا جاءوا الى المسيح الاَّ عهد النعمة

وهذه خامسة المرات التي اقام الله فيها عهد النعمة مع الكنيسة بعد السقوط. ان هذا العهد لم يزل قائمًا وثابتًا انهُ كان منذ اول اظهارهِ ولكن الله قد خصص اوقاتًا لاجل تجديدهِ مع كنيستهِ باحتفال عظيم كانهُ يظهرهُ على صورة جديدة ويثبتهُ بتثبيتات أُخر ويوحي بهِ على طريق اوضح. والعهد الاول كان مع آدم اولاً والثاني مع نوح والثالث مع الآباء ابرهيم واسحق ويعقوب والرابع في البرية على يد موسى وخامسًا مع داود كما ذكرنا

وكان داود دائمًا يعتبر اقامة هذا العهد من اعظم النعم والبركات المفاضة عليهِ من الله وكان يعرف قيمتهُ ويفرح بهِ اكثر من جميع النعم المتصلة بالملك وقد اقتبلهُ بفرح وشكر جزيل عند ما ابلغ ناثان اليهِ بهذه البشارة الجليلة انظر ٢صم ٧: ١٨. وداود في كلماتهِ الاخيرة يخبرنا ان هذا العهد هو كل خلاصهِ عند قولهِ لانهُ وضع لي عهدًا ابديًا متقنًا في كل شيء ومحفوظًا أفلا

يثبت خلاصي وكل مسرّتي ٢صم ٢٣: ٥

(٨) ان الله اعطى شعبهُ اسرائيل ان يتملكوا كل ارض الميعاد بواسطة داود وقد تنبأ قبلاً كيف ان اعطاء الله الملك على ارض الميعاد يختص بعهد النعمة وقد فعل كثيرًا من ذلك على يد يشوع ولكن ليس بالتمام فان يشوع لم يخضع القسم الذي يُدعَى بالحصر ارض كنعان اخضاعًا كاملاً الذي قُسِم بالقرعة على الاسباط ولكن بقي جمهور كبير من السكان الاصليين لم يخضع له كما يتضح من سفر يشوع وسفر القضاة فتبقّى كثيرون لاجل تجربة اسرائيل ولكي يكونوا كمناخس لهم فكان اليبوسيون في اورشليم وكثيرون من الكنعانيين وكل شعب فلسطين الذين سكنوا جميعًا في الارض التي قُسِمت بالقرعة وعلى الخصوص في ارض يهوذا وافرايم

وبقي هولاء البقايا من السكان الفدماء في ارض كنعان غير خاضعين لسلطة اسرائيل الى ايام داود واما داود فاخضعهم باسرهم اخضاعًا تامًّا كما يبان ما ذكرهُ الشهيد الاول استفانوس بقولهِ هذه التي ادخلها ايضًا آباؤُنا اذ تخلفوا عليها مع يشوع في ملك الامم الذين طردهم الله من وجه آبائنا الى ايام داود اع ٧: ٤٥ فداود اخضع اليبوسيين وجميع اهل فلسطين وبقايا القبائل السبع الذين كانوا في كنعان كما ذكر في سفر الايام الاول حيث يقول وبعد ذلك قتل داود الفلسطينيين واخضعهم واخذ قرية جت وقراها من يد الفلسطينيين ١ اي ١٨: ١

ثم بعد ذلك صارت بقايا اهل كنعان الاصليين جميعًا عبيدًا لآل اسرائيل وصار نسل الجبعونيين قبل ذلك عبيدًا يقطعون الحطب ويستقون الماء لبيت الله ولكن سليمان الذي كان ابن داود وخليفتهُ ايضًا جعل جميع بقايا القبائل السبع الذين في كنعان عبيدًا او على الاقل جعلهم يؤدون خراج العبودية امل ٢: ٩ الى ٢٢. ومن ثمَّ يذكر الكتاب المقدس بني عبيد سليمان وذلك بعد الرجوع من سبي بابل فيريد بهم ذرية السبع القبائل الذين كانوا في كنعان

واستعبدهم سليمان انظر عز ٢:٥٥ ونح ١١:٣

واما الارض المدعوة كنعان بطريق الحصر التي اخذها داود لم تكن نصف ولا ربع الارض التي وعد الله بها آباءهم. لان الارض الموعود آباؤهم بها مرارًا يدخل فيها جميع البلاد من نهر مصر الى نهر الفرات. وهذه حدود الارض الموعود بها ابرهيم كما يظهر من سفر التكوين ١٥:١٨ وكذلك كان وعد الله على جبل سيناء بقولهِ واجعل تخومك من بحر سوف الى بحر فلسطين ومن البرية الى النهر فاني ادفع الى ايديكم سكان الارض فتطردهم من امامك خر ٢٣:٣١ وقولهِ ايضًا كل مكانٍ تدوسهُ بطون اقدامكم يكون لكم. من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات الى البحر الغربي يكون تخمكم تث ١١:٢٤. وقد وعد بذلك يشوع ايضًا بقولهِ كل موضعٍ تدوسهُ بطون اقدامكم لكم اعطيتهُ كما كلمت موسى. من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات وجميع ارض الحثيين والى البحر الكبير نحو غروب الشمس يكون تخمكم يش ١:٣ و٤. ولا يخفى ان الارض التي ملَّكها يشوع للشعب لم تكن سوى جزءٍ صغير من هذه الارض والشعب لم يتملك جميعها حتى اعطاهُ الله اياها على يد داود

وهذه البلاد المتسعة لم تكن تشتمل فقط على ارض كنعان التي قُسمت بالقرعة على الذين دخلوا مع يشوع بل على ارض الموابيين والعمونيين ايضًا وارض العمالقة وبقايا الادوميين وبلاد صوبة. فان جميع هذه القبائل قد ذلُّوا وصاروا تحت ولاية بني اسرائيل بواسطة داود. فاقام داود محافظين في بلادهم وصاروا عبيدًا لداود. وامتدَّت حدود ملكهِ الى نهر الفرات حسب الوعد كما يظهر من قولهِ وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك صوبة حين ذهب ليردَّ سلطتهُ عند نهر الفرات ٢صم ٨:٣. وقد اشار ارتحشستا ملك فارس الى هذا الامر بعد ذلك بقولهِ وقد كان ملوك مقتدرون على اورشليم وتسلَّطوا على جميع عبر النهر وقد أُعطوا جزية وخراجًا وخفارة عز ٤:٢٠

وهكذا يشوع الذي هو رمزٌ للمسيح ابتدأ في تمليك اسرائيل ارض الميعاد

وترك تكميل هذا الامر لداود الذي هو رمز اعظم للمسيح الذي اخضع من هذه الارض اكثر مما اخضعهُ يشوع اضعافًا . وفي امتداد ملكهِ وملك سليمان ابنهِ بعض مشابهة لعظمة اتساع مملكة المسيح كما يظهر من قول المرنم ويملك من البحر الى البحر ومن النهر الى اقاصي الارض مز ٧٢: ٨ انظر ايضًا امل ٨: ٥٦

(٩) ان الله بواسطة داود اكمل العبادة اليهودية وضمَّ اليها جملة سنن جديدة . وهو قد اعطى على يد موسى الشريعة ولكن لم يعطِ على يدهِ جميع سنن العبادة اليهودية . وعلى ذلك يكون داود فضلاً عن تكميلهِ عمل يشوع في تمليكهِ بني اسرائيل ارض الميعاد قد اكمل ايضًا عمل موسى في تكميلهِ سنن العبادة عند اليهود وبذلك يظهر انهُ يقتضي ان يكون عدة من الانبياء والكهنة والملوك لتكميل رمز واحد عن المسيح المرموز اليهِ اذ كان هو جوهر جميع تلك الرموز والاشارات . ومن ثمَّ كان المسيح يستحق مجدًا اعظم جدًّا مما كان لموسى ويشوع وداود وسليمان وسائر الانبياء العظام والكهنة والولاة والقضاة وجميع منقذي العهد القديم بوجه العموم

والكتب المقدسة تثبت صحة السنن المرتبة من داود نظير السنن المرسومة من موسى على حدٍّ سواء كما يتضح من سفر الايام الثاني حيث يقول وجعل يهوياداع مناظرين على بيت الرب عن يد الكهنة اللاويين الذين قسمهم داود على بيت الرب لاجل اصعاد محرقات الرب كما هو مكتوب في شريعة موسى بالفرح والغناء حسب امر داود ٢ اي ٢٤: ١٨ . وقد اكمل داود عبادة اسرائيل بما اضافهُ الى الشريعة الطقسية اي ص ٢٣ الى آخرهِ اذ قسم اللاويين الى رتب وخدمات جديدة وعيَّن لهم اعمالاً لم تكن لهم في ايام موسى وبتقسيمهِ اللاويين الى اربع وعشرين رتبةً وتعيينهِ لكل رتبةٍ عملاً في بيت الرب حسب نوباتهم . ورتب ايضًا بعضًا من اللاويين في وظيفةٍ جديدة اعني مرنمين اذ اقامهم ونظمهم في هذه الوظيفة ١ اي ص ٢٥ وآخرين من اللاويين عيَّنهم بوَّابين وخزَّانين وقضاة وبقي ترتيبهُ هذا من ذلك الوقت فصاعدًا محفوظًا في كنيسة

اسرائيل منذ بناء كنيسة اليهود . فاننا نرى هذه الوظائف مذكورة بعد سبي بابل ونراها ايضاً مذكورة في العهد الجديد . فان زكريا ابا يوحنا المعمدان كان كاهناً من خدمة آل ابيًّا وهي نفس خدمة ابيًّا المرتبة من داود المذكورة في ١ اي ٢٤: ١٠

فاذا كما كان موسى مشابهاً للمسيح في شيء هكذا نرى داود يشابهه فيه ايضاً وهو ان الله قد اعطى بواسطته بعض تراتيب جديدة وسنناً للعبادة حديثة وان داود فضلاً عن زيادته على ما رتبه موسى قد ابطل بواسطة هذه الزيادة سنناً كانت لم تزل محفوظة الى زمانه وعلى الخصوص السنن المتعلقة بتعيين خدمة اللاويين بالمحافظة على الخيمة واوانيها المذكورة في عد ص ٣ وص ٤ ويتضح ذلك من قوله وليس للاويين بعد ان يحملوا المسكن وكل آنيته لخدمته ١ اي ٢٣: ٢٦ وذلك دليل قاطع على ان الشريعة الطقسية المعطاة على يد موسى لم تكن ابدية حسب زعم اليهود بل وقتية يمكن ابطالها بالمسيح . واذا كان داود وهو رمز للمسيح قادراً ان يبطل جزءاً من شريعة موسى فبالاولى ان يكون المسيح قادراً ان يبطلها جميعها . فان داود بامر الله ابطل بالكلية استعمال الخيمة التي بناها موسى على الرسم الذي اراهُ الله اياهُ . لان الله اراهُ انه يريد ان يبني له هيكلاً عوضها . وذلك رمز قويٌّ لما سوف يعمله المسيح ابن داود عند اتيانه وهو انه يبطل جميع سنن اليهود الطقسية التي لم تكن سوى خيمة منتقلة لكي يبني مكانها هيكل الانجيل الروحي الذي هو اكثر مجداً واعظم شرفاً وهو ثابتٌ الى الابد . وقد ارى سبحانهُ داود رسم كل ما يتعلق بالهيكل كما ارى موسى رسم الخيمة . فبنى سليمان الهيكل على الرسم الذي قبله من ابيه وقبله ابوهُ من الله كما جاء في سفر الايام الاول اذ يقول واعطى داود سليمان ابنه مثال الرواق وبيوته وخزائنه وعلاليه ومخادعه الداخلية وبيت الغطاء ومثال كل ما كان عنده بالروح لدبار بيت الرب ولجميع الحادع حواليه ولخزائن بيت الله وخزائن الاقداس ١ اي ٢٨: ١١ و ١٢ الى ان يقول قد افهمني الرب كل ذلك

بالكتابة بيدهِ عليَّ اي كل اشغال المثال ع ١٩

(١٠) يظهر انهُ في اواخر ملك داود قد زيدَ على اسفار الكتب المقدسة بواسطة ناثان النبي وجاد الرائي. والمرجَّح من الكتب الالهية انهما اخذا سفري صموئيل الاول والثاني واكملاهما مبتدئين من المكان الذي انتهى اليهِ صموئيل. والمظنون ان هذين السفرين هما المشار اليهما بقولهِ وامور داود الملك الاولى والاخيرة هي مكتوبة في اخبار صموئيل الرائي واخبار ناثان النبي واخبار جاد الرائي ١ اي ٢٩: ٢٩

(١١) ان مما اذكرهُ هنا حفظ الله بنوع عجيب الملك على شعبهِ المنظور في العائلة التي اتى منها المسيح ما دامت المملكة منتقلة وذلك كان كل الوقت الاَّ شيئًا جزئيًّا منهُ لا يُعتبَر. ولم نقل ان ملك جميع اسباط اسرائيل بقي في تلك العائلة بل الملك على الجزء الحافظ عبادة الله الحقيقية الذين هم شعب الله المنظور بقي دائمًا في عائلة داود تتميمًا لوعد الله. ولم نقل ان الملك بقي في عائلة داود باجمعها بل انهُ حُفظ في نفس العائلة التي اتى المسيح منها. فيتضح من ذلك ان جدَّ المسيح كان دائمًا على الكرسي ما عدا آحاز الذي تملَّك ثلاثة اشهر وصدقيا

وقد حُفِظ اكليل شعب الله بنوع عجيب في اجداد المسيح لانهُ لماشايخ داود ولم يعد يمكنهُ تدبير المملكة قام ادونيا ابنهُ وادَّعى الملك لنفسهِ وكان يتراءى انهُ حصل على مطلوبهِ لانهُ كان في اول الامر كانهُ ناجحٌ وظنَّ بنفسهِ انهُ قويٌّ. ولكن بما انهُ لم يكن من السلسلة التي تسلسل منها المسيح لم تدعهُ العناية الالهية في كرسيهِ بل قلبت حالاً مملكتهُ ومجدهُ واعطت الملك لسليمان جد المسيح

وبعد وفاة سليمان عندما قام يربعام على هذه العائلة وساءت سيرة رحبعام حتى كان من العجب ان جميع بني اسرائيل لم يتركوهُ كما تركتهُ الاسباط العشرة ويقيموا يربعام ضدًّا لهُ فعوض ان يخلع من الملك بالكلية لاجل سوء سيرتهِ وضميرهِ بقي في يدهِ ملك السبطين الباقيين اللذين كانت الديانة الحقيقية محفوظة

عندها . وما ذلك الاَّ لانهُ كان جدًّا المسيح . ومع ان ابنهُ ابيام كان شريرًا نظيرهُ ابقى الله الملك في العائلة واعطاهُ لآسا بن ابيام . وكان كثيرون بعد ذلك من ملوك يهوذا اشرارًا الى الغاية وقد اغضبوا الله جدًّا ولاسيما يهورام واخزيا وآحاز ومنسّى وعمون ومع ذلك لم يأخذ الله الملك من عائلتهم بل اعطاهُ لابنائهم لانهم كانوا اجدادًا للمسيح ولان الله ذكر عهدهُ مع داود . وعند الكلام على شرّ ابيام في سفر الملوك الاول يقول ولكن لاجل داود اعطاهُ الرب الههُ سراجًا في اورشليم اذ اقام ابنهُ بعدهُ وثبت اورشليم امل ١٥ : ٤ وكذلك عند الكلام عن عظم شرّ يهورام في سفر الايام الثاني يقول ولم يشأِ الرب ان يبيد بيت داود لاجل العهد الذي قطعهُ ولانهُ قال انهُ يعطيهِ وبنيهِ سراجًا كل الايام ٢١ اي ٢١ : ٧

واما اكليل العشرة الاسباط فكان دائمًا ينتقل من عائلة الى اخرى . فاخذهُ اولاً يربعام ولم يصل الاَّ الى ابنهِ ناداب . ثم اخذهُ بعشا وكان من عائلة اخرى ولم يثبت في عائلتهِ الاَّ جيلاً واحدًا بعد وفاتهِ ثم اخذهُ زمري خادمهُ ولم يكن من عائلتهِ . ثم عمري وكان من عائلة اخرى ايضًا وبقي في ثلاثة خلفاء من عائلتهِ . ثم انتقل الى ياهو وكان من عائلة اخرى ولم يبقَ الاَّ في اربعة خلفاء من عائلتهِ . ثم اخذهُ شلوم وكان من عائلة اخرى ولم ينتقل منهُ الى احدٍ من عائلتهِ بل الى مناحيم وهو من عائلة اخرى وبقي في عائلتهِ جيلاً واحدًا فقط . ثم اخذهُ فقح وكان من عائلة اخرى . ثم هوشع وكان ايضًا من عائلة اخرى . فكان الفرق بين اكليل اسرائيل واكليل يهوذا عظيمًا جدًّا من حيث ان الواحد بقي دائمًا في عائلة واحدة مع انقطاع قليل جدًّا وذلك في خطٍّ مستقيم . واما الآخر فكان في حالة الانتقال على الدوام من عائلة الى اخرى . ولم يكن ذلك لكون ملوك يهوذا كلهم او اكثرهم كانوا احسن من ملوك اسرائيل بل لان البركة كانت في ملوك يهوذا دون ملوك اسرائيل اذ انهم اجداد المسيح الذي كان يحقّ لهُ ان يجلس على كرسي اسرائيل تكميلاً للعهد الابدي مع داود

الذي مراحمهُ صادقة

ثم يجب ان نتذكر انهُ ذات مرَّة صار اتحادٌ عظيم بين ملوك سورية واسرائيل في ايام آحاز الرديء ملك يهوذا وعزموا على خلعهِ وخلع عائلتهِ من الملك واقامة ملكٍ من عائلة اخرى مكانهُ وهو ابن طبئيل كما قال اشعياء نصعد على يهوذا ونقوّضها ونستفتحها لانفسنا ونملّك في وسطها ملكًا ابن طبئيل اش ٧ : ٦ . وقد اشرفوا على بلوغ ما ارادوهُ حتى خاف الشعب جدًّا ورجفت قلوبهم كما قال ايضًا فرجف قلبهُ وقلوب شعبهِ كرجفان شجر الوعر قدام الريح ع ٢ . وحينئذٍ ارسل الله اشعياء النبي لكي يشجّع الشعب ويقوّي قلوبهم ويخبرهم بخيبة امل اعدائهم وامرهُ ان يعطيهم علامة يطمئنون بها . وهذه العلامة هي ان المسيح سوف يولد من زرع آحاز كما قيل يعطيكم السيد نفسهُ آية ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمهُ عمانوئيل اش ٧ : ١٤ . ولا ريب ان هذه كانت علامة جيدة وثبيتًا لصدق ما وعد بهِ الله على يد اشعياء وهو ان ملوك سورية واسرائيل لا يبلغون اربهم من خلع آحاز ملك يهوذا واقامة ابن طبئيل مكانهُ لان المسيح الملقَّب عمانوئيل سوف يأتي من نسل آحاز المذكور

(١٢) ان بناء الهيكل كان رمزًا عظيمًا لثلاثة اشياء وهي المسيح وبالخصوص طبيعتهُ البشرية والكنيسة والسماء . وقد كانت الخيمة تمثّل لنا الكنيسة في حالها المتنقل غير الثابت في هذا العالم . واما ذلك البناء الحسن النفيس اي الهيكل الذي خلف الخيمة فانهُ يشير الى الكنيسة في حال انتصارها ومجدها في السماء . وقد بُني الهيكل حسب ارشاد الروح القدس لداود وعلى الرسم الذي اعطاهُ اياهُ في المكان الذي كان فيهِ بيدر ارنان اليبوسي على جبل المُريَّا ٢ اي ٣ : ١ وهو نفس الجبل ولعلهُ نفس البقعة التي قدَّم عليها ابرهيم ابنهُ اسحق لانهُ قيل عن ذلك انهُ كان في ارض المريَّا تك ٢٢ : ٢ . وقد دُعي جبل الرب كما دُعي الجبل الذي بني الهيكل عليهِ حيث قيل فيهِ ودعا ابرهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه حتى انهُ يقال اليوم في الجبل الرب يُرَى

والهيكل هو المكان الذي حلَّ فيهِ المسيح بالروح الى ان جاء ليحلَّ في الطبيعة البشرية . ويتضح انهُ كان رمزًا لجسدهِ من قولهِ انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة ايام اقيمهُ يو ٢ : ١٩ . يعني بذلك هيكل جسدهِ كما فسر في العدد الحادي والعشرين من هذا الاصحاح . وبقي الهيكل بيت الله وموضع العبادة لكنيستهِ تعالى والمكان الذي اختارهُ الله لاجل تقدمة المحرقات والذبائح الى ان جاء المسيح الذبيحة الحقيقية . وقد دخل الرب رسول العهد الى هيكلهِ وكان مرارًا كثيرة يعلم فيهِ تعاليمهُ الالهية ويعمل الآيات . وفي هذا المكان اجتمعت كنيستهُ بعد صعودهِ وحلَّ عليها الروح القدس كما قيل وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله لو ٢٤ : ٥٣ . وقيل عن الجماعات الذين آمنوا عند حلول الروح القدس يوم الخمسين انهم كانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة اع ٢ : ٤٦ . وقيل ايضًا عن الرسل وكانوا لا يزالون كل يوم في الهيكل وفي البيوت معلمين ومبشرين بيسوع المسيح اع ٥ : ٤٢ ومن هذا المكان خرج صوت الانجيل وامتدت الكنيسة في العالم جميعهِ

(١٢) مما يستحق الذكر هنا انهُ في ايام سليمان الملك بعد تتميم الهيكل كانت كنيسة اليهود مرتفعة الى اعلى درجة من مجدها الظاهري . وهذه الكنيسة من حيث سننها وطقوسها تشبه القمر كما قيل وظهرت آيةٌ عظيمة في السماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى راسها اكليل من اثني عشر كوكبًا رؤ ١٢ : ١ ومن التشبيهات الكثيرة بين الكنيسة والقمر نذكر واحدة فقط وهي من جهة النقصان والنقصان والزيادة لانها منذ تأسيسها تعاهد الله مع ابرهيم ابتدأ هذا الهلال يظهر ثم اخذ يرتقي في المجد شيئًا فشيئًا الى ان صار قمرها بدرًا وذلك في الوقت الذي تمَّ فيهِ بناء الهيكل وتكريسهُ وكان ذلك في الزمان المتوسط بين دعوة ابرهيم وايام المسيح . واما بعد هذا الوقت فقد اخذ مجد كنيسة اليهود في التناقص الى ان جاء المسيح بالجسد كما سياتي بيانهُ بالتفصيل

ومن جهة مجد كنيسة اليهود في ايام سليمان كان ذلك بان عدد بني

اسرائيل حينئذٍ قد كثر جدًّا حتى انهُ كان يخال كالرمل الذي على شاطئ البحر امل ٤ : ٢٠ . وحينئذٍ استقرَّت مملكة اسرائيل في ذات العائلة التي كان المسيح عتيدًا ان يأتي منها . وكان الله قد اختار المدينة التي شاء ان يضع فيها اسمهُ وقد ملَّك شعبهُ ارض الميعاد تمليكًا تامًّا فاستولوا عليها جميعها بالامان والسلام من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات وخضع لهم القبائل الذين كانوا قبلاً اعداءهم حتى لا احد كان يتجاسر بالعصيان عليهم . حينئذٍ تمَّت عبادة اليهود بجميع سننها وفرائضها وعوض الخيمة المتنقلة صار لهم هيكلٌ نفيس هو اعظم الابنية السابقة واللاحقة واجملها وافضلها . حينئذٍ فاز الشعب بالسلامة والخصب وجلس كل رجل تحت كرمهِ وتينتهِ امل ٤ : ٢٥ . وحصلوا على ارفع طبقة من النجاح والغنى العالمي فكانت الفضة كثيرة كالحجارة والبلاد مملوءة من الذهب والحجارة الكريمة واشياء اخرى نفيسة ما كانت تجلبهُ سفن سليمان من ازمير واماكن اخرى من المسكونة . والملك الذي كان يملك عليهم هو احكم الناس واعظم الملوك الذين وُجدوا . فاشتهر اسمهم في كل الاقطار حتى جاء كثيرون من اقصى المسكونة ليروا مجدهم وراحتهم

فعلى هذه الطريق ارتضى الله ان يشخّص لنعالم مجد مملكة المسيح الآتية بواسطة مجد واحد من اجدادهِ وكما كان داود رجل الحرب مكابدًا انعابًا شديدة فهو البق رمزٍ للمسيح في حال اتضاعهِ ومحاربتهِ لاعدائهِ كان سليمان رجل السلام اخصّ رمز للمسيح في حال ارتفاعهِ اذ تغلَّب وتملَّك بالامان . وحالة كنيسة اليهود السعيدة والمجيدة في تلك المدة تشير الى امرين يستحقان الاعتبار احدهما حالة كنيسة المسيح السعيدة على الارض التي تكون لها في الايام الاخيرة ايام الراحة والسلام التي لا يعود قومٌ يرفعون فيها السيف على قومٍ آخرين ولا يعودون يتعلمون الحرب والقتال . والثاني الحالة المجيدة للكنيسة التي سوف تكون لها في السماء . وبالحقيقة ان كنعان الارضية لم تكن قط رمزًا قويًّا بهذا المقدار لكنعان السموية كما كانت في تلك الايام حين كان شعب اسرائيل يتمتع بها كارضٍ

تفيض لبنًا وعسلاً

(١٤) ان مجد كنيسة اليهود اخذ بعد هذا الوقت في الانحطاط تدريجًا الى ان جاء المسيح واما عمل الفداء العظيم فلم يزل آخذًا في التقدم. لان الله مدبر الكائنات الكلي الحكمة كان يحوّل كل الحوادث بنوع عجيب الى نجاح هذا العمل ويجعل كل الامور تمهّد الطريق لتكميله. فكان نجاح اليهود وارتفاع شأنهم وذلهم وتنكيس لوائهم واسطة لاتمام هذا الامر الخطير في كلا الحالين

وكما ان القمر وهو بدرٌ ياخذ في الاتجاه شيئًا فشيئًا الى الاقتران ويقلُّ نورهُ مع تقدمهِ حتى انهُ متى صار الاقتران يختفي نورهُ في الشمس هكذا كان حال الكنيسة اليهودية التي كانت بدرًا في ايام سليمان ثم اخذ نورها يتناقص في اواخر حكمهِ وذلك لافسادهِ نفسهُ بالميل الى عبادة الاوثان التي زجت مجد هذا الملك القوي الحكيم في ظلمةٍ كثيفة واخذت الحروب والخصومات تدخل في مملكتهِ ثم لانقسام المملكة بعد وفاتهِ وخروج الاسباط العشرة من تحت ولاية بيت داود وزيغانهم عن عبادة الله الحقيقية في هيكل اورشليم وعبادتهم عجول بيت ايل ودان الذهبية. وبعد ذلك حالاً قُتل جمهورٌ كبيرٌ من الاسباط العشرة في الحرب التي وقعت بين يربعام وابيًا. وكان عدد اولئك القتلى خمس مئة الف من نُخب اسرائيل. ولا ريب ان هذه جسارة لم يمكنهم تعويضها فيما بعد

ثم ان الاسباط العشرة حادوا بالكلية عن الاله الحقيقي وذلك في ايام يربعام ودخل ايضًا فساد عظيم في مملكة يهوذا. وكانوا من ذلك الوقت فصاعدًا لم يزالوا مائلين للفساد على الغالب. ثم في ايام آخاب ان مملكة اسرائيل فضلاً عن عبادتهم عجول بيت ايل ودان عبدوا البعل وسجدوا لهُ. لانهم كانوا الى ذلك الوقت يدّعون انهم يعبدون الاله الحقيقي تحت هذه التماثيل ثم ادخل آخاب بينهم عبادة هذه الآلهة الكاذبة بنفسها عوض الاله الحقيقي. ثم بعد ذلك بقليل دخلت عبادة البعل في مملكة يهوذا في ايام يورام بواسطة زواجهِ بعثليا بنت آخاب وبعد ذلك ابتدأ الله يضيّق حدود اسرائيل واهلك

اخيرًا القسم الذي في عبر الاردن وارسلهم الى السبي ٢مل ١٠: ٣٢ الى آخره. ثم ان تغلث فلاصر ملك اشور اخضع الاقسام الشمالية وسباها ٢مل ١٥: ٢٩. ثم ان شلمناصر اخيرًا غلب على جميع الاسباط العشرة وسباهم بجملتهم من ارضهم ثم سُبيت ايضًا مملكة يهوذا بعد ذلك الى بابل وعند الرجوع لم يرجع منهم الاَّ قليلون وكانوا بعد ذلك تحت سلطة البلدان الغربية على الغالب فمكثوا زمانًا تحت حكم ملوك فارس ثم تحت حكم اليونانيين ثم الرومانيين. وصارت كنيسة اليهود قبل مجيء المسيح فاسدة جدًّا واستولت عليها التعاليم المعوجَّة والخرافات حتى كان العَبَدة الحقيقيون قطيعًا صغيرًا جدًّا عند تجسدهِ

فالله سبحانهُ بواسطة هذا الانحطاط لليهود وللكنيسة اليهودية بعد ايام سليمان قد اعد الطريق لمجيء المسيح وذلك على انحاء مختلفة سيأتي بيانها

اولاً ان انحطاط مجد الشريعة الموسوية فتح الباب لدخول الشريعة الانجيلية التي هي اكثر مجدًا. وكانت شريعة مجيدة بهذا المقدار حتى ظهرت الشريعة الموسوية في مقابلتها بلا مجدٍ بالكلية. فان الشريعة القديمة حتى في ايام سليمان كانت اقلَّ مجدًا من الشريعة الروحية المعطاة من المسيح لان الكنيسة تحت الشريعة القديمة كانت بمنزلة ولد تحت ايدي المعلمين والمدبرين. وهكذا كان الله يعاملها. والاشياء التي كانت تتراءى انها نفيسة قد دعاها بولس الرسول اركانًا ضعيفة فقيرة. وكان من اللائق ان هذه الاشياء تنحط في اعتبارها بقرب مجيء المسيح كما يقول يوحنا المعمدان في كلامهِ عنهُ ينبغي ان ذاك يزيد واني انا انقص يو ٣: ٣٠. انهُ من الواجب ان النجوم الساطعة ينقص مجدها وضياؤها عند ما تقرب الشمس من الشرق وهكذا يجب ان مجد الشريعة اليهودية يتناقص بالتدريج لاجل اعداد الطريق لقبول مجد الانجيل باكثر فرحٍ. ولو بقيت كنيسة اليهود عند ما جاء المسيح في مجدها الخارجي كما كانت في ايام سليمان لكانت لا محالة قد اعمت ابصار الناس بحيث لا يعودون يرتضون ان يبدلوا تلك العظمة الخارجية بالمجد الروحي المقدم لهم من يسوع المصلوب

ثانيًا ان انحطاط اليهود اعدَّ طريق المسيح اذ جعل كل المجد لقوة الله عند اظهار عظمة نتائج عمل الفداء. ونقصان عددهم وضعفهم على هذا المنوال الى ان جاء المسيح شديد المشابهة لنقصان جيش جدعون. فان الله قال لجدعون ان الشعب الذي كان معهُ كثيرٌ على اهل مديان لئلاَّ يفتخر اسرائيل بنفسهِ ويقول يدي خلصتني. ولهذا امر كل من كان خائفًا بالرجوع فرجع اثنان وعشرون الفًا وبقي عشرة آلاف ولم يزالوا ايضًا كثيرين. وعند اختبارهِ لهم على الماء رجع منهم ايضًا جمهورٌ ولم يبقَ مع جدعون الاَّ ثلاث مئة رجل. وهكذا كان الشعب في ايام سليمان كثيرًا ومقتدرًا ومفتخرًا حتى لا يوافق قصد المسيح ولهذا انقصهُ الله اولاً باخراجهِ الاسباط العشرة ثم بالسبي الى بابل ثم نقص ايضًا بواسطة الفساد العظيم العمومي الذي كان منتشرًا بينهم حين مجيء المسيح حتى انهُ لم يجد بينهم من الاتقياء الاَّ قليلاً. وهو لهُ المجد بواسطة تلاميذهِ القليلي العدد نال الغلبة على العالم وبهذه الواسطة انخفضت المرتفعات لكي يرتفع المسيح ويتمجد

ثالثًا ان انحطاط اليهود اعدَّ طريق الرب اذ جعل سببًا لازدياد مجد المسيح عند تخليصهِ المؤمنين منهم من تلك الحالة الشنيعة. ومع ان اكثر اليهود رُفِضوا ودُعِيت الامم مكانهم نرى الوفًا كثيرة من اليهود قد آمنوا وخلصوا بالمسيح بعد قيامتهِ راجع اع ٢١: ٢٠. ولا يخفى ان تخليصهم وهم في تلك الحالة الدنيئة واقعين تحت رق العبودية للرومانيين ومتمسكين بالخرافات والرذائل يجعل فداءهم اكثر مجدًا وتأثيرًا في قلوب الناظرين

(١٥) قد وجدنا هنا محلاً لذكر ما زيد على الكتب القانونية في ملك سليمان وبعدهُ بقليل. وكثيرٌ من هذه الزيادة كان من سليمان نفسهِ الذي كتب سفر الامثال وسفر الجامعة وربما كتبهما في اواخر ملكهِ. وكذلك نشيد الانشاد الذي بجملتهِ يشير الى المسيح وفدائهِ اذ يتكلم عن القرابة والاتحاد والمحبة العظمى التي بين المسيح وكنيستهِ المفتداة بدمهِ. والظاهر انهُ قد زيد على التاريخ المقدس في ايام سليمان وبعدهُ بقليل بواسطة ناثان واخيا وشمعيا وعدو راجع ٢ اي

٢٩:٩ و١٢:١٥ و١٤:٢٢

(١٦) ان حفظ الله لكنيسته والديانة الحقيقية في هذه المدة من الفناء كان عجيبًا جدًّا نظرًا لكثرة زيغان هذا الشعب عن عبادة الله الى عبادة الاوثان. فعند ما ترك الاسباط العشرة عبادة الله الحقيقية بالكلية حفظ الديانة في مملكة يهوذا. واذ كان هولاء ايضًا يقعون في الفساد كما فعلوا مرارًا كثيرة حتى كانت عبادة الاوثان تكاد تبتلع كل ما في طريقها حفظ الله سراج ديانته مضيئًا. وحين كانت الامور تبان انها قد وصلت الى حدّها والديانة في آخر نسمة من حياتها كان سبحانهُ وتعالى مرارًا كثيرة يحييها بفيض روحهِ القدوس وعلى الخصوص في ايام حزقيا ويوشيا

(١٧) ان الله حفظ على نوع عجيب كتاب الشريعة من ان يُفقد في الاوقات التي كان فيها منسيًّا ومهملاً من الجميع مدة طويلة. ومن اشهر مواقع ذلك حفظهُ اياهُ عند ما صار السقوط العظيم في الجزء الاكبر من ولاية منسّى المستطيلة التي بقيت خمسًا وخمسين سنة وكذلك في ولاية ابنهِ عمون وحينئذٍ صار الكتاب مهملاً ومصالح الهيكل متروكة بهذا المقدار حتى ان النسخة التي كانت عادتهم ان يضعوها في جانب التابوت في قدس الاقداس بقيت مفقودة مدة طويلة ولم يعلم احدٌ اين كانت. لكن عناية الله لم تسمح بفقدهِ بالكلية فوُجدت نسخة في ايام يوشيا حين انوا لترميم الهيكل مدفونة تحت الردم والظاهر انهُ كان قد مضى عليها مدة طويلة اذ كان يوشيا قد استغرب الكتاب راجع ٢مل ٢٢: ٨ الى اخرهِ

(١٨) ان الله حفظ بنوع عجيب تلك القبيلة التي كان المسيح مزمعًا ان يأتي منها بالجسد من الملاشي في المخاطر الشديدة الكثيرة التي كانت تحيطة بها في تلك المدة. ولا يخفى ان كنيسة المسيح المنظورة كانت منذ ايام سليمان على الاكثر في قبيلة يهوذا. واما قبيلة بنيامين التي اتحد معها فكانت صغيرة بخلاف قبيلة يهوذا فانها كانت كبيرة جدًّا. وكما ان يهوذا اخذ بنيامين تحت كنفهِ عند انحدارهم

الى مصر لاجل جلب الطعام كانت قبيلة بنيامين بعد ذلك تحت ظلّ قبيلة يهوذا على الدوام . وان كان اللاويون قد تركوا جميع القبائل واتوا الى قبيلة يهوذا عند ما ادخل يربعام العجول في بيت ايل ودان لكنهم كانوا ايضًا قلائل ولم يحسبوا بين الاسباط راجع ٢ اي ١١ : ١٣ . نعم ان كثيرين من الاسباط العشرة خرجوا في تلك الايام من قبائلهم لكي يعبدوا الله في الهيكل واتحدوا مع يهوذا وانضموا اليهِ ولكن بما ان الجزء الغالب كان من نسل يهوذا دُعي الجميع باسمهِ كأنهم قبيلةٌ واحدة . ولذلك قال الله لسليمان ولا امزّق منك المملكة كلها بل اعطي سبطًا واحدًا لابنك من اجل داود عبدي ومن اجل اورشليم التي اخترتها امل ١١ : ١٣ . وكذلك عند ما سُبيت الاسباط العشرة يذكر انهُ لم يبقَ الاَّ سبط يهوذا حيث قيل وغضب الرب جدًّا على اسرائيل ونحّاهم من امامهِ ولم يبقَ الاَّ سبط يهوذا وحدهُ ٢ مل ١٧ : ١٨ . ومن ثمَّ دُعوا يهودًا اخذًا من اسم يهوذا

فهذه هي القبيلة التي كان المسيح عتيدًا ان يأتي منها والتي توجد فيها بالاكثر كنيسة الله المنظورة منذ ايام سليمان . وهذا هو الشعب الذي قد حفظهُ الله في تلك الاجيال مع انهُ مرارًا كثيرة كان على حافة الخراب التام وذلك في ايام رحبعام عند ما ركب شيشق ملك مصر على يهوذا بجيش عظيم ٢ اي ١٢ . وفي ايام ابيا حين قام يربعام لمحاربتهم بثلاث مئة الف مقاتل من اشدّاء رجالهِ ٢ اي ١٣ : ٣ . فاعطى الله يهوذا الغلبة بناء على عهد النعمة الذي قطعهُ مع داود ولم ينالوا تلك الغلبة الاَّ لان الله كان يحارب عنهم . وفي ايام آسا لما خرج عليهم زارح الكوشي بالف الف مقاتل وثلاث مئة مركبة راجع ٢ اي ١٤ : ٩ . وفي هذا الوقت صرخ آسا الى الرب متكلاً عليهِ وقال ايها الرب ليس فرقًا عندك ان تساعد الكثيرين او من ليس لهم قوة ع ١١ فاستجاب الله لهُ واعطاهُ غلبة عجيبة على هذا الجيش العظيم

وكذلك جرى في ايام يهوشافاط حين اتحد بنو موآب وبنو عمون واهالي

جبل سعير على يهوذا واجتمعوا جيشًا غفيرًا جدًّا لم يقدر يهوشافاط ان يجمع مثلهُ . فخاف هو وشعبهُ خوفًا عظيمًا وطلب الى الله واتكل عليهِ فارسل الله واحدًا من انبيائهِ يخبرهم ان لا يخافوا الجيش . ليس عليكم ان تحاربوا في هذه . قفوا واثبتوا وانظروا خلاص الرب . فوقفوا يهللون ويرنمون لله . وحينئذٍ القى الله الفتنة بين اعدائهم واهلك بعضهم بعضًا . واما آل يهوذا فلم يعملوا شيئًا سوى التقاط الغنائم التي كانت اكثر مما استطاعوا حملهُ راجع ٢ اي ٢٠

وكذلك كان في ايام آحاز حين اتفق رصين ملك آرام وفقح بن رمليا ملك اسرائيل على يهوذا وكادا يظفران بهِ كما مرَّ . وفي ايام حزقيا ايضًا حين صعد سنحاريب ملك الاشوريين الى جميع قرى يهوذا الحصينة بعد تغلُّبهِ على اكثر البلاد المجاورة لها . وكانت مملكتهُ في تلك الايام اعظم الممالك الموجودة في الدنيا . فارسل ربشاقا قائد جيشهِ بعسكر عظيم الى اورشليم واخذ هذا القائد يعيِّر حزقيا وشعبهُ بكبرياء عظيمة زاعمًا انهُ سيظفر بهم لا محالة . فكانوا يرتعدون منهُ مثل الحمل الوديع امام الاسد الضاري . وحينئذٍ ارسل الله اشعياء النبي اليهم يعزيهم ويقوّي قلوبهم ويعلمهم ان اعداءهم سيرجعون عنهم خائبين خاسرين واثباتًا لقولهِ اعطاهم علامةً فقال وهذه لك علامةٌ تاكلون هذه السنة زريعًا وفي السنة الثانية خلفةً واما السنة الثالثة ففيها تزرعون وتحصدون وتغرسون كرومًا وتاكلون اثمارها ٢مل ١٩ : ٢٩ . وقد ذكر ذلك رمزًا عما وعد بهِ بعد ذلك بقولهِ يعود الناجون من بيت يهوذا الباقون يتأصلون الى اسفل ويصنعون ثمرًا الى ما فوق لانهُ من اورشليم تخرج البقية والناجون من جبل صهيون . غيرة رب الجنود تصنع هذا ٢مل ع ٣٠ و ٣١ . فان لم ينبت في الارض بعد قطعهِ بالمنجل ويأتي بغلةٍ ثانية من اصولهِ يشير الى حياة الكنيسة ثانيةً ونبتها نظير النبت المقطوع الذي لا يُرجَى رجوعهُ . فان اعداء الكنيسة عند ما يفرغون جهدهم في ملاشاتها حتى يظهر كانهم قد نالوا ما ارادوهُ ويحاولون ان يمحوا رسمها حتى لا تكاد تُرَى في الوجود تكون حينئذٍ كأصلٍ حيٍّ مدفون تحت التراب يبقى فيها حياة

خفية تجعلها تنبت وتنمو فتمتد اصولها الى ما تحت وتحمل اثمارًا الى ما فوق. وقد تمّ ذلك حينئذٍ فان ملك الاشوريين كان قد سبى الاسباط العشرة وسنحاريب اخذ جميع قرى يهوذا الحصينة واخرب البلاد جميعها ولم يبقَ الاَّ اورشليم. وكان ربشاقا يظنُّ انهُ قد فاز بالغلبة على تلك المدينة ايضًا. واهلها لاجل خوفهم كانوا يظنون انهم قد صاروا فريسة لهُ. ولكن الله اتاهم بالنصر والغلبة من عندهِ وصنع لهم نجاةً عجيبة اذ ارسل ملاكًا فضرب من معسكر اعدائهم مئة وخمسة وثمانين الفًا في ليلةٍ واحدة

(١٩) انهُ في ايام عزريا وخلفائهِ اقام الله انبياء عظامًا ليكتبوا نبواتهم لافادة الكنيسة في كل الاجيال. وقد ذكرنا في ما مضى انهُ تعالى ابتدأَ في ايام صموئيل باقامة سلسلة من الانبياء في اورشليم فكان كثيرٌ من هولاء يكتبون بوحيٍ من الله. وبهذا الوحي زادوا على ما كان من الكتب القانونية المُنزَلة. وتلك الزيادة كانت على الغالب اخبارًا تاريخية عن عناية الله العجيبة لحوكيستهِ. وقد تقدم الكلام عما كتب صموئيل. والظاهر ان ناثان وجاد كملا سفري صموئيل. وكتب ناثان ايضًا واخيا وعدُّو اخبار سليمان والارجح انها هي سفر الملوك الاول. والظاهر ان شمعيا وعدُّو كتبا تاريخ اسرائيل كما يبان مما قيل وامور رحبعام الاولى والاخيرة أما هي مكتوبة في اخبار شمعيا النبي وعدُّو الرائي عن الانتساب ٢ اي ١٢: ١٥. وبعدها كتب في ذلك ياهو بن حناني كما قيل وبقية امور يهوشافاط الاولى والاخيرة ها هي مكتوبة في اخبار ياهو بن حناني المذكورة في سفر ملوك اسرائيل ٢ اي ٢٠: ٣٤ راجع امل ١٦: ١ و ٧. ثم بعد هذا كتب اشعياء النبي اظر ٢ اي ٢٦: ٢٢ حيث قيل وبقية امور عزريا الاولى والاخيرة كتبها اشعياء بن آموص النبي والظاهر انهُ كتب في سفر الملوك الثاني شيئًا فضلاً عن سفر نبوتهِ. ثم قام انبياء بعد هولاء فحفظوا التاريخ وختموهُ

فالانبياء الذين اقامهم الله في ايام عزريا وما بعدَ لم تكن وظيفتهم ان يكتبوا كتبًا تاريخية فقط بل كتبًا نبوية ايضًا. والمظنون ان اول هولاء هوشع بن

بعيري وقد تنبأ هوشع في ايام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا وفي ايام يربعام بن يوآش ملك اسرائيل. وكان في اثناء تلك الايام انبياء كثيرون غيرهُ اقامهم الله شهودًا لهُ واوحى اليهم ان يكتبوا نبواتهم كاشعياء وعاموس ويونان وميخا وناحوم. وربما كان آخرون غير هولاء . ومن ذلك الوقت فصاعدًا لم يزل انبياء موجودين يكتبون نبواتهم

ولا ريب ان ذلك كان من تدابير العناية الالهية وانهُ كان تقدمًا عظيمًا في عمل الفداء كما يظهر اذا اعتبرنا ان اعظم قصد هولاء الانبياء هو التخبير عن المسيح وفدائهِ وانهم كانوا جميعهم سبّاقًا قدام ذلك النبي العظيم . وان الغاية الوحيدة من اعطائهِ تعالى الروح النبوي لهم هي ان يشهدوا ليسوع المسيح الفادي العظيم المزمع ان يأتي الى هذا العالم . ولهذا قيل عن روح النبوة وشهادة يسوع انهما شيء واحد كما ترى في سفر الرؤيا حيث يقول فقال لي انظر لا تفعل انا عبد معك ومع اخوتك الذين عندهم شهادة يسوع اسجد لله فان شهادة يسوع هي روح النبوة رؤيا ١٩: ١٠ . ومن ثمّ نرى ان جوهر كلام الانبياء كان عن المسيح وفدائهِ وعن ايام الانجيل المغبوطة . ومع انهم يذكرون اشياء اخرى في نبواتهم كانت هذه الاشياء كمقدمات لتلك الاشياء العظيمة وكيفما كان يبتدئ كلامهم فكان ينتهي فيها

وهولاء الانبياء اذ حلّ عليهم روح المسيح كتبوا نبواتهم ليسهّلوا طريق مجيئهِ ويخبروا بمجيءِ الآتي . وما ابلغ عباراتهم جميعًا عند ما يأخذون في الكلام على هذا الموضوع النفيس . ومع ان كلامهم في غيرهِ من الامور مثل كلام سائر الناس تراهم عند دخولهم في هذا الموضوع يتكلمون عنهُ كلامًا ساميًا مملوءًا من البهجة والحبور . والبعض منهم يتنبأون في ذلك بكل تدقيق واستيفاء اخصهم في هذه الطريقة اشعياء النبي ولذلك دُعي بالصواب النبيّ الانجيلي لانهُ يعلم تعاليم الانجيل صريحًا نظير الرسل بالتقريب . ومن ثم يصفهُ بولس الرسول بالجسارة رو ١٠: ٢٠ . ومعناهُ وضوح العبارة كما يتضح من اماكن اخرى من العهد

الجديد . ولا يخفى ان هذا النبي في الاصحاح الثالث والخمسين من نبوته يتكلم كلامًا صريحًا مستوفيًا عن طريقة آلام المسيح وذبيحته وعن ظروف ذلك وكيفيته والمقصود منهُ حتى انهُ لا يكاد يوجد في الانجيل فصلٌ اكثر وضوحًا واستيفاء منهُ . وهو مرارًا كثيرة يتكلم بعبارات سامية عن فوائد المسيح الجليلة والبركات غير الموصوفة التي يفيضها على كنيسته بواسطة فدائه . وقد ظهر يسوع المسيح مرَّةً لهذا النبي العظيم في صورة الطبيعة البشرية التي اتخذها بعد ذلك كما يتضح من قوله رأيت السيد جالسًا على كرسيٍّ عالٍ ومرتفع واذياله تملأُ الهيكل اش ٦ : ١ والعهد الجديد يخبرنا صريحًا ان الذي رآهُ اشعياء هذه المرة هو المسيح الرب يو ١٢ : ٣٩ الى ٤١

واذا امعنا النظر في النبوات التي تنبأ بها هذا النبي والانبياء المتأخرون نرى باي زيادة كان نور الانجيل مشرقًا على قلوبهم . فما اوضح النبوات والاعلانات التي كانت بالنسبة لما كانت في القسم الاول من العهد القديم من آدم الى نوح او في القسم الثاني من نوح الى ابرهيم او قبل موسى او في ايامه وايام يشوع والقضاة . وكم كان هذا العصر مجيدًا نظرًا لما زيد لعمل الفداء بواسطة الاضافات الى الكتب المنزلة لان من ايام عزيا الى سبي بابل قد كُتِب جانب عظيم من العهد القديم . وما افضل هذه الزيادة . وما اثمن هذا الكنز الذي خلفهُ هولاء الانبياء للكنيسة لتثبيت ايمانهم في انجيل المسيح ولتعزية وافادة المؤمنين في كل الاجيال الى نهاية العالم

الفصل السادس

من سبي بابل الى مجيء المسيح

قبل الدخول في الكلام عن خصوصيات هذا العصر اريد ان اذكر ثلاثة امور يتميّز بها هذا القسم الذي يحتوي ست مئة سنة تقريبًا عن الاقسام السابقة. الامر الاول اننا نرى الحوادث الواقعة في هذا القسم مذكورة في النبوة اكثر مما كان في الاقسام السابقة مع ان جزءًا عظيمًا منهُ لا يوجد لهُ تاريخٌ في الكتب المقدسة التاريخية. ولا يخفى انهُ يوجد طريقتان في الكتب المقدسة للاخبار عن الحوادث المتعلقة بعمل الفداء وهما التاريخ والنبوة. وباحدى هاتين الطريقتين تخبرنا الكتب المقدسة عن عمل الفداء من البداءة الى النهاية. ومع انهُ لا يوجد فيها تاريخٌ صريح للجميع نرى سلسلة جميع الحوادث التي بواسطتها يتمُّ هذا العمل العظيم من بداءتهِ الى نهايتهِ موجودةً لا محالة اما في التاريخ او في النبوة بحيث اذا قصر الواحد في اعطاء الخبر المنصود استوفاهُ الآخر. وبذلك يبقى الخبر سائرًا والسلسلة غير منقطعة حتى نصل الى الحلقة الاخيرة منها في نهاية كل شيء

وعلى ذلك تكون حوادث هذا القسم مع سكوت التاريخ المقدس عنها مدة اكثر من اربع مئة سنة موجودة في النبوات باكثر ايضاح من حوادث جميع الاعصار السالفة. لانهُ في هذه المدة قدم اكثر النبوات المعتبرة التي تنبأ بها دانيال واشعياء وارميا وحزقيال على بابل وصور ومصر وامم اخر كثيرة

فعدم وجود تاريخ الهي عن زمان هكذا طويل ليس لان الحوادث الواقعة فيهِ لم تكن مهمّة تستحق الاعتبار او اقل اعتبارًا من حوادث الاجيال الماضية ولكن لاسباب اخر كثيرة يمكن الوقوف عليها. فمنها اولًا ان الله لاجل اسباب

سوف يأتي بيانها قصد ان يبطل روح النبوة في هذه الملة فلم يكن في تلك الايام انبياء لكي يكتبوا ما يقع فيها من الحوادث . واذ كان الله قد قصد ان يكون ذلك اعتنى في ان الحوادث العظيمة الواقعة في هذه الملة لا تكون بلا ذكر في كلامهِ . ومعلومٌ ان الانبياء الذين كتبوا من آل اسرائيل قد اقامهم الله في اواخر الملة السابقة واوائل هذه الملة لان الوقت الذي لا يكون فيهِ تاريخ مقدس بعد ابطال روح النبوة كان قد قرب . ولم يكن تاريخٌ عن هذه الملة في الكتاب المقدس الا ما أُعطي في النبوات . ثانيًا ان الله قد اعتنى ان تكون اخبارٌ صحيحة تامة عن حوادث هذه الملة محفوظة في التاريخ الامي . ومما يستحق الاعتبار ان الملات الخمس السابقة التي لها تاريخٌ في الكتب المنزلة اما لا يوجد لها تاريخ في كتب الامم البتة او يوجد ولكن على نوع غير كامل . ولا يخفى انهُ يوجد اخبار كثيرة خرافية غير صحيحة عن الحوادث السابقة . ولكن المظنون ان التاريخ الامي الصحيح انما كان ابتداؤهُ قبل بختنصر الملك بمئة سنة تقريبًا . وكان من عادة حكماء اليونان والرومانيين ان يسموا الاجيال السابقة قبل ذلك عصر الخرافات والاجيال التي بعدهُ العصر التاريخي . ومن نحو ذلك الوقت الى مجيء المسيح توجد في التاريخ الامي اخبارٌ لا يُشَكُّ في صحتها عن اعظم حوادث هذه الملة . وهي تتفق اتفاقًا عجيبًا مع النبوات الكثيرة المتعلقة بها

الامر الثاني الذي نذكرهُ هو ان هذه الملة الاخيرة تتميز عن سائر الملات الاخر بسبب الانقلابات العظيمة التي حدثت فيها بين مالك العالم وذلك استعدادًا لمجيء ملكوت المسيح . ولما ان وقت مجيء ملك العالم ومخلصهِ العظيم قد اقترب فاقتضى ان تكون تغيرات عظيمة استعدادًا لهُ . ولا ريب انهُ صار شيءٌ من الاستعداد لاجل مجيء المسيح منذ سقوط آدم في جميع الاجيال . واما الآن فلكون الوقت قد قرب اتمام الامور في التقدم الى استقبالهِ . لان الانقلابات التي وقعت في هذه الملة هي من اعظم ما ذُكر في جميع التواريخ منذ الطوفان . فانهُ قد حدث بين جميع الشعوب الاقارب والاباعد المعلومين من اليهود

انقلابات شتى وكثر القتل والسبي في هذه المدة على جميع الممالك في جميع الاقاليم. وذلك ليتمّ كلام النبي القائل هوذا الرب يخلي الارض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها اش ٢٤: ١

ولا يخفى ان ذلك الانقلاب ابتدأ اولاً في الكنيسة وذلك عند ما سباها ملك الاشوريين الى بابل. ثم دارت الكاس منها الى جميع القبائل الاخر تماماً لما اوحى به تعالى الى ارميا النبي راجع ٢٥: ١٥ الى ٢٧ وكلامه هنا يتجه على الخصوص الى الانقلابات العظيمة التي حدثت في ايام مملكة الاشوريين. وقد حدث بعد ذلك في ايام الممالك الثلاث القوية في العالم ثلاثة انقلابات عظيمة عامة قبل مجيء المسيح. والكتب المقدسة تتكلّم عن ملك الاشوريين كانه يقلب العالم. ثم اتى كورش مؤسس مملكة فارس وقلب مملكته واقام مكانها مملكة فارس التي كانت اوسع جدًّا من مملكة الاشوريين في اعظم مجدها. وبذلك حدث انقلابٌ ثانٍ في العالم. ثم اتى اسكندر وقلب مملكة فارس واقام مملكة اليونانيين مكانها وكانت اكثر اتساعًا منها. وبهذا حصل انقلابٌ ثالث في المسكونة. ثم قام الرومانيون وقلبوا مملكة اليونانيين واقاموا مملكتهم مكانها ففاقت جميع الممالك المذكورة في السطوة والاقتدار. وهكذا حصل انقلاب رابع في المسكونة

واننا نرى ان دانيال النبي قد تنبأ بالتفصيل عن هذه الممالك وما حدث في ايامها من التقلبات وقد اشار اليها بتمثال مختصر الذي كان من ذهب وفضة ونحاس وحديد وبتفسيره له ايضًا ص ٢ وبرؤيا الوحوش الاربعة وتفسير الملاك لها ص ٧ ويشير الى اتيان مملكة الفرس ثم اليونان على وجه خصوص برؤيا الكبش وتيس المعزى ص ٨ مقابلاً مع ص ١١

ثم انهُ ما عدا الانقلابات الاربعة المذكورة قد كان في العالم في هذه المدة كلها اضطراب عظيم. ومع انهُ قد حدث حروب كثيرة عظيمة بين القبائل فيما مضى لا يوجد في التاريخ ذكر انقلابات واضطرابات كالتي كانت في تلك المدة.

فبالنسبة اليها كأنَّ العالم كان قبلاً بالسكون . فكان اكثر الشعوب منذ مدة طويلة لم يصبُّوا من اناءٍ الى اناءٍ كما قيل عن موآب ار ٤٨: ١١ واما الآن فقد حدثت هذه الحركات العظيمة لكون وقت مجيءِ المسيح قد قرب . والكتب المقدسة تعلمنا صريحًا انها لم تكن الاَّ لاجل اعداد الطريق لمجيئهِ ولاسيما ما قيل منقلبًا منقلبًا منقلبًا اجعلهُ. هذا ايضًا لايكون حتى اتى الذي لهُ الحكم فاعطيهِ اياهُ وتكرير قولهِ منقلبًا يشير الى ان ذلك يكون ثلاث دفعات كما ان تكرير لفظ الويل في سفر الرُّيا ٨: ٣ ثلاث مرات يشير الى انهُ يوجد ثلاثة منهُ كما يظهر من قولهِ الويل الواحد مضى رؤ ٩: ١٢ . وقولهُ الويل الثاني مضى وهوذا الويل الثالث يأتي سريعًا رؤ ١١: ١٤

ولا يخفى ان حزقيال تنبأ في زمان سبي بابل . ولهذا كان مزمعًا ان يأتي بعد نبوتهِ وقبل مجيءِ المسيح ثلاثة انقلابات عظيمة عمومية اولها بواسطة الفرس والثاني بواسطة اليونان والثالث بواسطة الرومانيين . ثم يأتي المسيح الذي يحق لهُ ان يتسلم التاج ويملك . والآية المذكورة سابقًا انما تتكلم عن هذه الانقلابات الثلاثة انها استعدادٌ لمجيءِ المسيح وملكوتهِ . ولكن لكي نفهم العبارة جيدًا لابد من امعان النظر في هذه الكلمات جيدًا وهي قولهُ منقلبًا منقلبًا منقلبًا اجعلهُ ومعنى ذلك انهُ يقلب اكليل اسرائيل لانهُ تعالى قد قضى بعدم بقائهِ ولهذا وجب خلع الاكليل ونزع التاج كما قيل في الآية التي قبل هذه اي انهُ لا ينبغي ابقاء السلطنة على اسرائيل في عائلة داود الملوكية التي كانت تحق لها بل يجب نزعها منها واعطاؤُها لاخرين ونقلها من واحد الى آخر. فتكون اولاً في يد الفرس ثم تُنزَع منهم وتُعطى لليونان ثم تنتقل من هولاء الى الرومانيين ولا تكون في عائلة داود حتى يأتي ذلك الشخص الذي هو ابن داود ولهُ الحق فيها فيعطيهِ الله اياها

ثم ان جميع هذه الانقلابات العظيمة بين الشعوب هي استعدادٌ لمجيءِ المسيح واقامة ملكوتهِ في العالم يزداد وضوحًا من قول مجي النبي هكذا قال رب الجنود

هي مرة بعد قليل فازلزل السموات والارض والبحر واليابسة وازلزل كل الامم ويأتي مشتهى كل الامم فاملأ هذا البيت مجدًا يقول رب الجنود ٢:٦ و٧ راجع ايضًا ع ٢١ الى ٢٣ . فيبان من ذلك ان هذه الحركات التي بها انقلبت كراسي الممالك وتلاشت جنودها وسقط كل واحدٍ بسيف اخيهِ انما كانت لتمهيد الطريق لمجيء ذلك الذي هو مشتهى جميع الامم

فهكذا التغيرات والاضطرابات التي كانت تقع احيانًا في كنيسة المسيح المنظورة يقابلها صاحب الرؤيا بكون الكنيسة في المخاض والوجع لكي تلد رؤ ١٢:٢. وكذلك تكون هذه الحركات العظيمة بمنزلة دليل على ان العالم في حالة المخاض لكي يلد ابن الله . وبولس الرسول في رسالتهِ الى اهل رومية يصوّر كل الخليقة كانها تتوجع وتتمخض الى يوم الناس هذا لكي تلد حرية مجد ابناء الله ص ٨ . وهكذا العالم كانهُ توجع واخذهُ المخاض مئات من السنين لكي يلد البكر ابن الله الوحيد . فاستيلاء الحروب وسفك الدماء في كل تلك المدة الطويلة قد سهّل الطريق لمجيء رئيس السلام لانهُ قد بيّن الاحتياج الكلي لمجيئهِ لكي يخلص العالم من شقاوتهِ

ان الله قد دبّر بعنايتهِ ان ترتفع السلطنة الارضية الى اعلى درجة من عظمتها وتظهر في اعلى طبقة من مجدها في هذه الممالك الاربع المذكورة التي خلفت احداها الاخرى وان كل واحدة منها تكون اعظم من السابقة قبل قيام ملكوت ابنهِ لكي يُظهِر لنا بذلك ان ملكهُ الروحاني اشرف جدًّا من اعظم الممالك الارضية . وقد ظهرت قوة مملكة الشيطان ومجدها في اعلى درجاتها في هذه الممالك الاربع الفوية لانها اذ كانت ممالك وثنية كانت قوتها قوة مملكة الشيطان بعينها . وقد ترك الله مملكة الشيطان ترتفع الى هذا المقدار من السطوة والقدرة قبل اتيان ابنهِ لمدمها لكي يعدَّ الطريق لغلبةٍ اعظم مجدًا كما ان جليات الجبار بلبسهِ سلاحهُ المنيع عند اتيان داود الفتى اليهِ بالمقلاع والحجر جعل ان تكون غلبة داود اكثر مجدًا . وقد سمح الله ان الواحدة من هذه الممالك تقهر الاخرى

وتُبنَى على خرابها وان الاخيرة تكون اقوى واقدر من الجميع لكي يكون بهدمه هذه الاخيرة كأن المسيح يهدم الجميع دفعةً واحدة ومن ثمَّ قيل عن الحجر المقطوع بغير ايادٍ من الجبل انهُ سحق كل التماثيل الذهب والفضة والنحاس والحديد والفخار جميعًا حتى صارت كلها كالهباء الذي تذريهِ الريح في الصيف عن البيادر

الامر الثالث الذي نذكرهُ عن هذه المدة المتأخرة قبل مجيء المسيح هو حفظ الكنيسة حفظًا عجيبًا في وسط هذه الاضطرابات . وقد كان ذلك بحسب ظروفهِ اكثر اعتبارًا في هذه المدة من جميع المدات السابقة. لان من اعظم العجائب ان الكنيسة التي كانت في هذا الزمان ضعيفة ذليلة الى هذا الحد وخاضعة في الاكثر لحكم الملوك الوثنيين تُحفَظ مدة خمس مئة او ست مئة سنة في وسط هذه المعارك والانقلابات العظيمة في العالم حين تمزَّقت الارض اربًا واربًا وآلت حالتها الى الدمار والخراب اذ كانت اهاليها في حربٍ متصل حتى كان الاخ يؤخذ بسيف اخيهِ . وعلى الخصوص اذا لاحظنا ان ارض اليهودية التي هي مركز الكنيسة كانت ميدانًا للخصوم المتحاربين لانها كانت متوسطة بينهم ومرارًا كثيرة وقعت في ايديهم وخضعت لهم فكانت مرةً في يد شعبٍ واخرى في يد آخر. وكانت موضوعًا لحسد جميع الشعوب الوثنيين وبغضتهم . فكانوا مرارًا كثيرة يخربونها ويهلكون جمعًا غفيرًا من اهلها حتى تخلو اماكن كثيرة من السكان . ومرارًا كثيرة الذين تسلطوا عليهم اعتمدوا على ابادة هذا الشعب بالكلية . ولكن الله حفظهم مع كل ذلك حتى في سبي بابل وفي المخاطر التي وقعوا فيها في ايام ملوك فارس وفي اشدها التي اصابتهم من اليونانيين ثم بعد ذلك عند ما قام الرومانيون وداسوا جميع العالم

ولا ريب ان حفظ الله الخبيء للكنيسة في جميع هذه الانقلابات يوضح ويثبت ما في سفر المزامير القائل الله لنا ملجأ وقوة عونًا في الضيقات وُجد شديدًا لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الارض ولو انقلبت الجبال الى قلب البحار .

تعجُّ وتجيش مياهها . تتزعزع الجبال بطموها مز٤٦: ١ الى ٣

هذا ما قصدنا ذكرهُ من الامور العمومية التي تتميز بها هذه المدة الاخيرة من العهد القديم عمَّا قبلها . والآن نأخذ في الكلام بالتفصيل عن تقدُّم عمل الفداء في هذه المدة فنقول

(١) ان الامر الاول الذي نذكرهُ هنا هو سبي اليهود الى بابل . ولا ريب ان امرًا مثل ذلك لم يحدث لهم فيما مضى . نعم ان بني اسرائيل في ايام القضاة وقعوا مرارًا تحت سلطان اعدائهم . وفي اوقاتٍ اخرى سُبي منهم اشخاصٌ كثيرون ولكن في كل هذه الاوقات لم يحدث شيءٌ مثل خراب جميع البلاد والمقدس ومدينة اورشليم وكل مدن هذه الارض وقراها واقتياد الشعب دفعةً واحدة من ارضهم الى ارض غريبة تبعد عنها مسافة طويلة وترك ارض كنعان خالية من شعب الله المنظور . نعم ان التابوت قد أُخذ مرة من القبة في شيلو اسيرًا الى ارض فلسطين ولكن لم يكن ذلك شيئًا بالنسبة الى احراق المقدس وملاشاة التابوت بالكلية واخذ جميع الاواني المقدسة وابطال العبادة اليهودية بجملتها وتدمير الارض وخلوها من السكان مدة سنين كثيرة بهذا المقدار . وارميا النبي يتكلم في مراثيهِ عن هذه الامور بعباراتٍ بليغة ومع ذلك كانت هذه الحوادث المزعجة واسطة لتقدم عمل الفداء كما سيأتي بيانهُ

اولًا انهُ بواسطة سبيهم الى بابل قد ابطلت عبادة الاوثان من بين هذا الشعب الى الابد . ان اشعياء النبي في كلامهِ عن اتيان ملكوت المسيح يذكر ابطال عبادة الاوثان كاستعداد لذلك بقولهِ وتزول الاوثان بتمامها اش٢: ١٨ وعند ما قرب وقت ابطال عبادة الاوثان في اكثر اقسام العالم المعروفة كما صار بواسطة بشارة الانجيل سرَّ الله ان يرفع هذه العبادة اولًا من بين شعبهِ

وهكذا هذا الشعب الذي بقي تلك الاجيال الكثيرة متوغلاً في عبادة الاوثان مع توبيخات وتهديدات وتأديبات وبلايا شديدة من الله قد شفي بالكلية الآن من علة هذه الخطية حتى وان وقع فيها بعض اشخاص بعد ذلك كما كان في

زمان الاضطهاد الذي حصل في ايام انطيوخوس لكن الامة بجملتها ما اظهرت بعد ميلاً اليها . ولا ريب ان ذلك تغيُّر عجيب فيهم وهو يتجه باستفامة الى تقدم عمل الفداء كما كان تقدمًا عظيمًا في حق الديانة

ثانيًا مما اعد الطريق لمجيء المسيح وقيام ترتيب الانجيل هو ابطال كثيرٍ من الاشياء التي كان يقوم بها مجد الترتيب اليهودي . ولا شك انهُ لاجل ادخال ترتيب الانجيل الشريف لا بد من نقصان مجد كنيسة اليهود الخارجي وقد تمم السبي البابلي هذا على انحاء شتَّى

اولاً لانهُ بواسطتهِ زال الحكم الزمني من بيت داود ونزع التاج والاكليل عن هامة الامة اليهودية . وبما ان الزمان قد اقترب لكي يملك المسيح الملك العظيم الابدي على كنيستهِ فوجب على ملوك هذا العالم الذين كانوا رمزًا لهُ ان يختفوا كما قال الله على لسان حزقيال النبي انزع العمامة ارفع التاج هذا ايضًا لا يكون حتى يأتي الذي لهُ الحكم حز ٢١: ٢٦ و ٢٧ . فكان اليهود بعد ذلك تحت سلطة الغرباء حتى جاء المسيح وكان ذلك نحو ست مئة سنة . الاَّ مدة تسعين سنة التي فيها بواسطة الحروب المتواصلة كان لهم نوعٌ من الاستقلال تحت ولاية المكابيين ونسلهم

ثانيًا لانهُ بواسطة السبي زال مجد الهيكل وجمالهُ . والهيكل الذي اقيم بعد ذلك لم يكن شيئًا بالنسبة اليهِ . وهكذا من اللائق بل من الواجب انهُ متى قرب مجيء الشخص المرموز اليهِ بالهيكل يزول مجد الهيكل الرمزي

ثم ان اليهود خسروا بواسطة السبي لوحي الشهادة اللذين كتب الله باصبعهِ عليهما الوصايا العشر واعطاهما لموسى على جبل سيناء . والظاهر انهما كانا لم يزالا في التابوت الى زمان السبي لانهُ عند ما وضع سليمان التابوت في الهيكل كانا فيهِ كما يتضح مما قيل ولم يكن في التابوت الاَّ لوحا الحجارة اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب ١ ملوك ٨: ٩ والارجح انهما بقيا هناك مدة دوام الهيكل . واليهود يتكلمون عنهما كانهما فقدا في تلك الايام . الاَّ ان الوصايا

العشر بقيت محفوظة في كتاب التوراة

الشيء الآخر الذي فُقد هو الاوريم والتميم كما يبان من قوله وقال لهم الترشاثا ان لا ياكلوا من قدس الاقداس حتى يقوم كاهن للاوريم والتميم عز ٢: ٦٣ . وليس لنا خبر بان ذلك رجع فيما بعد خلافًا لما يدَّعي بهِ قدماء اليهود . وليس المراد الآن ان نبحث عن الاوريم والتميم ماذا كانا ولكن نقول فقط انهما كانا شيئًا يسأل رئيس الكهنة الله بواسطتهِ والله يجيبهُ او هما كانا شيئًا بواسطتهِ يعلن الله امورًا مهمَّة لشعبهِ في اوقات خصوصية . وقد زال ذلك حينئذٍ لانهُ قد قرب مجيء المسيح كلمة الله العظيم المرموز بهما اليهِ

ثم ان امرًا آخر يقول اليهود القدماء انهُ لم يكن في الهيكل الثاني هو الغمام الذي كان فوق تابوت الغفران راجع لا ١٦:٢ . فالله كان قد وعد موسى بوضعهِ في الخيمة ونقرأ عن نزولهِ هناك في خر ٤٠:٣٥ . وهكذا ايضًا ظهر في هيكل سليمان ولكن ليس لنا خبرٌ بان هذه السحابة كانت في الهيكل الثاني . ويبان من تواريخ اليهود القديمة انهُ لم يكن فيهِ شيء من ذلك اذ لا حاجة بهِ اليهِ لان الله وعد بانهُ يملأُ هذا الهيكل مجدًا بطريقٍ آخر اي بدخول المسيح اليهِ كما يتضح من قول حجي النبي وازلزل كل الامم ويأتي مشتهى كل الامم فاملأُ هذا البيت مجدًا قال رب الجنود حز ٢:٨

ولما بنى موسى الخيمة والمذبح في البرية وقدِّمت الذبائح الاولى نزلت نارٌ من السماء واحرقتها راجع لا ٩:٢٤ . وكذلك لما بنى سليمان الهيكل وقرَّب الذبائح الاولى راجع ٢ اي ٧:١ وكانت هذه النار محفوظة باعتناء عظيم ولم تنطفئ حسبما امر الله بقولهِ فهذه نارٌ دائمة تتقد على المذبح لا تطفأُ لا ٦:١٣ . ولا سبيل الى الظن ان النار التي كانت في ايام سليمان انطفأت قبل ان هُدم الهيكل من الاشوريين ولكن عند ما هدم هولاء الهيكل انطفأت وتلاشت ولم ترجع فيما بعد . وليس لنا خبرٌ بانها نزلت في بناء الهيكل الثاني كما لنا خبرٌ في بناء الخيمة والهيكل الاول . واما اليهود فبعد رجوعهم من بابل التزموا ان يستعملوا النار

الاعتيادية عوضها كما يذكر تقليد اليهود القديم. وهكذا كانت انوار العهد القديم تنطفئ وتضمحل عند ما قرب اشراق شمس البرّ السماوي .

ثم ان سبي بابل كان واسطة لتبدد اليهود قبل مجيء المسيح في اكثر اقسام العالم لانهُ عند انتقال الشعب من ارضهم الى اماكن بعيدة منها وبقائهم في السبي مدة طويلة بهذا المقدار اقتنوا املاكًا وابتنوا بيوتًا واستوطنوا في الارض التي سُبوا اليها حسبما قال لهم ارميا في رسالتهِ التي كتبها اليهم ص ٢٩ ولهذا عند ما اطلق لهم كورش الحرية ان يرجعوا الى الارض التي كانوا فيها قبلاً كان كثيرون منهم لا يريدون ان يتركوا اوطانهم هناك واملاكهم التي اقتنوها ويرجعوا الى ارض مقفرة تبعد عنهم اميالاً كثيرة ولم يكن احدٌ منهم يعرفها الاَّ الشيوخ . ولذلك لم يرجع الاَّ عددٌ قليل كما بيان من سفرَي عزرا ونحميا وبقي منهم جمهورٌ كبيرٌ في ارض سبيهم محافظين على الديانة التي كانت للراجعين منهم بعينها وذلك على قدر ما يستطيعون في تلك الارض الغريبة . والرسل الذين اتوا الى اورشليم لكي يسألوا الكهنة والانبياء اي شراصر ورجم ملك ورجالها زك ص ٧ يظنُّ انهم قد أُرسِلوا من قِبل اليهود الذين بقوا في بابل

ثم ان اليهود الذين بقوا في تلك البلاد تفرقوا عاجلاً بعد ذلك في البلدان المجاورة لهم وذلك من جرَى التقلبات العظيمة الحادثة في المسكونة. ومن ثمَّ نرى انهُ في ايام استير التي هي بعد رجوع اليهود من السبي كان كثيرون منهم متبددين في جميع بلاد فارس الممتدة من الهند الى الحبشة كما يتضح من قولهِ فقال هامان للملك احشويروش انهُ موجود شعبٌ ما منشتّت ومتفرق بين الشعوب في كل بلاد مملكتك اس ٣:٨ . ولبثوا متفرقين كذلك الى ان جاء المسيح وخرج الرسل للتبشير بالانجيل . الاَّ انهم مع ذلك حفظوا ديانة آبائهم . وكانت عادتهم ان يصعد منهم الى اورشليم في الاعياد العظيمة كل من يقدر على ذلك . ولهذا قيل في سفر الاعمال ٢:٥ كان يهودٌ اتقياء من كل امة تحت السماء ساكنين في اورشليم . وهولاء حضروا من البلدان المختلفة التي كانوا

متبددين فيها الى العيد ولهذا كان الرسل حيثما توجهوا لاجل التبشير بالانجيل يجدون اناسًا منهم فكانوا يأتون من مدينة الى مدينة ويدخلون الى مجامع اليهود ومحافلهم

وقبل مجيء المسيح بمئتي سنة نقل انطيوخوس الكبير الفي عائلة من اليهود من البلاد المجاورة بابل الى اسيا الصغرى . فاستوطن هولاء وكثيرون من ذريتهم في بنتس وغلاطية وفروجية وبمفيلية وافسس . ومن هناك انتقل اناسٌ منهم الى اثينا وكورنثوس وروميه فاستوطنوا فيها وهم اقاموا الجامع التي كان بولس الرسول يدخل اليها وينادي فيها بكلمة الرب

فتشتُّت اليهود هذا في العالم قبل مجيء المسيح قد سهَّل الطريق لمجيئهِ ولتأسيس ملكوتهِ وذلك لان بواسطتهِ صار العالم باجمعهِ في انتظار المسيح بالقرب من الزمان الذي ظهر فيهِ لان هولاء الشعب كانوا يأخذون معهم الكتب المقدسة وبالتالي النبوات عن المسيح الى الاماكن التي تفرقوا اليها . وبواسطة معاشرتهم للامم الذين كانوا ساكنين بينهم علموهم هذه النبوات وانتظارهم المسيح . ومن ثمَّ صار انتظار عامّ بين كل القبائل بولادة هكذا شخص جليل في اليهودية بالقرب من ذلك الوقت كما يظهر من تصانيف علماء الوثنيين المحفوظة الى هذه الاعصار ولاسيما ڤرجيليوس الشاعر الشهير الذي كان قبل المسيح بزمان قليل في بلاد ايطاليا . فانهُ نظم شعرًا عن انتظار رئيس عظيم كان قريبًا ان يولد وعن ايام البرّ والسلامة السعيدة التي تكون في زمانهِ . والبعض من شعرهِ كثير المشابهة لكلام اشعياء النبي

ثم ان تبدُّد اليهود على هذا المنوال قد اعدَّ ايضًا الطريق للمسيح من حيث انهُ نتج منهُ ضرورة ابطال ترتيب ديانة اليهود وادخال ترتيب جديد مكانهُ اي ترتيب عهد النعمة . فظهر منهُ ضرورة ابطال الشريعة الطقسية وعبادة اليهود القديمة من حيث ان تكميل الشريعة الطقسية صار غير ممكن حتى لليهود انفسهم لانها انما تناسب احوال شعبٍ يسكنون معًا في ارض واحدة تحتوي على

مدن الملجإ والمدينة التي اختارها الرب وعلى الهيكل المكان الوحيد الذي يجوز فيهِ تقديم الذبائح وخدمة الكهنة واللاويين وحيث ياتي الشعب بابكار اثمارهم واما حينئذٍ عند مجيء المسيح فقد كان كثيرون من اليهود ساكنين في اماكن تبعد اكثر من الف ميل عن هذه المواضع . ومن ثمَّ صار حفظ الشرائع والسنن المتعلقة بالذبائح والقرابين وما اشبه ذلك مستحيلاً على كثيرين منهم . ومن ذلك يظهر الاضطرار الى ترتيب يناسب ليس بلادًا واحدة بل جميع البلدان وكل قبائل الارض

ثم ان هذا التبدُّد العمومي قد صار واسطة لاشتهار الخبر عن اعمال يسوع المسيح في العالم لان اليهود الذين كانوا ساكنين في بلدان اخر كانوا كما تقدم الكلام يصعدون مرارًا الى اورشليم وذلك في الاعياد الثلاثة العظيمة . وبهذه الواسطة اطَّلعوا على اعمال المسيح العجيبة التي كان يفعلها في تلك البلاد كما نرى ان اقامة لعازر من الاموات جعلت اليهود الغرباء الذين صعدوا الى اورشليم في عيد الفصح يطلبون برغبة ان يروا المسيح راجع يو ١٢: ١٩ الى ٢١. وقد كان هولاء اليونان من اليهود والدخلاء كما يظهر من اتيانهم للعبادة في عيد الفصح فان اليهود الذين كانوا ساكنين خارج ارض اليهودية بين اليونان وكانوا يتكلمون باللغة اليونانية اطلق عليهم اسم يونانيين راجع اع ٦: ١ ولم يكونوا مسيحيين مرتدّين من الامم لان ذلك كان قبل دعوة الامم

وبهذه الواسطة ايضًا اطَّلع اليهود الذين اتوا من بلدان غريبة على صلب المسيح . وبناء على ذلك قال التلميذان المنطلقان الى عماوس للمسيح وهما لا يعرفانهِ هل انت متغرّب وحدك في اورشليم ولم تعلم الامور التي حدثت في هذه الايام لو ٢٤: ١٨ وذلك دليل واضح على ان الاشياء المتعلقة بالمسيح كانت معروفة شائعة لدى جميع الناس حتى كان من العجب ان يوجد واحد لا يعرفها . وهكذا ايضًا عرفوا بعد ذلك عن قيامتهِ وصعودهِ وفي رجوعهم الى بلادهم حملوا تلك الاخبار معهم واشهروها في العالم كما اشهروا قبلاً النبوات المتعلقة بها

ثم بعد ذلك رأى هؤلاء اليهود الغرباء الذين كانوا حينئذٍ في اورشليم حلول الروح على التلاميذ في عيد الخمسين وتأثيرهُ العجيب وآمن كثيرون منهم بهذه الواسطة. وكان هناك اناسٌ فرتيون وماديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين ومصر ونواحي ليبية التي نحو القيروان والرومانيون يهود ودخلاء كريتيون وعرب . فاخذوا معهم الديانة المسيحية بعينها فضلاً عن الاخبار المتعلقة بهذه الحوادث وصار ذلك واسطة لانتشارها في العالم

ثم ان تشتُّت اليهود قد فتح باباً لدخول الرسل الى جميع الاماكن التي ذهبوا اليها ليبشروا بالانجيل لانهم كانوا يجدون في اكثر الاماكن مجامع لليهود حيث كانت العادة ان تقرأ الاسفار المقدسة ويُعبد الاله الحقيقي . وكان ذلك مساعدة عظيمة للرسل في اذاعة الانجيل لانهم كانوا قد اعتادوا في كل مدينة دخلوا اليها ان يدخلوا اولاً الى مجامع اليهود ابناء جنسهم ويبشروهم ببشارة الانجيل فظهرت بذلك تعاليمهم الحديثة عند الامم جيرانهم الذين كانوا يسألون برغبة عن شيء جديد وهكذا انفتح الباب للرسل في تبشيرهم ايضاً كما يخبرنا صاحب كتاب الاعمال . وكان كثيرون من هؤلاء الامم مستعدين لقبول الديانة المسيحية بواسطة معرفتهم بديانة اليهود وعبادتهم للاله الواحد ونبواتهم وانتظارهم المسيح الموعود به . وقد حصلوا على هذه المعرفة بواسطة اليهود الذين مضى لهم مدة طويلة في مجاورتهم ومعاشرتهم . وكم صار اسهل جهاد الرسل في ترجيعهم الى الديانة المسيحية ما كان لو لم يسمعوا قط عن هذا الشخص الذي بشروا به ولا عن عبادة الاله الوحيد الحقيقي . وعلى ذلك ما اكثر الطرق التي بواسطتها سهل السبي البابلي الطريق لمجيء المسيح

(٢) مما نذكرهُ في هذا الباب الزيادة المعتبرة التي ضُمَّت الى الكتاب المقدس في زمان السبي وهي نبوة حزقيال ونبوة دانيال . والسيد المسيح ظهر لكلا هذين النبيين بصورة طبيعته البشرية التي كان مزمعاً ان يلبسها بعد ذلك فان حزقيال يذكر مراراً انهُ له المجد ظهر له بهذه الصورة ومن ذلك قولهُ وعلى

شبه العرش شبه كمنظر انسان عليهِ من فوق حز ١:٢٦ . وبهذه الصورة تراءى المسيح لدانيال ايضاً كما يبان من قولهِ وكان لما رأيت انا دانيال الرؤيا وطلبت المعنى اذا بشبه انسان واقف قبالتي وسمعت صوت انسان بين أُولاي فنادى وقال يا جبرائيل فهّم هذا الرجل الرؤيا دا ٨:١٥ و١٦ . وهكذا ظهر لهُ ايضاً مرةً اخرى كما يتضح من قولهِ رفعت عينيَّ ونظرت فاذا برجل لابس كتانًا وحقواهُ متنطقان بذهب اوفاز وجسمهُ كالزبرجد ووجههُ كمنظر البرق وعيناهُ كمصباحَي نار وذراعاهُ ورجلاهُ كعين النحاس المصقول وصوت كلامهِ كصوت جمهور دا ١٠:٥ و٦ واذا قابلنا هذه الرؤيا بما رآهُ يوحنا في رؤ ١:١٢ يبان لنا جليًّا ان هذا الشخص هو المسيح . والنبي المذكور يخبرنا في الجزء التاريخي من سفرهِ عن ظهور المسيح ظهورًا عجيبًا في اتون بابل مع شدرخ وميشخ وعبد نغو حيث يقول ها انا ناظر اربعة رجال محلولين يتمشّون في وسط النار وما بهم ضرر ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة دا ٣:٢٥

والمسيح فضلاً عن ظهورهِ بصورة طبيعتهِ البشرية قد ظهر في اتون النار مخلصاً منهُ اولئك الذين آمنوا بهِ . وذلك يعلمنا كيف ان المسيح بدخولهِ بنفسهِ في اتون غضب الله لاجل الهم ولا يسهم حتى ولا يحرق شعرة من شعور رؤوسهم

وهذان النبيان قد تكلما في امور كثيرة تتعلق بمجيء المسيح وملكوت انجيلهِ الطاهر باكثر ايضاح من سائر الانبياء الذين كانوا قبلهما . وكلٌّ منهما تنبأ بالانقلابات الثلاثة الشهيرة التي كانت مزمعة ان تحدث في العالم قبل مجيئهِ لهُ المجد . وحزقيال في اماكن كثيرة من نبوتهِ يتكلم كلامًا صريحًا عن مجيء المسيح . والنبي دانيال في الاصحاح التاسع من نبوتهِ تنبأ ان صلب المسيح يكون بعد سبعين اسبوعًا اي من اسابيع السنين فذلك اربع مئة وتسعون سنة تُحسب منذ صدور الامر ببناء الهيكل واصلاح حال اليهود

وحزقيال النبي يتكلم بكل تدقيق عن كنيسة الانجيل في اواخر نبوتهِ عند كلامهِ الجازي عن الهيكل والمدينة . والنبي دانيال يذكر بالترتيب بعض

حوادث تحصل في كنيسة المسيح بعد مجيئهِ كقيام المسيح الكذاب ومنهُ ملكهِ وسقوطهِ والمجد الذي يعقب ذلك. وهكذا يزداد نور الانجيل اشراقًا كلما قربنا من زمان ميلاد المسيح

(٣) مما اذكرهُ في هذا الباب خراب بابل وانقلاب مملكة الكلدانيين عن يد كورش. فان خراب بابل وقع في الليلة التي كان فيها بلشاصر الملك وجميع اهل المدينة سكارى في عيد آلهتهم عند ما دُعي دانيال لكي يقرأ الكتابة التي كُتبت حينئذٍ على الحائط راجع دا ٥: ٣٠. وقد تمَّ ذلك بطريق يبين لنا ان يد الله كانت فيهِ على نوع عجيب وانهُ تعالى قد اكمل كلامهُ الذي نطق بهِ على افواه انبيائهِ الاطهار ما لا يسعنا تفصيلهُ الآن. حينئذٍ المدينة التي بقيت اعصارًا كثيرة في العداوة لمدينة الله ضُربت ضربة هائلة بعد ان ثبتت في سطوتها وغناها منذ بناء بابل في اول الامر وكان ذلك نحو الف وسبع مئة سنة. واذا كان المنع عن تكميل هذه المدينة في ابتدائها وعن ارتفاعها الى العظمة والشرف الذي قصدهُ الناس قد صار واسطة لتقدم عمل الفداء فكم بالحري كان خرابها واسطة ايضًا لذلك

ولا ريب ان ذلك مثالٌ عظيم يظهر بهِ كيف ان الله ينتقم من اعداء كنيستهِ. لانهُ تعالى انما جانب الخراب والدمار على بابل لاجل ما جلبتهُ من الضرر على ابنائهِ كما يخبرنا الانبياء عن ذلك في اماكن كثيرة من نبواتهم. وكان ذلك ايضًا واسطة لتقدم عمل الفداء بانهُ صار وسيلة لاطلاق شعب الله من عبودية السبي والرجوع الى بلادهم لكي يبنوا اورشليم ولذلك دُعي كورش الذي تمَّ ذلك على يدهِ راعي الله راجع اش ٤٤: ٢٨ و٤٥: ١. هذا فضلاً عن الطرق التي حصل بها تقدمٌ لعمل الفداء بواسطة قيام الممالك الاربع المذكورة آنفًا ثم انقلابها

(٤) مما يجب ان نذكرهُ هنا رجوع اليهود الى ارضهم وبناء المدينة والهيكل. فان كورش حينما خرب مملكة بابل واقام مملكة فارس على خربها

اصدر امرًا لليهود ان يرجعوا الى ارضهم ويبنوا مدينتهم وهيكلهم . وان رجوع اليهود من سبي بابل ما عدا النجاة من مصر هو اعظم نجاة تُذكر في العهد القديم وهو يُستعمل اكثر من غيرهِ بمنزلة رمز للنجاة العظيمة بيسوع المسيح . وقد كان ذلك على يد زربابل بن شألتئيل احد اجداد المسيح الشرعيين الذي لُقّب في بابل باسم شيشبصر فانهُ كان رئيسًا وقائدًا لليهود في رجوعهم من السبي وكان هو ويشوع بن يوصادق الحبر من اكبر المباشرين في بناء الهيكل وقد حصلت هذه النجاة على يد زربابل ويشوع الكاهن كما حصلت النجاة من مصر على يد موسى وهرون

فالرجوع من بابل هو لا محالة عمل عناية الهية عظيمة . ومن العجب كيف ان قلب كورش الملك الوثني كان مائلاً بهذا المقدار نحو هذا المقصد . فانهُ فضلاً عن اطلاقهِ سبيل الشعب في الرجوع وبناء المدينة والهيكل امر ان يُسعَفوا بالذهب والفضة والمال والبهائم راجع عز ١ : ٤ . ثم بعد ذلك امال الله بنوع عجيب قلب داريوس ان يأخذ ايضًا في بناء بيت الله ويعطي اموالاً من خزينة الملك لاجل هذه الغاية ويأمر السيرة اعداء اليهود الذين كانوا يجتهدون في منعهم ان يساعدوهم في هذا العمل حتى امر ان كل من يخالف هذا الامر تُسحَب خشبة من بيتهِ ويُصلَب عليها ويُجعَل مزبلة راجع عز ٦ . ثم بعد ذلك امال الله قلب ارتحشستا احد ملوك فارس ايضًا الى مساعدة اليهود بالاوامر التي اعطاها لعزرا راجع عز ٧ . وباعطائهِ لهم مبالغ وافرة من الذهب والفضة ووعدهِ اياهم باعطائهم كل ما يحتاجون اليهِ من الاموال من خزينة الملك . وامر خَزَنَةَ الذين كانوا في عبر الفرات ان يعطوهم ايضًا اذا طلبوا حتى يبلغ مئة وزنة من الفضة ومئة كر من الحنطة ومئة بث من الخمر ومئة بث من الزيت والملح من دون تقييد عز ٧ : ٢٢ . واذن باقامة قضاة ووكلاء في الارض وان لا يكون على الكهنة واللاويين جزية خراج او خفارة . وهذه الامور تجعل امر هذا الملك اكمل واقوى جميع الاوامر المعطاة لترجيع اورشليم . ومن ثمَّ دانيال في نبوتهِ يفضلهُ على

جميع الاوامر لتصليح اورشليم اذ كان بحسب وقت خروجهِ بداءة السبعين اسبوعًا المذكورة آنفًا ثم بعد ذلك خرج امرٌ من ملك فارس لنحميا موافق لليهود راجع نح ص ٢ وذلك يستحق الاعتبار ان قلوب الملوك الوثنيين تميل الى شعب اليهود بهذا المقدار. وما ذلك الاَّ فعل قوتهِ تعالي الذي بيدهِ قلوب الملوك جميعًا كجداول مياه حيثما شاء يميلها

ثم اننا نرى امرًا آخر غريبًا في ترجيع اليهود الى ارضهم وذلك انهُ قد حصل قهرًا عن اعدائهم لانهُ قد وقع على ذلك مقاومة شديدة من السامريين الذين كانوا منذ زمان طويل بواسطة المكر والحيل يقاومون اليهود ويحاولون هلاكهم وهم بشلام ومثريدات وطبئيل ورحوم وشمشاي راجع عزرا ٤ وايضًا تتناي وشتربوزناي واصحابهما راجع عزرا ٥ ثم سنبلَّط وطوبيا وارفاقهما كما نرى في سفر نحميا ص ٥

وقد بيَّنا سابقًا كيف ان دخول اليهود الى هذه الارض في ايام يشوع بن نون كانت واسطة لتقدم عمل الفداء. ولاجل تلك الاسباب بعينها يكون رجوعهم اليها متجهًا الى نجاح هذا العمل نفسهِ. ولا ريب ان سكنى اليهود ثانية في هذه الارض يتعلق بهذا العمل من حيث انهُ لابدَّ منهُ لبقاء كنيسة اليهود وحفظ ترتيبهم الى ان يجيء المسيح. لانهُ لولا رجوع اليهود وبناء هيكلهم ثانية وترجيع عبادتهم لكانوا لا محالة قد بقوا بلا هيكل وبلا ارض يتملكونها لكي تكون لهم مكانًا ثابتًا للعبادة والسكنى والاجتماع ولكان ترتيب الله الذي اعتنى بهذا المقدار في وضعهِ على خطر من الاضمحلال قبل كمال ست المئة سنة التي هي الزمان تقريبًا من السبي الى مجيء المسيح. ولكانت جميع الاستعدادات التي كان الله شارعًا فيها من ايام ابرهيم تمهيدًا لمجيء المسيح باطلاً. واما الآن فقد بُني الهيكل الذي قصد الله ان يملأهُ مجدًا بدخول المسيح اليهِ كما قال النبي حجي والنبي زكريا لليهود لكي يشجعاهم على بنائهِ

(٥) مما اذكرهُ في هذه المئة ما زِيد على الكتب المقدسة حالاً بعد السبي

من النبي حجي والنبي زكريا اللذين أُرسلا لاجل انهاض عزم اليهود في بناء المدينة والهيكل . والحجة التي استعملاها على الخصوص لاجل هذه الغاية هي قرب زمان مجيء المسيح. والظاهر ان هذا هو الاعلان الاخير الاكثر اعتبارًا عن ولادة المسيح قبل ارسال جبرائيل الملاك لكي يوحي بذلك الى امهِ مريم

(٦) مما يجب ذكرهُ ايضًا هنا هو فيضان الروح القدس الذي قد رافق انذار عزرا ووعظهُ بعد السبي . وكثيرًا ما يشار الى هذا الامر في سفر عزرا ونحميا . لان عزرا حينما صعد من بابل بالاوامر العظيمة التي اعطاهُ اياها ارتحشستا الملك والتي ابتدأت منها السبعون اسبوعًا المذكورة في دانيال شرع يبذل جهدهُ واهتمامهُ في اصلاح ما وجدهُ بين اليهود من الفساد . وهو يخبرنا في الاصحاح العاشر من سفرهِ عن نجاحهِ العظيم وكيف ان جماعة بني اسرائيل بوجه العموم كانوا ينوحون و يبكون بمرارة على خطاياهم وكيف دخلوا في عهدٍ جديد متين مع الله فحصل من ذلك اصلاحٌ عظيم بينهم جميعًا . وبالغرب من هذا الوقت اجتمع الشعب جميعًا بغيرة شديدة وعزمٍ قوي واحترام بليغ لكي يسمعوا كلام الله الذي يتلوهُ عليهم عزرا واصغوا اصغاء تامًا عند ما وعظهم عزرا وسائر الكهنة وقرأوا عليهم الشريعة وفسروها لهم وحصل فيهم من ذلك تأثيرٌ عظيم حتى بكوا عند استماع كلام الشريعة وعزموا عزمًا ثابتًا على اطاعتها وحفظوا عيد المظال حفظًا لم يكن مثلهُ منذ ايام يشوع بن نون راجع نح ص ٨ وبعد ذلك عقيب انفصالهم عن الغرباء صاموا بكل وقار امام الله مع استماع كلامهِ تعالى وتجديد العهد معهُ والاعتراف بخطاياهم . والدليل على انهم فعلوا ذلك بنية صادقة اصلاح ما كان وقع من الفساد في الديانة والآداب راجع نح ص ؟

انهُ امر يستحق الاعتبار ان الله كلما يريد ان يجدد احوال كنيستهِ المنظورة يسكب روحهُ بفيضٍ عظيم . انهُ هكذا فعل عند ما جاءت الكنيسة اليهودية اولاً الى ارض كنعان في ايام يشوع . وكذلك الآن عند ترجيع الكنيسة في ايام عزرا وايضًا في اول تأسيس الكنيسة المسيحية بعد قيامة المسيح وفيض الروح هذا

في ايام عزرا كان علاجا شافيًا لامة اليهود من تلك الخطية التي كانت حينئذٍ غالبة عليهم بنوع خصوصي وهي اختلاطهم بالامم بواسطة الزواج وهم مع ميلهم الشديد اليها فيما مضي تراهم فيما بعد يكرهونها كراهة شديدة

(٧) ان هنا محل ذكر ما زادهُ عزرا على الكتب القانونية وهو السفر المعروف باسمهِ. والمظنون انهُ كتب ايضًا سفري الايام او اقل ما يكون جمعهما معًا اذا لم يكن انشأهما. وكون هذه الاسفار قد ناًلفت او كملت بعد السبي واضحٌ مما كُتب فيها لان جداول الاشخاص المذكورين بها تمتد الى ما بعد السبي راجع ١ اي ٣: ١٧ الى آخرهِ حيث يذكر نسل يهوياقيم الى اجيال كثيرة متوالية. وهذه الاسفار تخبرنا ايضًا عن السبي الى بابل كانهُ امرٌ قد مضى وعن امور حدثت عند رجوع اليهود من السبي راجع ١ اي ٩ ص؟ وكون عزرا هو الذي جمع هذه الاسفار يظهر من اختتامها بكلام نعلم انهُ كلام تاريخ عزرا فان العددين الاخيرين من سفري الايام هما نفس العددين الاولين من سفر عزرا

(٨) المظنون ان عزرا ضمَّ معًا جميع اسفار الكتب المقدسة التي كانت حينئذٍ ورتبها على ترتيبها الحاضر. وكثيرًا ما يُذكَر كانهُ كاتبٌ فاضلٌ شهير لشريعة الله. والظاهر ان الكتب الالهية كانت في ايامهِ تحت عنايتهِ الخصوصية. ويبان من تواريخ اليهود الاولى انهم كانوا دائمًا يعتقدون ان الذي جمع الكتب المقدسة ورتبها هو عزرا وانهم تسلموها منهُ بالترتيب الذي رتبها عليهِ ولم تزل على ذلك الترتيب الى ان جاء المسيح حيث قبلتها الكنيسة المسيحية من اليهود وسلمتنا اياها جيلًا بعد جيل وليس من ينكر صدق ذلك

(٩) قد حصل تقدمٌ في عمل الفداء بهذه المدة بواسطة تكثير نسخ الشريعة جدًّا وتعيين قراءتها على التوالي جهارًا في جميع مدن اسرائيل داخل المجامع. ولا يخفى انهُ قبل السبي لم يكن سوى نسخ قليلة من الشريعة وان النسخة الاصلية كانت موضوعة الى جانب التابوت. وقد امر الله ان كل ملكٍ من ملوك اسرائيل يكتب لنفسهِ نسخة من الشريعة لاجل استعمالهِ وان الشريعة تُقرأ

لكل جماعة اسرائيل مرة في كل سنة سابعة . ولا علم لنا بوجود قراءة اخرى معينة جاهرة للشريعة قبل السبي . ولكن بعد السبي درجت العادة ان تقرأ دائمًا في كل المجامع . فابتدأوا اولاً بقراءة الشريعة فقط ثم عينوا قرءاة باقي الاسفار الموجودة في العهد القديم . وهكذا كان الحال في ايام المسيح والرسل كما يبان من قولهِ في اع ١٥ : ٢١ لان موسى منذ اجيال قديمة لهُ في كل مدينة من يكرز بهِ اذ يقرأ في المجامع كل سبت ويظن الجميع من اليهود والنصارى ان اول من ابتدأ بهذه العادة عزرا الكاهن . ومعلوم انهُ كان اجتماعات عمومية قبل السبي حين كانوا يجتمعون في الاعياد الكبيرة في الهيكل . وكان الامر ان العامة اذا اشكل عليهم شيء من الشريعة يذهبون الى الكاهن لاجل حلهِ . وكان من عادتهم ايضًا ان يجتمعوا في بيوت الانبياء . ويوجد ذكر للمجامع قبل هذه المدة راجع مز ٧٤ : ٨ . ولكن لا يظن انهُ كان عندهم نسخ من التوراة لاجل القراءة والشرح جهارًا الاَّ فيما بعد ذلك . ولا ريب ان تكثير نسخ التوراة هذا وقراءتها وشرحها كان واسطة عظيمة لحفظ شعب اليهود من عبادة الاوثان

(١٠) ما يُذكر في هذا الباب حفظ الله كنيسة اليهود وامتهم حفظًا عجيبًا عند ما وقعوا في خطر عظيم من الهلاك جميعًا بواسطة هامان كما هو مذكور في سفر استير . ولا ريب ان تدبير الله وعنايتهُ العظيمة في هذا الامر لحفظهم من الهلاك كان عجيبًا جدًّا . ولا شك ان استير ما وُلدت الاَّ لاجل هذه الغاية اي لكي تكون واسطة لانقاذ بني جنسها على المنوال المذكور

(١١) انهُ في هذه المدة قد حدث زيادة ايضًا على الكتاب المقدس باضافة سفر نحميا وسفر استير اليهِ . ولا خلاف في ان نحميا كتب السفر المعروف باسمهِ . واما سفر استير فلا نعلم بالتحقيق من كتبهُ . فذهب جماعة ان كاتبهُ نحميا وآخرون الى انهُ مردخاي وآخرون نسبوا كتابتهُ الى ملاخي . غير ان تعيين الكاتب لا يهمنا ما دام لنا برهان على انهُ من الكتب المقدسة وقد حسبهُ اليهود دائمًا وقبلوهُ كجزء من كتبهم . وكان ايضًا مع الاسفار التي كان

اليهود يدعونها الاسفار المقدسة في ايام المسيح وهو له المجد قبلها على هذا المنوال وثبتها وذلك ببيان صريحًا من كلامهِ ومحاوراتهِ مع اليهود

(١٣) انهُ في هذه المدة قد كمل الكتاب وختمهُ ملاخي بنبوتهِ. والظاهر من الطريقة التي ختم بها نبوتهُ أنهُ لا ينبغي لشعب اليهود ان ينتظروا نبوات أُخر ولا وحيًا مكتوبًا من الله الى ان يأتي المسيح. لانهُ في الاصحاح الاخير من سفرهِ يتنبأُ عن مجيء المسيح اذ يقول لكم ايها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في اجنحتها فتخرجون وتنشأُون كعجول الصيرة وتدوسون الاشرار لانهم يكونون رمادًا تحت بطون اقدامكم يومَ افعل هذا قال رب الجنود ع ٢ و٣ ثم يقول اذكروا شريعة موسى عبدي التي امرتهُ بها في حوريب على كل اسرائيل الفرائض والاحكام ع ٤ كانهُ يقول اذكروا ما عندكم واستفيدوا بهِ وحافظوا على شريعتكم المكتوبة ولا تنتظروا زيادات أُخر عليها الى ان يزول ليل العهد القديم ويشرق اخيرًا شمس البر

(١٤) انهُ بعد ذلك بقليل بطل روح النبوة من بين هذا الشعب الى زمان العهد الجديد. وهكذا اخذت انوار العهد القديم اي كواكب ليلهِ الطويل تختفي شيئًا فشيئًا لان زمان شمس البر قد اقترب. وقد تقدم الكلام كيف ان الملك انسلخ من بيت داود قبل ان جاء الملك الحقيقي وراس الكنيسة العظيم. وكيف ان سحابة المجد ارتفعت قبل ان ظهر المسيح ضياء مجد الله. والآن قد ارتفع روح النبوة لانهُ اذ كان زمان نبي الله العظيم قد صار قريبًا حان الوقت الذي فيهِ يصمت انبياؤُهم الذين لم يكونوا الاَّ رمزًا لهُ

واذ قد انتهينا من المدة التي نجد في العهد القديم اخبارًا عن الحوادث الواقعة فيها نتقدم الآن فنبيّن كيف حصل التقدم في عمل الفداء في بقية الوقت قبل المسيح. ولا يخفى ان تواريخ الكتب المقدسة ساكتة عن هذه المدة ولكن يمكننا التوصل الى معرفة ذلك بثلاث وسائط وهي نبوات العهد القديم والتواريخ غير المنزلة و بعض امور ذُكرت في العهد الجديد

(١٤) مما نذكرهُ في هذه المدة خراب مملكة فارس وقيام مملكة اليونان بواسطة اسكندر. وكان ذلك بعد الازمنة التي يظنُّ ان ملاخي النبي تنبأ فيها بنحو ستين او سبعين سنة وقبل المسيح بنحو ثلاث مئة وثلاثين سنة. وهذا هو ثالث الانقلابات الحاصلة في هذه المدة واعظم الانقلابات المتقدمة عليهِ واغربها. وذلك لسببين احدهما كون الفتوحات التي حصلت من اسكندر كانت بغتة. والثاني عظمة المملكة التي اقامها فائقة في الامتداد والاتساع جميع الممالك السابقة

ودانيال يذكر هذه الحادثة العظيمة في نبوتهِ كثيرًا وقد اشار الى هذه المملكة القوية في تفسيرهِ حلم بختنصر الملك بالمملكة الثالثة التي هي من نحاس راجع دا ٢: ٣٩ واشار اليها ايضًا عندما رأى الوحوش الاربعة بالوحش الثالث الذي كان شبه النمر ولهُ اربعة اجنحة مثل الطائر وذلك يدل على سرعة غلبتهِ دا ٧: ٦. ولكن في الاصحاح الثامن من نبوتهِ يشير اليها على اكثر تخصيص بتيس المعز الذي جاء من المغرب على وجه جميع الارض ولم يمس الارض اشارة الى ان اسكندر فتح العالم وتغلب عليهِ بسرعة عظيمة. ثم ان الملاك نفسهُ قد فسَّر صريحًا ان التيس الذي رآهُ دانيال يدل على ملك اليونانيين عند قولهِ والتيس العافي ملك اليونان والقرن العظيم الذي بين عينيهِ هو الملك الاول ع ٢١ يعني اسكندر نفسهُ

ثم ان اسكندر بعد ان غلب العالم توفي عاجلاً وملكهُ لم ينتقل منهُ الى نسلهِ بل اقتسمهُ اربعة من قوادهِ فيما بينهم ولكنهم لم يكونوا في قوتهِ راجع دا ١١: ٣. وبعد ان اخبر الملاك عن مملكة فارس اخذ يخبر عن اسكندر بقولهِ ويقوم ملك جبار ويتسلط تسلطًا عظيمًا ويفعل حسب ارادتهِ ع ٣ ثم عن قسمة الملك بين قوَّادهِ الاربعة حيث يقول وكقيامهِ تنكسر مملكتهُ وتنقسم الى رياح السماء الاربع ولا لعقبهِ ولا حسب سلطانهِ الذي تسلط بهِ لان مملكتهُ تنقرض وتكون لآخرين غير اولئك ع ٤ فواحد من هؤلاء القواد اخذ مصر والبلاد المجاورة لها جنوبي اليهودية. وآخر اخذ سورية وما يليها من البلاد شمالي

اليهودية . فدُعي احدهما ملك الجنوب والآخر ملك الشمال راجع دا ص ١١

ان قيام مملكة اليونانيين هذه صار واسطة عظيمة لاعداد الطريق لمجيء المسيح ولقيام ملكوته . ولاسيما بما انها جعلت اللغة اليونانية عامة في العالم فان ذلك جعل انتشار الانجيل ايسر جدًّا مما لو كان لكل شعب لسان خاصٌّ به نعم ان البعض من مبشري الانجيل الاولين كانت لهم موهبة اللغات حتى كانوا يقدرون ان يتكلموا بجميعها ولكن هذه الموهبة لم تكن للجميع حتى ان الذين كانت لهم لم يكونوا يقدرون على استعمالها متى ارادوا ولكن فقط في الاوقات التي كان الروح فيها يعطيهم النطق . والكنائس التي كانت في اماكن متفرقة وبعيدة عن بعضها كالتي في اورشليم وانطاكية وغلاطية وكورنثوس لو لم يكن لهم لغة عامة بين جميعهم لما كان لهم هذا الاشتراك الذي يخبرنا به صاحب اعمال الرسل

ثم ان انتشار اللغة اليونانية في قسم عظيم بهذا المقدار من الدنيا قد سهَّل الطريق بنوع عجيب لملكوت المسيح لانها هي اللغة التي كان الانجيل عتيدًا ان يُكتَب بها في الاصل والرسل نشروا بشارة الانجيل بين قبائل شتى ولو كانت هذه القبائل لا تقدر ان تفهم الانجيل الاَّ بترجمته الى لغاتٍ كثيرة ككثرة القبائل لكان انتشارهُ اصعب جدًّا مما رأيناهُ . ولكن بصيرورة اللغة اليونانية لسانًا عامًّا للجميع فهمهُ الجميع في اللغة التي كتبهُ بها في الاصل الرسل والانجيليون . وحالما خرج من ايدي مؤلفيه الاصليين كان مفتوحًا امام العالم باللغة التي كانت مستعملة ومفهومة بينهم جميعًا

(١٥) ان مما اذكرهُ هنا ترجمة العهد القديم الى اللغة اليونانية وهي الترجمة المدعوة بالسبعينية او ترجمة السبعين . والمظنون انها ترتبت بعد فتوحات الاسكندر بنحو خمسين اوستين سنة وهذه اول ترجمات الكتب المقدسة التي لنا فيها خبرٌ بوثق به . والكتب المقدسة قد بقيت قبل الآن مغلقة عند اليهود في اللسان العبراني الذي لم يكن مفهومًا الاَّ عندهم . واما الآن فقد تُرجِمت الى اللسان اليوناني الذي هو مفهومٌ عند جميع قبائل العالم

وترجمة العهد القديم هذه لم تزل موجودة في هذه الايام وهي ذات نفع جزيل ويوجد عند اليهود خرافات وحكايات كثيرة عن سبب هذه الترجمة وكيفية عملها . والمظنون ان الصحيح هو ان اليهود الكثيرين الذين كانوا ساكنين خارج اليهودية وُلدوا وتربوا بين اليونان كانت اللغة اليونانية لغتهم العمومية. واذ كانوا لا يفهمون اللسان العبراني سعوا في ترجمة الكتب المقدسة الى اللسان اليوناني لاجل منفعتهم. ومن ثَمَّ ترى اليهود بعد ذلك في جميع البلدان ما عدا اليهودية كانوا يستعملون في مجامعهم هذه الترجمة عوض العبراني

ولا ريب ان ترجمة الكتاب المقدس هذه الى لغة مفهومة في العالم بهذا المقدار كانت واسطة عظيمة لاعداد الطريق لملكوت المسيح لان الرسل الذين أُرسِلوا للتبشير بالانجيل في العالم كانوا كثيرًا ما يستعملون كتب العهد القديم ولاسيما النبوات عن المسيح. ووجود هذه الترجمة بين ايادي اليهود المنفيين الى اماكن شتى صار واسطة عظيمة لتعليم الامم ايضًا بالديانة المسيحية وانهم كانوا على الاكثر يستعملون هذه الترجمة في مواعظهم وكتاباتهم حيثما كانوا كما يبان جليًّا من الاقتباسات الكثيرة التي استعانوا بها من العهد القديم في كتاباتهم فانها مأخوذة من نفس كلام هذه الترجمة . ان المعنى هو عين معنى العبراني الذي هو الاصل ولكن الالفاظ مختلفة. وهذه الترجمة استُعملت على الخصوص في الكنائس المسيحية في اكثر العالم مئات من السنين بعد المسيح

(١٦) من حوادث هذه المدة حفظ الكنيسة حفظًا عجيبًا عند ما وقعت في الخطر الكلي والاضطهاد الشديد من مملكة اليونان. واول خطر كان من اسكندر الذي عند ما حاصر مدينة صور ارسل الى اليهود يطلب منهم الامداد والنفقات لجيشه واما هم فبناء على معاهدتهم لملك فارس امتنعوا من ذلك. ولما بلغ اسكندر ذلك غضب لسوء اخلاقه كما تصوّره لنا الكتب المقدسة بتيس المعزى وهجم عليهم بجيشه عازمًا على اهلاكهم عن آخرهم . ولكن لما رأى الكهنة خارجين لاستقباله بالحلل الكهنوتية حوّل الله عزمه الى العفو عنهم والاحسان

اليهم كما حوّل عزم عيسو عند ما قابل يعقوب

ثم بعد ذلك كان احد ملوك مصر وهو خليفة احد قواد اسكندر الاربعة يريد ان يهلك امة اليهود ولكن منعهُ الله عن اتمام مرادهِ على طريقة عجيبة بعناية خصوصية من العلي لحفظهم

ولكن حفظهم الاعجب في هذه المدة كان عند وقوع الاضطهاد الشديد عليهم في ايام انطيوخوس ابيفانوس ملك سورية خليفة واحد آخر من قواد اسكندر. وكانت اليهود حينئذٍ تحت ولاية الملك المذكور وكان حَنِقًا عليهم فاستمر مدة طويلة يحاول بكل جهدهِ ان يستأصلهم باسرهم او اقل ما يكون يهلك جميع الذين لم يتركوا ديانتهم ويعبدوا اصنامهُ. وقد اخرب كثيرًا من البلاد وكاد يفني سكان اورشليم ونجس الهيكل بوضع اصنامهِ في اماكن منهُ واضطهد الشعب بقساوة بربرية حتى انهُ لا يوجد في التاريخ خبر اضطهاد نظير هذا قبلهُ. وكان هذا الاضطهاد الفظيع في اوجهٍ كثيرة محزنًا الى الغاية. وكان ابتداؤهُ قبل المسيح بنحو مئة وسبعين سنة وقد ذكرهُ كثيرًا دانيال في نبوتهِ راجع ٨: ٩ و٢٥ و١١: ٢١ الى ٣٨ و بولس الرسول في رسالتهِ الى العبرانيين راجع ١١: ٣٦ الى ٣٨

وقد قصد انطيوخوس هذا ان يلاشي ليس الديانة اليهودية فقط بل ان يبيد امة اليهود ايضًا على قدر استطاعتهِ. وقد بذل جهدهُ على الخصوص في ملاشاة جميع نسخ التوراة. واذا لاحظنا شدة ضعف اليهود بالنسبة الى هذا الملك الذي كان مستوليًا على مملكة واسعة بهذا المقدار نرى عناية الله عجيبة جدًّا في خذلهِ وتخييب رجائهِ وقد رأينا ان اليهود مرارًا كثيرة وصلوا الى حافة الهلاك وكانوا مستعدين ان يُتلَعوا من اعدائهم وكان مرارًا كثيرة اعداؤهم واثقين بنيل مقاصدهم. انهم قد نهضوا مرة على هذا الشعب بجيش عظيم عازمين على قتل الرجال واستحياء النساء والاطفال ليبيعوهم عبيدًا وكانوا بهذا المقدار واثقين بانهم سيحصلون على بغيتهم حتى انهُ قد اتى معهم اكثر من الف تاجر والدراهم في ايديهم لكي يشتروا بها عبيد السبي التي تباع. ولكن الله على طريق عجيب

هاج رجلاً يقال لهُ يهوذا وشدَّدهُ مع آخرين من خلفائهِ المدعوين بالمكابيين وكانوا في عدد قليل جدًّا بالنسبة الى جيش الاعداء لكنهم كانوا يبددون اعداءهم حينًا بعد حين وهكذا خلصوا امتهم من الهلاك. وقد تنبأ دانيال عن ذلك ايضًا لانهُ في كلامهِ على الاضطهاد الذي حصل في ايام انطيوخوس يقول والمتعدون على العهد يغويهم بالتملقات اما الشعب الذين يعرفون الههم فيقوون ويعملون ص ١١: ٣٢

ثم ان الله بعد ذلك اوصل انطيوخوس المذكور الى عاقبة هائلة رديئة بسبب مرض خبيث استولى عليهِ مقترنًا بالم شديد واضطراب مزعج للعقل. وقد تنبأ عن ذلك دانيال بقولهِ ويبلغ نهايتهُ ولا معين لهُ دا ١١: ٤٥ وبعد موتهِ حاول غيرهُ اهلاك الكنيسة ولكن الله خيَّب آمالهم جميعًا

(١٧) ما يُذكر هنا خراب المملكة اليونانية وقيام المملكة الرومانية. وهذا رابع انقلاب حدث في هذه المملكة. ومع ان قيام هذه المملكة كان بالتدريج وباقل سرعة من مملكة اليونان نراها قد فاقتها جدًّا وكانت اعظم الممالك الارضية في جميع الاجيال واكبرها بقعةً. ولذلك كانت مرارًا كثيرة تُدعى جميع المسكونة او جميع العالم كما في قول لوقا وفي تلك الايام صدر امرٌ من اوغسطوس قيصر بان يكتتب كل المسكونة لو ٢: ١ يريد بذلك المملكة الرومانية

وقد تكلم دانيال عن هذه المملكة كأنها العظمى والكبرى جدًّا بين الممالك الاربع حيث يقول وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لان الحديد يدق ويسحق كل شيء وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هولاء دا ٢: ٤٠ راجع ايضًا ٧: ٧ و١٩ و٢٣ وكانت غلبة المملكة الرومانية لارض اليهودية بين السنتين والسبعين سنة قبل المسيح. وبعد ذلك بقليل بلغت هذه المملكة الى ابعد امتدادها وما زال العالم خاضعًا لها من ذلك الوقت الى ان جاء المسيح وبعد ان جاء بمئات من السنين

ان اتحاد الشعوب على هذا المنوال تحت حكم واحد عند مجيء المسيح وعند

انطلاق الرسل لاجل التبشير بالانجيل كان واسطة عظيمة لتسهيل الطريق لانتشار الانجيل وقيام ملكوت المسيح في العالم. لان خضوع العالم هكذا لولاية واحدة قرّب الشعوب من بعضها. وبذلك تمهّد الطريق لاذاعة بشارة الانجيل باكثر سرعة لانهُ في الجولان بين شعوب تحت ولايات مختلفة منفردة صعوبات كثيرة لا توجد في السفر في اقاليم مختلفة تحت ولاية واحدة او ممالك كثيرة تحت سلطان ملك واحد. والخلاصة ان كون العالم تحت ولاية واحدة رومانية قد يسّر الطريق لسفر الرسل وانتشار الانجيل

(١٨) انهُ في هذا الوقت وصلت الامم الى ارفع درجة من العلم والفلسفة لان جميع مشاهير الفلاسفة الاَّ قليلاً كانوا بعد سبي بابل ونشأ جميع حكماء اليونان والرومانيين تقريبًا في هذا العصر. والامر الذي كان هولاء الفلاسفة بوجه العموم يدّعون انهم مشتغلون فيهِ هو البحث عما تقوم بهِ سعادة الانسان الحقيقية وعن طريق الوصول الى ذلك. والظاهر انهم بذلوا جهدهم في هذا البحث وكتبوا فيهِ كراديس من الكتب التي وصل البعض منها الى ايامنا هذه. ولكنهم كانوا في اختلاف عظيم من هذا القبيل حتى انهم رأوا فيهِ مئات من الآراء المختلفة. وهكذا كانوا يتعبون باطلاً تائهين في ظلامٍ اذ لم يكن لهم نور الانجيل لاجل ارشادهم. وقد ترك الله الناس يفرغون ما عندهم من المعرفة والقوة والحكمة في ادراك طريقٍ للسعادة الحقيقية قبل ان جاء النور الحقيقي لكي ينير العالم. ولبث هولاء الفلاسفة يعملون ما قدروا عليهِ مدة ست مئة سنة واخيرًا ظهر من حوادث هذه المدة الطويلة ان اتعابهم ذهبت باطلاً لان العالم لم يصر بواسطة تعاليمهم احكم مما كان ولا افضل ولا اسعد لكنهُ بالعكس كان يزداد جهلاً وشرًّا وشقاء. وقد سمح تعالى بذلك لكي يقنع العالم بشدّة احتياجهِ الى معلم من العلى. وقد احب الله ان يجعل حكمة هذا العالم جهالةً لكي يُري الناس سخافة ما عندهم من الحكمة وذلك بواسطة تعاليم انجيلهِ التي لا يقدر جميع فلاسفة الدنيا ان يصلوا الى حدّها راجع اكو ١:١٩ الى ٢١

ثم ان الله بعد ما اظهر ان الحكمة البشرية من دون الانجيل باطلة احب ان يجعلها وسيلةً لاجراء مقاصد ملكوت المسيح نظير جاريةٍ للوحي الالهي . وقد نرى مثال ذلك في بولس الرسول الذي كان مشهوراً في كثرة المعرفة والعلم راجع اع ٢٦ : ٢٤ لانهُ كان ماهراً في علوم اليهود والفلاسفة جميعاً وقد استعمل معرفتهُ هذه وسيلةً لنجاح الانجيلي ونموّهِ كما فعل في جدالهِ مع الفلاسفة في مدينة اثينا راجع اع ١٧ : ٢٢ الى آخرهِ وقد كان بواسطة علمهِ اهلاً ان يخاطب الفلاسفة حتى نراهُ كان يقتبس شيئاً من اقوال شعرائهم . وان ديونيسيوس احد الفلاسفة آمن على يد هذا الرسول وصار واسطةً عظيمة لانتشار الانجيل . وظهر آخرون غيرهُ كثيرون في هذا العصر والاعصار التالية لهُ ممن كانوا بواسطة علمهم واسطة لامتداد ملكوت المسيح

(١٩) انهُ قبل ولادة المسيح بقليل ارتقت السلطنة الرومانية الى اعلى طبقاتها وتوطّدت اركانها بالسلامة والامان . وقبل المسيح باربع وعشرين سنة ابتدأ اوغسطس قيصر الملك الروماني الاول يملك على العالم . لان المملكة الرومانية كانت قبل ذلك جمهورية تحت حكم المشيخة منذ زمانٍ قديم . وكان هذا الملك اعظم جميع الملوك الرومانيين كما كان اولهم وكان سلطانهُ مقروناً بالعظمة والسعادة . وبذلك ارتقت قوة عالم الاوثان الذي هو ملكوت الشيطان الى ارفع درجاتها لانها كانت تتقوى شيئاً فشيئاً منذ ايام سليمان وذلك نحو الف سنة

ثم ان الله في تهيئةِ الطريق لمجيء المسيح عمل امرين خالف فيهما جميع الطرق البشرية . لانهُ اذلّ شعبهُ الخاص المنظور واضعفهُ ورفع اعداءهُ الوثنيين ورقاهم الى اعلى درجه من القوة وذلك لكي تكون غلبة صليب المسيح اعظم مجداً . وهو سبحانهُ قد غلب بعدد قليل في حالة ضعفهم الشديد جمهوراً عظيماً من اعدائهِ في حالة ارتفاع مجدهم وشدة قوتهم . وبذلك ساد المسيح على الرؤساء والسلاطين بصليبهِ

وانشغل اوغسطس قيصر سنين كثيرة في توطيد اركان مملكتهِ وقهر اعدائهِ حتى الى السنة التي وُلد فيها المسيح. وحينئذٍ كان يتراءى ملكهُ انهُ وصل الى اعظم ما يكون من المجد. وفي هذه الايام استولت السلامة على جميع المملكة. واشارةً الى ذلك قفل الرومانيون باب هيكل يانوس الذي كان قفلهُ عندهم عنوانًا ثابتًا لاستيلاء السلام التام. وهذا السلام الذي ابتدأ في السنة التي وُلد فيها المسيح استمرَّ الى السنة التي كان المسيح يجادل فيها العلماء في الهيكل وذلك اثنتا عشرة سنة

ولا ريب ان هذا السلام العمومي العجيب الذي استولى على العالم بعد اجيالٍ هذا مقدارها من ازمنة الاضطرابات والحروب كان مقدمةً تليق باستقبال رئيس السلام العظيم عند ورودهِ الى العالم

وما ذكرتهُ في القسم الاول من الملة بين سقوط الانسان ونهاية العالم يتضح جليًا صدق القضية الاولى وهي انهُ من سقوط الانسان الى تجسد المسيح كان الله يعمل ما كان مهيئًا لمجيئهِ ومبشرًا بقدومهِ

الفصل السابع

نتائج مما تقدم

اننا قبل الدخول في العقبة التالية نريد ان نذكر بعض نتائج مما سبق فنقول

اولاً انهُ مما تقدم ينتج ان يسوع الناصري هو بالحقيقة ابن الله ومخلص العالم. وان الديانة المسيحية هي الديانة الحقيقية. لاننا رأينا ان يسوع المسيح هو نفس

ذاك الشخص الذي تتجه اليهِ واضحًا جميع اعمال العناية الالهية العظيمة منذ سقوط الانسان. والذي تُنُبِّئَ عنهُ بدون شك في اماكن وامثال كثيرة جيلاً بعد جيل واشير اليهِ برموزٍ واشباه مختلفة وكثيرة جدًّا. فان هذا الشخص المرسل من الله قد اتى الى العالم بامرهِ وسلطانهِ لكي يعمل عملهُ ويُظهِر ارادتهُ. ومدبر العالم العظيم قد اوضح ذلك في جميع اعمالهِ العظيمة نحو اليهود والامم الى زمان ميلاد المسيح. ولا شبهة في ان الذي وُلد في بيت لحم وسكن في الناصرة وكفرناحوم وصُلِب خارج ابواب اورشليم يجب ان يكون المسيح العظيم. فطوبى لجميع الذين يؤمنون ويعترفون بهِ والويل لجميع الذين ينكرونهُ

ولمعترضٍ ان يقول لعل الحذّاق من الناس اخترعوا هذه التواريخ والنبوات لكي يثبّتوا بها انهُ هو المسيح فنجيب كيف يمكن حذّاق الناس اختراع مثل هذا الامر الدلالة على المسيح قبل ولادتهِ بمدة طويلة. وكيف امكنهم ان يعرفوا في سالف الزمان انهُ سوف يولد شخصٌ مثل هذا. وان ينظروا حادثًا كان عتيدًا ان يتمّ بعد ايامهم باجيال عديدة وان يشيروا اليهِ اشارةً واضحة مثل هذه. ولا يوجد سبيلٌ للشك في ان هذه الكتب كانت عند اليهود قبل ولادة المسيح بزمان طويل ولم تزل محفوظة عندهم بكل اعتبار واحترام مع كل ما حصل لهم من البلايا والتشتت في اقطار المسكونة. وهل يُصدَّق انهم يقبلون اختراعًا مثل هذا من النصارى وهو يثبت ان يسوع الذي انكروهُ في كل وقت هو المسيح. وهل يمكن حملهم على التصديق بان هذه الكتب كانت دائمًا عندهم مع افتراض كونها مزوّرة

ثانيًا ان ما تقدم من الكلام برهان متين على ان كتب العهد القديم منزلة من الله لما رأيناهُ فيها من الاتفاق العجيب في اشارتها جميعًا الى امرٍ واحدٍ بعينهِ. لانهُ مما سبق يُعلَم جيدًا كيف ان اسفار العهد القديم باسرها مع انها كُتبت من اشخاص مختلفين وفي اجيالٍ متفاوتة يتفق احدها من الآخر اتفاقًا تامًّا. لانها جميعها تتكلم باتفاق وترجع الى امر واحد. وهذا الامر لا يمكن احدًا من الذين

كتبوها ان يسبق فيعرفهُ الاَّ بوحيٍ من الله

فاذا كان العهد القديم غير موحًى بهِ من الله فمن اين يحصل هذا الاتفاق اذ لو كانت اسفار العهد القديم قد كُتبت من دون الهامٍ الهي لم يكن احدٌ من الذين كتبوها قد عرف انهُ سوف يأتي شخصٌ مثل يسوع المسيح الى العالم. وعلى ذلك يكون مجيئهُ مجرَّد اختراعٍ من عقولهم وبحسب هذا الافتراض كيف امكن ان تصوُّرهم الذي سبقوا واخبروا بهِ من دون ادنى اساس يبنون اخبارهم عليهِ يتمُّ في اوانهِ طبق كلامهم. وعلى الخصوص كيف امكن انهم جميعًا يتفقون في شيءٍ واحدٍ ويشيرون اليهِ مع انهم كانوا في اعصار متباينة وبلدان متباعدة. والنتيجة ان هذا الاتفاق العجيب في هذا الامر الذي هو مستقبلٌ محض دليلٌ قاطعٌ على ان هذه الكتب منزلة من الله

ثالثًا انهُ من ذلك يتضح لنا سخافة الزعم ان كتب العهد القديم ليست من الله لانها تتضمن مقدارًا عظيمًا من الاخبار الحربية والمهمَّات السياسية او كما يقول بعضهم لانها تتضمن تواريخ ملوك اليهود ورياستهم والحروب التي جرت بينهم وبين القبائل المجاورة لهم والتقلبات التي وقعت في احوالهم واحكامهم مع ان الشعوب الاخرين كان من عادتهم ان يكتبوا تواريخ وقائعهم الجمهورية فلماذا نحسب تواريخ اليهود كلام الله دون تواريخ بقية الشعوب. ومما قيل سابقًا تظهر ركاكة هذا الاعتراض وفسادهُ لان تواريخ العهد القديم تختلف بالكلية عن تواريخ بقية الشعوب جميعها لانها تخبرنا عن اصل جميع الاشياء بخلاف غيرها. وتخبرنا مع ما فيها من التعاليم والنبوات عن اعمال العناية الالهية العظيمة من بداءة العالم الى زوال جميع الاشياء وعن مقاصد الضابط الكل. وكون جميع الحوادث منذ ذلك الاصل متعلقة مع بعضها كما بسلسلة عظيمة وكلها متجهة الى غاية واحدة قد قصدها الله حتى انها مع ما فيها من التعاليم والنبوات تصوِّر امامنا اعظم اعمال العناية الالهية من الخليقة الى نهاية كل شيءٍ وذلك لاعلان جودة وحكمة مدبِّر الكل الجليل. وليت شعري هل وُجد لاحد التواريخ

المتعارفة كتبة مثل كتبة العهد القديم الذين قدّموا آيات وشهادات واضحة تدل على انهم انبياء الله العلي وملهمون منهُ . ومع انها تواريخ اخبارية نراها تتضمن حوادث عظيمة من اعمال العناية الالهية التي نتعلم منها كيف كان الله يجري عمل الفداء العظيم من جيل الى جيل . ونستفيد منها تعاليم الهية جليلة وامورًا أُخر كثيرة تشير الى المسيح وانجيلهِ الطاهر نظير سائر الاسفار المقدسة على حدٍّ سوى

واما الاعتراض بان جميع الشعوب من عادتهم ان يكتبوا تواريخ ويحفظوا اخبار الحروب والوقائع التي تجري في بلادهم عوضًا عن كونهِ برهانًا بان الجزء التاريخي من الكتب الالهية ليس هو كلام الله يكون برهانًا راسخًا لاثبات ذلك لانهُ اذا كان نور الطبيعة يرشد جميع الشعوب المتمدنين الى كتابة تواريخ ملوكهم واعمالهم لكي يكون ذلك معروفًا عند الآخرين فبالاولى ان الله يعطي العالم اخبارًا عن اعمال حكمهِ الذي هو بلا شك اكثر استحقاقًا بما لا يقدَّر للتاريخ لكي يكون معروفًا عندنا . واذا كان الملوك الحكماء يعتنون بكتابة تواريخ صحيحة عن الشعوب الذين تحت ولايتهم أفلا يصدَّق ان الرب يسوع المسيح يعتني بان كنيستهُ التي هي مملكتهُ وشعبهُ الخاص يكون لهم تاريخ خصوصي صحيح عن احوالهم وعن سياستهِ لهم

ولا ريب اننا لولا تاريخ العهد القديم كنا نجهل امورًا كثيرة تحتاج كنيسة المسيح الى معرفتها . اننا لم نكن نعرف ماذا عمل الله نحو الجنس البشري ونحو كنيستهِ منذ الابتداء ولا نعلم شيئًا عن خليقة العالم وسقوط الانسان وتدابير نعمة الله الخصوصية نحو جنسنا البشري الساقط ولم نكن نعرف كيف اقام الله في الابتداء كنيستهُ في العالم وحفظها وساسها . ولا كيف ابتدأ نور الانجيل يشرق ثم ازداد شيئًا فشيئًا في العالم . ولا كيف كانت الامور تستعدُّ لمجيء المسيح

ولا يخفى اننا اذا كنا مسيحيين نختص ببناء الله هذا العظيم ولولا تاريخ العهد القديم لم نكن نعرف لماذا اخذ الله اولاً في هذا البناء ولا كيف وضع اساسهُ ولا كيف حصل فيهِ التقدُّم منذ الابتداء . ولا سيما بما ان العهد القديم يتكلم عن

بعض ازمنة لا يوجد لها ذكر في التواريخ الاخرى . ولهذا لو لم يحفظ الله تاريخ حوادث تلك الازمنة في كلامهِ لما وجد عندنا شيء من ذلك

رابعًا اننا مما نقدَّم ذكرهُ نرى كثيرًا من حكمة الله في تركيب كتب العهد القديم . ولاجل ايضاح ذلك نذكر بعضًا من اجزائهِ والاضطرار اليها

فاننا لابد ان نحتاج مثلاً الى خبرٍ عن خليقة العالم ووجود ابوينا الاولين وحالتهما الاصلية . وعن السقوط . وعن زيغ العالم وفسادهِ . وعن الطوفان العام واصل الشعوب بعد هلاك العالم بواسطتهِ

ونحتاج ايضًا الى تاريخ كنيسة الله منذ انشائها الى الآن . فان الله قد سمح ان الفساد يعمُّ جميع الناس واختار لنفسهِ امةً واحدة من بينهم شعبًا لهُ لكي تحافظ على العبادة والديانة الحقيقية الى ان يجيء مخلص العالم وبواسطة هذا الشعب اعدَّ العالم شيئًا فشيئًا لقبول النور العظيم للامور السامية التي كانت عتيدةً ان تتمَّ بهِ . وهكذا كان شعبًا رمزيًّا قد اشار الله بواسطتهِ كانهُ تحت حجابٍ الى جميع امجاد الانجيل المستقبلة وعلم بها . ولا تخفى شدَّة الاضطرار الى تاريخٍ يخبرنا عن جميع ذلك وكيف جرى اولاً بدعوة ابرهيم ثم بعبودية نسلهِ في مصر وكيف اخرجهم الله منها واتى بهم الى ارض كنعان . ولا ريب اننا نحتاج ايضًا الى تاريخٍ يخبرنا كيف اعلن الله نفسهُ لهذا الشعب حين اعطاهم الشريعة وطقوس عبادتهم التي هي رمزٌ للانجيل وكيف رتبهم من جهة الاحكام والديانة وغير ذلك

ويلزمنا ايضًا ان نعرف هل اتوا بالحقيقة الى ارض كنعان التي وعدهم الله بها واين سكنوا دائمًا . وان يكون عندنا تاريخ خلافة كنيسة اسرائيل واعمال العناية الالهية نحوهم ومجدهم الخارجيُّ الموعود بهِ في ايام داود وسليمان . واخبار خصوصية مدققة عن داود الذي تاريخهُ مشحون من عبارات الانجيل والذي بهِ ابتدأت قبيلة ملوكهم . وعن بناء الهيكل الذي كان ايضًا مملوءًا من رموز الانجيل واسرارهِ

ويفيدنا ايضاً ان يكون عندنا خبر انفصال اسرائيل عن يهوذا وسبي الاسباط العشرة وطرحهم بالكلية . وبالتالي تاريخ مختصر عنهم الى ذلك الوقت. وان يكون في ايدينا خبر عن خلافة ملوك يهوذا والكنيسة الى سبي بابل . وعن رجوعهم من السبي وتوطنهم ثانيةً في بلادهم . وعن احوال الكنيسة الاخيرة قبل مجيء المسيح

ويفيدنا ايضا ان يكون عندنا في النبوة خبرٌ عن اعمال الله العظيمة بعد تمام التاريخ الالهي الامر الذي اقام الله لاجلهِ انبياء تنبأوا عن ابن الله وعن مجد ملكوتهِ . وكانوا كسبّاقٍ لهُ لاجل تسهيل الطريق امامهُ

ومن اللازم ايضاً ان يكون للكنيسة كتاب ترنيمات الهية موحًى بهِ من الله بكلام مملوء من روح العبادة والايمان والرجاء وهبة الله والفرح والخضوع والتواضع والطاعة والتوبة وما اشبه ذلك كما في المزامير. وان يكون لنا ايضاً كتاب من الله يتضمن تعاليم ادبية كسفر الامثال وسفر الجامعة فانهما يحتويان قوانين الحكمة الحقيقية والفطنة الادبية وهذه القوانين تساعدنا على التصرف في جميع المصالح والاحوال . وان يكون عندنا ايضاً اناشيد في المحبة العظيمة التي بين المسيح وعروسهِ الكنيسة مناسبة للعواطف المقدسة التي توجد في نفس المسيحي الحقيقي نحو المسيح وتدل على نعمتهِ ومحبتهِ العجيبة نحو شعبهِ كما في نشيد الاناشيد . ونحتاج ايضاً الى كتابٍ يعلمنا كيف نتصرف تحت التجارب والمحن لاننا نرى ان كنيسة الله هنا في حالة الحرب وان شعبهُ تعالى لا يدخل ملكوتهُ الاَّ بشدائد وبلايا كثيرة . ومن ثمَّ اعطانا الله اوفق الكتب لهذه الاغراض وهو سفر ايوب . وهذا السفر مع انهُ كُتب عند وقوع التجارب على بارٍّ مخصوص اعني ايوب ربما أُعطي اولاً للكنيسة في مصر عند وقوعها تحت الشدائد هناك . ونرى يعقوب الرسول يستعين بهِ في تعزية المسيحيين تحت الاضطهاد عند قولهِ قد سمعتم بصبر ايوب ورايتم عاقبة الرب لان الرب كثير الرحمة ورؤوف ٥ : ١١ . وقد اعتنى الله بحكمتهِ في ايجاد هذا السفر لكي يبين لنا

كيف كان اعتقاد القدماء في الالهيات قبل اعطاء الشريعة

ومن هذا الكلام الوجيز يتضح ان كل جزء من العهد القديم مفيد جدًّا وضروري في الغاية وانهُ لا يمكن الاستغناء عن شيء منهُ او تركهُ من دون خسارة على الكنيسة. وذلك يبين لنا جليًّا عظم حكمة الله في ايجاد اسفار الكتب المقدسة جميعها كما هي الآن

وقبل ان ننتقل من هذا الباب نقول انهُ لا يخفى ان تاريخ العهد القديم كبير ومدقَّق في المواضيع التي فيها الاعمال تتجه الى عمل الفداء والرمز عن المسيح واعداد الطريق لورودهِ . ولذلك نراهُ يطيل الكلام في تاريخ ابرهيم والآباء الآخرين ولكن يختصر كثيرًا في تاريخ بني اسرائيل وهم في مصر. ويتوسع في تاريخ انقاذهم من مصر وترتيب مصالح كنيسة اليهود وشعبهم في ايام موسى ويشوع ولكن يختصر في ايام القضاة . وكذلك يتكلم كثيرًا عن ايام داود وسليمان ولكن يوجز الكلام في تاريخ خلفائهما

خامسًا انهُ ما تقدم نرى ان المسيح وفداءهُ هما الموضوع العظيم لجميع الكتاب المقدس . نظرًا الى العهد الجديد وذلك واضح . ونظرًا الى العهد القديم فذلك يبان مما تقدم لان المسيح وفداءهُ هما الموضوع العظيم للنبوات والتسابيح التي فيهِ كما تقدم . والسنن والفرائض الادبية قد أُعطيت جميعها لكي تكون خاضعة لهُ . وهما الموضوع العظيم ايضًا لتاريخ العهد القديم من بدايتهِ الى نهايتهِ حتى ان تاريخ الخليقة كان كمقدمة لتاريخ الفداء الذي اتى حالاً بعدهُ . وجميع الكتاب القديم والجديد مملوء من الانجيل غير ان القديم يتضمن الانجيل مستترًا تحت حجاب والجديد يتضمنهُ مكشوفًا ظاهرًا لكي يمكننا بذلك ان نرى مجد الرب بوجوهٍ مسفرة

سادسًا انهُ مما تقدم نرى فائدة العهد القديم وفضلهُ. فان البعض ينظرون اليهِ كانهُ قد عتق وكانوا في ايام الانجيل هم لا نحتاج اليهِ الاَّ قليلاً . ولا ريب ان ذلك غلط فاحش ناتج من الغفلة عن ملاحظة العهد القديم ومقاصدهِ. ولو

لاحظنا ذلك لكنا نراهُ مملوءًا من انجيل المسيح موضحًا ومثبتًا بطريقة عجيبة تعاليم العهد الجديد ومواعيدهُ السعيدة والاجزاء التي يتراءى للناظر كانها تحتوي على قليل من التعليم الالهي هي معادن وكنوز معرفة انجيلية غير ان العلة في هذا التوهم هي عدم التعمق في قراءتها لان هولاء كانهم ينظرون الى سطح الارض ووجهها فيحكمون بديهًا انهُ لا يوجد فيها شيء لانهم لا يحفرون عميقًا ولو حفروا لوجدوها مملوءة من النفائس التي هي افضل من الذهب والفضة. وبذلك يحصلون على جزاء عظيم لاتعابهم

سابعًا ان ما تقدم يبين لنا كيف ان اكثر الناس يستحقون الملامة على قراءتهم الكتب المقدسة من دون اصغاء ولا اعتبار. فان هذه الكتب اوسع كتب العالم واكثرها فوائد ووقائع ولكن ماذا ينفعنا ذلك اذا قرأناها من دون ملاحظة مقاصد الروح القدس فيها. وصاحب المزامير يصلي الى الله لكي يكشف عن عينيهِ فيرى عجائب من شريعتهِ مز ١١٩: ١٨. ولا ريب ان الكتاب المقدس مملوء من الامور العجيبة. فان التواريخ التي نقرأها في اكثر الاوقات كانها فقط اخبار اناس مخصوصين كتاريخ ابرهيم واسحق ويعقوب ويوسف وراعوث ويشوع والقضاة وداود وروساء اليهود هي تواريخ امور اعظم واهم جدًّا من ذلك

ومرارًا كثيرة نقرأُ التواريخ الالهية كانها لم تُكتب الاَّ لاجل التسلية والنزهة فقط ونقرأُ من دون التفات الى الامور العظيمة المتضمنة فيها. فمن كان عندهُ الكتاب المقدس ولا يلاحظ ما فيهِ من الفوائد يشبه انسانًا عندهُ صندوق ذهب او فضة وهو لا يعلم ما فيهِ فلا ينتفع بكنوزهِ ولذلك لا فرق اذا لم يكن عندهُ. ومن كان في بيتهِ اطعمة فاخرة مخزونة وهو لا يعلم بها فانهُ لا يذوق مما عندهُ ابدًا وربما يموت جوعًا كأن بيتهُ فارغٌ منها

ثامنًا ان ما تقدَّم يبين لنا عظمة يسوع المسيح نظرًا الى عظمة الاستعداد لاستقبالهِ. فان الله كان يعدُّ لهُ الطريق في جميع الاجيال منذ البدء. فلو

بلغنا ان رجلاً غريباً يأتي عن قريب الى بلادٍ ورأينا استعدادا عظيماً لقبولهِ بتغيُّر في احوال جميع البلاد واشتغال كثيرين بذلك من المشاهير ايضاً حتى ان جميع مصالح تلك البلاد ومهماتها صارت بجملتها متأهبة لاستقبالهِ وقبولهِ فلا بد ان يخامر افكارنا ان هذا الشخص من ذوي العظمة والاعتبار وانهُ قادمٌ لقضاء حاجةٍ مهمة في الغاية . واذا كان ذلك كذلك فكم يكون عظيماً ذلك الشخص الذي اشتغل الله العظيم اله السماء والارض اربعة آلاف سنة في اعداد الطريق لمجيئهِ فانهُ حالما خلق العالم كان جيلاً بعد جيل يعمل اعمالاً عظيمة ويصنع آيات ويجترح معجزاتٍ لا تُحصى ومرارا كان يقلب العالم تأهباً لهُ . وبالحقيقة انهُ يجب ان يكون شخصاً عظيماً عجيباً والعمل الذي جاء لاجلهِ يجب ان يكون عملاً ساميًا عظيماً في الغاية

ان متى الانجيلي يخبرنا انهُ عندما كان المسيح آتياً الى اورشليم وقطع الناس سعف النخل وكانوا يمشون قدامهُ ويفرشون ثيابهم في الطريق ويصرخون أُوصنَّا لابن داود ارتجَّت المدينة كلها قائلةً من هذا مت ٢١ : ٨ الى ١٠ . فانهم كانوا يتعجبون مفتكرين من هو هذا الشخص العظيم الذي صار لهُ كل هذا الاستعداد والاحتفال . ونحن لو اعتبرنا الامور العظيمة التي عُملت في جميع الاجيال لاجل اعداد الطريق لمجيء المسيح وكيف ان العالم حصل مراراً كثيرة على تقلباتٍ عظيمة من اجلهِ لكنَّا بالاولى نصرخ قائلين من هو هذا من هذا الرجل العظيم ونقول مع صاحب المزامير من هو هذا ملك المجد مز ٢٤ : ٨ و ١٠ حتى ان الله يبدي نحوهُ هذا الاكرام والاعتبار . وبالحقيقة انهُ مكرمٌ لديهِ ومحبوب منهُ جدًّا وحقًّا ان العمل الذي أُرسل لاجلهِ عملٌ

عظيمٌ جدًّا

العقبة الثانية

من تجسد المسيح الى قيامتهِ

اذ قد بيّنّا كيفية اجراء عمل الفداء في العقبة الاولى من سقوط الانسان الى تجسد المسيح نتقدم الآن الى العقبة الثانية اي زمان انضاع المسيح له المجد وهو المدة التي من تجسدهِ الى قيامتهِ . ان هذه المدة اكثر اعتباراً من سائر المدّات . ومع انها لم تجاوز الثلاثين سنة الاّ قليلاً قد حدث فيها اكثر مما كان منذ ابتداء العالم الى ذلك الوقت . وقد ذكرنا فيما مضى ان جميع الحوادث التي حدثت منذ السقوط الى تجسد المسيح انما كانت استعداداً لما فعل في هذه المدة . حتى اننا نقول ايضاً ان ما حدث قبل ابتداء الزمان في علم الاقانيم الثلاثة من اللاهوت كان يلاحظ بنوعٍ خصوصي هذه العقبة . ومن ثمّ نتقدم الى النظر في القضية الثانية وهي

ان شراء الفداء قد تمّ في مدة انضاع المسيح من تجسدهِ الى قيامتهِ

ومع انهُ كان قد فُعِل افعالٌ كثيرةٌ في عمل الفداء وقُدِّم آلافٌ كثيرة من من الذبائح لم يُفعَل شيءٌ لشراء الفداء قبل تجسد المسيح . فلم يشترَ شيءٌ ولا قُدِّم شيءٌ من الثمن الى هذا الوقت . ولكن حالما تجسد المسيح ابتدأ الشراء وجميع وقت انضاع المسيح من ابتدائهِ الى الصباح الذي قام فيهِ من الاموات قد صُرِف في هذا الشراء وحينئذٍ كمل الفداء بالكلية الى الابد في نفس الدقيقة التي فيها خرج المسيح من تحت سلطة الموت . دُفِع آخر فلسٍ من ثمن الخلاص لكل واحدٍ

من المفديين الذين افتداهم

ولكن لاجل ايضاح الامور العظيمة التي عملها المسيح فادينا لكي يشتري لنا الفداء نتكلم عن تجسدهِ الذي جعلهُ وسيلةً لهذا الشراء وعن هذا الشراء نفسهِ. وقد قسمنا الكلام في ذلك الى فصلين كما سيأتي

الفصل الاول

في تجسد المسيح

ان المسيح قد تجسد فصار انسانًا لكي يكون في حالةٍ موافقة لاتمام عمل الفداء للناس. لانهُ ولو كان بحسبما هو الهٌ قادرًا على هذا العمل الاَّ انهُ لكي يكون مناسبًا لاجرائهِ اقتضى الحال ان يكون ليس الهًا فقط بل انسانًا ايضًا. اذ لو بقي المسيح في طبيعتهِ الالهية فقط لم يكن في حالةٍ موافقة لشراء الخلاص لنا. وذلك ليس لانهُ يوجد نقص او عجز في الطبيعة الالهية بل لاجل ذات كاملها المطلق غير المحدود. فان الطبيعة الالهية غير قابلة للآلام لانها فوق جميع الآلام ولا قادرة على طاعة الشريعة المعطاة للانسان لان الاله المحض لا يمكن ان يخضع للشريعة التي أُعطيت للانسان ولا يحتمل قصاص الانسان

وقد كان من اللازم لا ان المسيح يتخذ لنفسهِ طبيعةً مخلوقةً فقط بل ان يأخذ طبيعتنا البشرية بعينها. فلم يكن كافيًا ان المسيح يصير ملاكًا ولا ان يطيع ويتألم بطبيعة ملائكية بل وجب ان يصير انسانًا لثلاثة اسباب نذكرها فنقول

اولاً قد كان من الضروري لاجل اتمام الشريعة ان نفس الطبيعة التي

أُعطيت لها الشريعة تطيعها. فان شريعة الانسان لا يمكن اتمامها بطاعة اخرى. وقد حكم الله ان الشريعة التي اعطيت للانسان تجب طاعتها من طبيعة الانسان والاَّ فلا تكون مقبولة بدل طاعتهِ. وقولهُ تعالى لا تاكل منها الى آخرهِ يتجه الى الانسان في الطبيعة البشرية. ولهذا تلتزم الطبيعة البشرية بتكميلهِ

ثانيًا قد كان ضروريًّا لاجل اتمام الشريعة ان الطبيعة التي اخطأت هي تموت. ولا ريب ان قولهُ تعالى موتًا تموت يتجه الى الطبيعة البشرية. والطبيعة التي وقع عليها النهي هي نفس الطبيعة التي اتجه اليها التهدُّد كما لا يخفى

ثالثًا قد استحسن الله ان نفس العالم الذي كان ميدان سقوط الانسان يكون هو ايضًا ميدان فدائهِ. والكتب المقدسة تعلمنا في اماكن كثيرة ان المسيح جاء الى العالم لكي يخلص الخطاة وان الله ارسلهُ الى العالم لاجل هذه الغاية. فمن اللازم انهُ يأتي الى هذا العالم الاثيم الشقي الهالك لكي يفتديهُ ويخلصهُ. ولاجل ابراء الانسان كان من الواجب انهُ ينزل الى الانسان في مكان اقامتهِ لكي يسكن معهُ كما قال يوحنا الكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا يو ١ : ١٤

ولا بد في الكلام عن تجسد المسيح من ذكر ما سيأتي

اولاً من جهة نفس التجسد ينبغي ان نلاحظ امرين على الخصوص احدهما الحَبل بهِ الذي كان في مستودَع واحدةٍ من الجنس البشري وقد صار بهِ ابن الانسان حقًّا كما دُعي مرارًا كثيرة وكان من نسل آدم ابنًا لابرهيم وابن داود حسب وعد الله. غير ان هذا الحبل لم يكن كمألوف العادة بل بقوة الروح القدس. وهكذا كان ابن امرأةٍ ولكن لا ابن رجل. فكان زرع امرأةٍ وابن عراء لم يعرفها رجلٌ قط

والثاني ولادتهُ. ومع ان الحبل بهِ كان فائق الطبيعة كانت طبيعتهُ البشرية بعد الحبل تنمو شيئًا فشيئًا في مستودع العذراء حسب مجرى الطبيعة الى ان كملت. وهكذا كانت ولادتهُ كجاري العادة في غيرهِ ولكن بما ان الحبل

بهِ كان فائق الطبيعة بقوة الروح القدس حُبل بهِ وولد من دون خطية

ثانيًا ان الامر الثاني الذي اردت ان اذكرهُ مما يتعلق بتجسد المسيح هو ملء الزمان الذي تمَّ فيهِ. فانهُ قد حدث بعد ما كانت الاشياء تستعد لهُ منذ سقوط الانسان وعند ما كانت جميع الاشياء مستعدة لهُ في الزمان الذي وجدتهُ الحكمة الالهية اوفق الازمنة. وعلى ذلك يقول الرسول فلما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنهُ مولودًا من امرأة مولودًا تحت الناموس غل ٤:٤

فالزمان الذي تجسَّد كلمة الله فيهِ هو انسب الازمنة من كل وجهٍ. ولم يكن زمان قبل الطوفان مناسبًا مثل هذا لانهُ في ذلك الزمان لم يكن الضرر والخراب الذي جلبهُ السقوط على الجنس البشري معروفًا بهذا المقدار واللعنة لم تلحق الارض لحاقًا تامًّا قبل الطوفان بمقدار ما كانت بعدهُ. لانهُ وان كانت الارض قد وقعت تحت لعنةٍ عظيمة قبل ذاك الاَّ ان الله قد قضى بحكمتهِ ان اللعنة تأخذ مفعولها مرةً قبل اصلاح كل شيء بالمسيح بواسطة خرابٍ عمومي تتغير بهِ هيئة الارض لكي تظهر نتائج السقوط الرديئة قبل حصول الاصلاح. فان البشر ولو كانوا مائتين قبل الطوفان قد كانت حياتهم نحو الف سنةٍ. وذلك نوعٌ من عدم الموت بالنسبة الى حياة الانسان في هذه الايام. وقد سرَّ الله ان هذه اللعنة الصادرة بقولهِ انت ترابٌ والى التراب تعود تأخذ مفعولها بالتمام في بني البشر قبل ان جاء الفادي لكي يشتري لهم حياةً لانهاية لها

وكذلك لم يكن مجيء المسيح قبل موسى مناسبًا بهذا المقدار. لان الناس الى ذلك الوقت لم يكونوا قد زاغوا بوجه العموم عن الاله الحقيقي ولم يكونوا باجمعهم قد سقطوا في ظلمة الاوثان. ومن ثمَّ لم تكن الحاجة الى المسيح نور العالم داعيةً بهذا المقدار. وكذلك نتائج السقوط الفظيعة نظرًا الى ميتونة الانسان لم تكن قد ظهرت جليًّا الى ذلك الوقت لان حياة الانسان لم تصل الى حدّها الحاضر الآن من القصر الاَّ بالقرب من زمان موسى

وقد كان الانسب ان زمان مجيء المسيح يتأخر الى ان يكون جميع القبائل

ما عدا بني اسرائيل قد صار لهم مدة طويلة يتقلبون في ظلام عبادة الاوثان لكي يظهر بطول المدة ان سقمهم عضالٌ غير قابل الشفاء فيبان بذلك الاحتياجُ الشديد الى الطبيب السموي

وربما كان من جملة الاسباب لعدم مجيء المسيح حالاً بعد الطوفان انهُ اراد ان تمتلئ الارض من الناس لكي يكون لهُ مملكة اوسع فيذيع مجد مفاعيل نورهِ وقوتهِ ونعمتهِ ولكي تكون غلبتهُ على الشيطان امجد بواسطة كثرة انتصاراتهِ. وقد كان من المقتضى ان مجيء المسيح يكون بعد موسى باجيال كثيرة لكي تكون الكنيسة مستعدة لهُ بواسطة الرموز والنبوات عنهُ والانتظار لهُ مدةً طويلة . ولم يكن مناسبًا ان يأتي قبل سبي بابل لان مملكة الشيطان لم تكن حينئذٍ قد بلغت الى اعلى درجةٍ من عظمتها لان ممالك الوثنيين كانت قبل ذلك صغيرة. ولكن الله استحسن ان يأتي المسيح في زمان واحدةٍ من الممالك الاربع العظام. وكذلك لم يكن مناسبًا ان يأتي في زمان مملكة بابل او فارس او اليونان بل في زمان المملكة الرومانية اعظم الممالك واقواها التي كانت هي مملكة الشيطان المنظورة في العالم لكي يكون بغلبتهِ على مدة قد غلب ظاهرًا على مملكة الشيطان في اعظم اقتدارها ومجدها

ولم يكن مناسبًا ان يأتي المسيح قبل سبي بابل لانهُ قبل ذلك لم يكن عندنا تاريخٌ عن حال الوثنيين نطّلع منهُ على الاحتياج الى مخلص وفضلاً عن ذلك ان العلوم لم تكن منتشرة في تلك الايام ولهذا لم يظهر بالكفاية قصور العلماء والحكماء عن اصلاح الجنس البشري وخلاصهِ بواسطة حكمتهم وآدابهم . وايضًا لم يكن تبدد اليهود في العالم. ولم يكن ظاهرًا اقتضاء تبطيل الترتيبات اليهودية في ذلك الوقت كما كان بعد تبدد اليهود. ويوجد امورٌ اخرى كثيرة يمكننا ايرادها لكي نثبت ان وقت مجيء المسيح كان انسب الاوقات وافضلها لظهورهِ لكننا اعرضنا عنها استغناء بما ذكرناهُ

ثالثًا انهُ مما يستحق الاعتبار بالنظر الى تجسد المسيح هو عظمة هذا الامر لانهُ

اعظم جميع الحوادث السالفة واعجبها حتى انهُ اعظم من ابداع الكائنات الذي هو امرٌ عظيمٌ في الغاية باعتبار ايجادهِ المخلوقات من العدم ولكن صيرورة الخالق نفسهِ خليقةً في التجسد هو اعظم من ذلك بما لا يحدُّ

رابعًا ما اذكرهُ هنا كيفية تجسدهِ او ظروف الامور العجيبة . فانهُ لهُ المجد وُلد من عذراء نقية طاهرة لكنها فقيرة كما يظهر مما قدَّمتهُ عند تطهيرها كما بيان من قولهِ لكي يقدموا ذبيحةً كما قيل في ناموس الرب زوج يمام او فرخي حمام لو ٢ : ٢٤ وقولهُ كما قيل في ناموس الرب اشارةٌ الى قولهِ تعالى وان لم تَنَل يدها كفاية لشاةٍ تأخذ يمامتين او فرخي حمام لا ١٢ : ٨ . وهذه العذراء الفقيرة كانت مخطوبةً لرجلٍ فقير ايضًا . ومع انهما كانا كلاهما من عائلة داود الملوكية التي كانت اشرف العيال وكان يوسف وارثًا صحيحًا للملك كانت عائلتها قد انحطت عن درجة كرامتها وصارت في حالةٍ دنيئة . وقد اشار النبي الى ذلك بسقوط خيمة داود عند قولهِ في ذلك اليوم اقيم مظلَّة داود الساقطة واحصّن شقوقها واقيم ردمها وابنيها كايام الدهر عا ٩ : ١١

وقد كانت ولادتهُ لهُ المجد في قرية بيت لحم حسبما تنبأت عنهُ الانبياء مي ٥ : ٢ . وما اعظم العمل الذي عملهُ الله بعنايتهِ الخصوصية لاجل اتمام هذه النبوة وهو تحريكهُ اوغسطس قيصر الى كتابة جميع المسكونة . كل واحدٍ في مدينتهِ لوقا ص ٢ ويخبرنا الانجيلي انهُ وُلد في حالةٍ دنيئة في اسطبل ووُضع في مذود

خامسًا مما يليق ذكرهُ هنا ما حدث عند ولادتهِ لهُ المجد وذلك كما سيرد بيانهُ

اولاً رجوع الروح القدس . وقد سبق الكلام ان روح النبوة كان قد بطل بعد ملاخي بزمانٍ يسير وحينئذٍ بطلت ايضًا الرؤيا والوحي . واما الآن فقد أُعطي ذلك جديدًا ورجع الروح الذي هو مصدر هذه الاعمال . فظهر اولاً لزكريا ابي يوحنا المعمدان لوص ١ ثم لمريم العذراء ثم ليوسف مت ص ١ ثم لايصابات لو ١ : ٤١ . ثم لمريم العذراء ايضًا كما بيان من تسبيحتها لو ١ : ٤٦ . ثم

لزكريا ايضاً ع ٦٤ ثم للرعاة لو ٢: ٩ ثم لسمعان الشيخ ثم لحنة النبية لو ٢: ٢٥ و٣٦ ثم للمجوس في المشرق ثم ليوسف ايضاً عند هربهِ الى مصر وعند رجوعهِ منها

ثانياً الفرح العظيم الذي حصل بسببهِ في السماء وعلى الارض . وفرح اهل السماء بهِ يظهر من تسابيحهم المسموعة من الرعاة ليلاً . ولا ريب ان هذا الامر هو اعظم اعمال العناية الالهية التي اطّلعت عليها الملائكة . وكما انهم كانوا يرتلون تسابيح الشكر عند ما نظروا ابداع هذا العالم كما تعلمنا الكتب المقدسة بقولها عند ما ترنمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بني الله اي ٣٨: ٧ . هكذا كانوا يرنمون في ذلك الوقت الاعظم الذي وُلد فيهِ ابن الله خالق العالم

ان الملائكة كانوا دائماً ينتظرون هذا الوقت المبارك وكانوا قد اطّلعوا على النبوات والمواعيد المتعلقة بهذه الامور العظيمة لانهُ قيل عنهم انهم يشتهون ان يطّلعوا على امور عمل الفداء ١ بط ١: ١٢ وكانوا خدّاماً للمسيح في جميع اقسام هذا العمل المجيد منذ سقوط الانسان اي في اعمالهِ تعالى نحو ابرهيم ويعقوب وبني اسرائيل . ولا شك انهم كانوا منذ زمان طويل في انتظار المسيح حتى نظروهُ وفرحوا فرحاً عظيماً وسجدوا لله ومجدوهُ لاجلهِ

ثم انهُ قبل ميلاد المسيح قد حصل فرح لسببهِ عند اليصابات ومريم العذراء حتى عند يوحنا المعمدان قبل ولادتهِ حين ارتكض مبتهجاً في بطن امهِ لما سلمت عليها مريم لو ١: ٤٤ . وان مريم واليصابات فرحنا فرحاً عظيماً ومجّدتا الله اذ كانتا مملوءتين من الروح القدس وكانت احداها عتيدة ان تكون ام المسيح والاخرى ام سابقهِ . والفرح الذي حصل عند الرعاة يفوق الوصف وكذلك عند كثير من القديسين كزكريا وسمعان وحنة . وهكذا صار اتحاد واتفاق في كنيسة الله التي في السماء والتي على الارض في الفرح والتسابيح . وقد سرّ الله ان يجدد ابنهُ بتحريك المخلص قوماً من احكم الوثنيين ان يأتوا من بلاد بعيدة لكي يروهُ ويقدموا لهُ العبادة والهدايا عند ولادتهِ . وقد هداهم بكوكب

عجيب يشير الى ذلك الشخص المجيد الذي هو كوكب الصبح المنير. وكان ذلك الكوكب يتقدمهم قائدًا اياهم الى المكان الذي كان فيهِ الطفل المولود حديثًا. وقد ظنَّ قومٌ انهم اهتدوا اليهِ من نبوة بلعام الذي كان يسكن في الجهات الشرقية من الارض وقد تنبأ عن مجيء المسيح مشيرًا اليهِ بقولهِ ويبرز كوكب من يعقوب. ولعلهم انتبهوا لذلك بسبب الانتظار العمومي لهُ استدلالاً بالنبوات التي كانت عند اليهود وهم متبددون في جميع اقطار المسكونة

ثالثًا ختانتهُ. وسوف نتكلم عن ذلك في مكان الحق بهِ من هذا المكان

رابعًا دخولهُ الى الهيكل الثاني وهو طفلٌ عند تطهير امهِ مريم اتمامًا لقول النبي ويأتي مشتهى كل الامم واملأُ هذا البيت مجدًا حج ٢:٧. يريد بالبيت الهيكل. ولقول الآخر ويأتي بغتةً الى هيكلهِ السيد الذي تطلبونهُ وملاك العهد الذي تسرُّون بهِ مل ٣:١. وهذا اول مثال لكمال هاتين النبوتين

خامسًا زوال القضيب من يهوذا بموت هيرودس الكبير ولم يزُل القضيب من يهوذا بالتمام الى الآن. ولا ريب انهُ قد ضعف سلطان يهوذا عند انفراد الاسباط العشرة في ايام يربعام وزوال القضيب من اسرائيل او افرايم لما سبي شلمناصر الاسباط العشرة ولكنهُ بقي في سبط يهوذا على يد ملوك بيت داود. وعندما سبي بختنصر ملك اشور سبط يهوذا وسبط بنيامين زال القضيب من يهوذا زمنًا يسيرًا الى ان رجعوا من السبي في ايام كورش. ومع انهم لم يكونوا يؤدُّون الخراج لملوك فارس كان حاكمهم واحدًا منهم وكان في يدهِ سلطان الموت والحياة وكان حكمهم بموجب شرائعهم الخصوصية. ومن ثمَّ كان ليهوذا في مدة ولاية الفرس واليونان مشترعٌ من بين رجليهِ. وكذلك في اواخر مملكة اليونان كان اليهود تحت ملوك من نسلهم نحو مئة سنة وهم المكابيون. وبعد ذلك خضعوا للرومانيين. ولكن هولاء اجازوا لهم ان يحكموا بحسب شرائعهم وان يكون عليهم ملك منهم هيرودس الكبير الذي ملك نحو اربعين سنة بسطوة ملكية. ولكن بعد ولادة المسيح بمدة يسيرة توفي هذا الملك كما يخبرنا متى

الانجيلي ١٩:٢ وتخلف بعدهُ ارخيلاوس ولكن ما مضى الاَّ مدة يسيرة حتى خلعهُ ملك الرومانيين . وحينئذٍ زال القضيب الزمني من يهوذا ولم يخرج بعد ذلك ملوك يتولون على شعب اليهود وصار الشعب تحت حكم قوَّادٍ من الرومانيين وبذلك فرغت يد اليهود من سلطان الموت والحياة كما يتضح من قولهم لبيلاطس القائد الروماني لا يجوز لنا ان نقتل احداً يو ١٨: ٣١ . فقد رأينا انهُ حالما اتى شيلون زال القضيب من يهوذا

الفصل الثاني

في شراء الفداء

اذ قد تكلمنا عن مجيء المسيح الى العالم واتخاذهِ طبيعتنا البشرية لكي يكون في حالةٍ موافقة لشراء الفداء نأخذ الآن في الكلام عن المراد بشراء الفداء والاشياء التي تمَّ الشراء بواسطتها ثم نذكر على الخصوص ما عملهُ المسيح واحتملهُ لاجل هذا الشراء

اولاً في الشراء

ان شراء الفداء قد تمَّ بواسطة الثمن المدفوع من المسيح الذي بكمل امرين اي بفي دَيننا وفاء تامًّا ثم بواسطة قيمتهِ في ذاتهِ وبموجب الاتفاق بين الآب والابن يعطينا رجاء في السعادة . فوفاء المسيح من شانهِ ان يعتقنا من الشقاوة واما استحقاقهُ فمن شأنهِ ان يشتري لنا السعادة

فلنسأل اولاً عن الاعمال التي عملها المسيح في شراء الفداء لاجل الانسان ثم

بعد ذلك عن الآلام التي احتملها ايضاً لاجل ذلك

ان هذه الاعمال تُقسم بالنظر الى الاوقات من حياتهِ التي قدمها فيها اي الوقت قبلما دخل على ممارسة وظيفتهِ جهاراً والوقت بعد ذلك

اولاً انهُ كان في صباهُ مطيعاً طاعة كاملة وكان يختلف بالكلية عن سائر الاولاد الذين حالما يبتدئون في العمل يبتدئون بالخطية والعصيان . لانهُ كان مطيعاً لوالديهِ الارضيين مع انهُ رئيس الجميع راجع لو ٢ : ٥١ وانهُ كان مباشراً عمل ابيهِ حتى في صغر سنهِ راجع لو ٢ : ٤٢ . وفي هذا العمر شرع في تكميل وظيفتهِ كوسيط كما اوصاهُ الآب . فانهُ بقي مدَّة ثلاثين سنة في الناصرة في بيت يوسف ابيهِ الشرعي حيث كان يخدم الله ويتعاطى صناعة اليد اي النجارة

ثانياً ما عملهُ بعد ظهورهِ وقد ابتدأ في ذلك وهو ابن ثلاثين سنة وبقي فيهِ ثلاث سنين وستة اشهر كمالة حياتهِ والانجيليون قد اشتغلوا في الاكثر في ذكر اخبار هذه المدة وعلى ذلك ترى كل تاريخ متى ما عدا الاصحاحين الاولين وكل تاريخ مرقس ويوحنا وكل تاريخ لوقا ما عدا الاصحاحين الاولين ايضاً وما عدا تاريخ يوحنا المعمدان مشتغلة في هذه القصة واول ظهور المسيح يُدعَى مراراً في الكتب المقدسة مجيئهُ ومن ثمَّ نرى يوحنا المعمدان يتكلم عن مجيء المسيح كانهُ امر مستقبل مع انهُ كان قد وُلد قبل ذلك بمدة طويلة

وما اذكرهُ عن خدمة المسيح المشتهرة هو

اولاً ان يوحنا المعمدان كان سابقاً لمجيء المسيح في عملهِ المشهر وهو قد اتى قبلهُ يكرز بالتوبة لمغفرة الخطايا لكي يسهّل الطريق لمجيئهِ كما تُنبئ عنهُ راجع اش ٤٠ : ٣ الى ٥ ومت ٣ : ٥ و٦ ويظنُّ ان يوحنا المعمدان ابتدأ في خدمتهِ قبل المسيح بنحو ثلاث سنين ونصف وعلى ذلك تكون جملة سني خدمة يوحنا وخدمة المسيح سبعاً وهي آخر الاسابيع المذكورة في دانيال بقولهِ ويثبت عهداً مع كثيرين في اسبوع واحد دا ٩ : ٢٧ . وفي هذا العدد نفسهِ يخبرنا دانيال ان المسيح يأتي في نصف هذا الاسبوع كما قد فعل وذلك بقولهِ وفي وسط الاسبوع يبطل

الذبيحة والفقدمة

وقد كان المقصود من خدمة يوحنا تنبيه الناس واقناعهم بانهم خطاة لكي يعدهم لمجيء المسيح ويعزيهم . وقد رافق الروح القدس خدمتهُ بفيضان عجيب حتي ان اهل اورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالاردن اعتمدوا منهُ في الاردن معترفين بخطاياهم وقد كان يوحنا اعظم الانبياء الذين ظهروا قبل المسيح كما يخبرنا الانجيلي بقولهِ انهُ بين المولودين من النساء ليس نبيٌّ اعظم من يوحنا المعمدان لو ٧:١٨ . هو كان ككوكب الصبح الذي هو رسول النهار ومبشر بقدوم الشمس ان الانبياء الآخرين كانوا نجوماً انارت في الليل ولكن عند ما دنا نهار الانجيل اختفت هذه النجوم والآن بما ان مجيء المسيح قد قرب اتى كوكب الصبح قدامهُ وهو اكثر ضياءً من سائر الكواكب وحينما اتى المسيح وتظاهر بين الناس في عملهِ قلَّ ايضاً نور كوكب الصبح هذا كما ان نور كوكب الصبح يقل عند اشراق نور الشمس وهكذا يقول يوحنا المعمدان عن نفسهِ ينبغي ان ذلك يزيد واني انا أنقص يو ٣:٣٠ . وبعد ما ابتدأ المسيح في خدمتهِ المشتهرة مدة قليلة قُتل يوحنا المعمدان كما ان كوكب الصبح يبقى ظاهراً بعد اشراق الشمس مدة قليلة ثم يختفي عاجلاً

ثانياً ان المسيح افتتح خدمتهُ المشتهرة باعتمادهِ الذي عقبتهُ التجربة في البرية وقد كان اعتمادهُ كانهُ تكريسهُ الموقَّر للدخول في عملهِ العظيم وقد كان مصحوباً بمسح الروح القدس اياهُ على طريق ظاهر اذ نزل عليهِ صوت من السماء يقول هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سررت مت ٣:١٦ و١٧ . وبعد ذلك أُخرج الى البرية ليجرَّب من ابليس فحاربهُ هذا الروح الخبيث حرباً شديدة في اول دخولهِ في عملهِ فامتحنت طاعتهُ امتحاناً عجيباً وغلب الذي فاز بالغلبة على آدم الاول ولم يكن شيء من ذلك عند امتحان آدم الثاني

ثالثاً من جهة اعمال المسيح التي عملها في مدة خدمتهِ المشتهرة نلاحظ ثلاثة امور وهي تبشيرهُ وعجائبهُ ودعوتهُ تلاميذهُ

الامر الاول تبشيرهُ بالانجيل ولا يخفى ان ذلك كان جانبًا عظيمًا من خدمتهِ المشتهرة وان جزءًا كبيرًا من طاعتهِ التي اشترى بها لنا الخلاص قد كان في تكلمهِ عن الامور التي امرهُ ابوهُ بها انهُ قد اعلن لنا ضمير الله وارادتهُ اعلانًا اوضح من جميع الاعلانات السابقة فانهُ قد اتى من حضن الآب وكان عالمًا جيدًا بافكارهِ عزَّ وجلَّ وكانت لهُ احسن الوسائط لاعلان ذلك وكما ان الشمس حالما تشرق تبتدئ تضيء كذلك المسيح حالما دخل في خدمتهِ المشتهرة ابتدأ ينير العالم بتعليمهِ وكما أُعطيت الشريعة على جبل سيناء اعطى المسيح تعاليمهُ الانجيلية مملوءة من البركات لا اللعنات للجمهور على جبلٍ راجع مت ص ٥ الى ٧

ان الكتاب المقدس يخبرنا ان المسيح عند تبشيرهِ لم يعلّم نظير الكتبة ولكن كان لهُ سلطان حتى ان السامعين تعجبوا من تعليمهِ وهو لم يعلن لنا ضمير الله وارادتهُ مثل الانبياء القائلين هكذا يقول الرب بل بقولهِ انا اقول لكم والحق الحق اقول لكم ونحو ذلك وقد كان يعلم بتعاليمهِ لا كانها تعاليم الله الآب وحدهُ بل كأنها تعاليمهُ هو والوصايا التي امر بها لم يوصِ بها كانها اوامر الله فقط كما كانت تفعل الانبياء بل كأنها اوامرهُ هو كما يظهر واضحًا من قولهِ هذه وصيتي وقولهُ انتم احبائي ان فعلتم ما اوصيكم بهِ يو ١٥: ١٢ و١٤

الامر الثاني العجائب التي عملها المسيح في خدمتهِ ويقتضي اننا نلاحظ عددها انها كانت كثيرة جدًّا لانهُ ما عدا العجائب الخصوصية يخبرنا الكتاب انهُ كان يأتي اليهِ جموعٌ كثيرة بامراض وعذابات مختلفة وهو كان يبرئهم جميعًا ثم ايضًا نلاحظ انها كانت اعمال رحمة فانها فضلاً عن اظهارها قدرتهُ وعظمتهُ غير المحدودة اعلنت ايضًا رحمتهُ وجودتهُ فانهُ لهُ المجد كان يجول يعمل الخير يشفي المرضى ويفتح اعين العمي وآذان الصم ويبرئ الخلعين والمقعدين ويشبع الجياع ويطهر البرص ويقيم الموتى

ثم ان اكثر عجائب المسيح مذكورة في العهد القديم كاعمال خاصة بالله نظير

تسكين البحر بقولهِ يهدئُ العاصفة فتسكن وتسكن امواجها مز ١٠٧ : ٢٩ . والمشي على البحر في قولهِ الباسط السموات وحدهُ والماشي على اعالي البحر اي ٩ : ٨ . واخراج الشياطين في قولهِ كسرتَ رؤوس التنانين على المياه مز ٧٤ : ١٣ . واشباع الجموع في البرية حيث قيل الذي اطعمك في البرية المن تث ٨ : ١٦ . والعلم بافكار الناس عند قولهِ فانهُ هوذا الذي صنع الجبال وخلق الريح واخبر الانسان ما هو فكرهُ الذي يجعل الفجر ظلامًا ويمشي على مشارف الارض يَهْوَه اله الجنود اسمهُ عا ٤ : ١٣ . واقامة الموتى في قولهِ وعند الرب السيد للموت مخارج مز ٦٨ : ٢٠ . وفتح عيون العميان حيث قيل الرب يفتح اعين العمي مز ١٤٦ : ٨ . وابراء المرضى في قولهِ الذي يشفي كل امراضكِ مز ١٠٣ : ٣

وقد كانت عجائبهُ بوجه العموم كانها رموز للعمل العظيم الذي جاء ليعملهُ في قلب الانسان تشير الى التطهير والشفاء والتجديد والقيامة الداخلية الروحية التي يفعلها في جميع بنيهِ المفديين

وقد فعل جميع هذه العجائب بقوتهِ وسلطانهِ بخلاف الانبياء الذين كانوا يعملون جميع عجائبهم باسم الرب واما هو فكان يعملها باسمهِ . ان موسى النبي قد حُرم من دخول ارض كنعان لانهُ ظهر من خطابهِ انهُ كان يدَّعي عمل العجوبة واحدة فقط . وفي ذلك كان عمل المسيح لعجائبهِ يختلف عن عمل الرسل العجائب كما يتضح من قولهِ اريد فاطهر مت ٨ : ٣ . ومن سوالهِ للاعميين أتؤمنان اني اقدر ان افعل هذا مت ٩ : ٢٨

ثالثًا مما عملهُ المسيح في مدة خدمتهِ المشهورة دعوتهُ لتلاميذهِ فانهُ دعا تلاميذ كثيرين واقامهم خدامًا لكلمتهِ فارسل مرةً سبعين منهم في عملهِ وجعل منهم اثني عشر رسلاً وهولاء كانوا انصار ملكوتهِ وكأنهم اثنا عشر اساسًا لكنيستهِ راجع رؤ ٢١ : ١٤ وقد كانوا الواسطة العظمى لقيام ملكوتهِ في العالم ولهذا سوف يجلسون على اثني عشر كرسيًا يدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر

رابعًا كيفية ختم المسيح لخدمتهِ . وذلك كان بواسطة النصائح الثمينة التي

اعطاها لتلاميذهِ ولكل من يصير تلميذاً لهُ كما هو مذكور على الخصوص في انجيل يوحنا ص ١٤ الى ١٦ وبواسطة ترتيبهِ عشية الرب تذكاراً سرياً لموتهِ التي تشير الى كسر جسدهِ وسفك دمهِ وبواسطة تقديمهِ نفسهُ ذبيحةً لله في آلامهِ الاخيرة وهو قد فعل ذلك كخادم الله وكاهن ممسوح منهُ كان ذلك اعظم اعمال خدمتهِ المشتهرة واعظم اعمال طاعتهِ التي بها اشترى السماء للمومنين ولا يخفى ان كهنة العهد القديم كانوا يعملون اعمالاً كثيرة كخدام لله واما اعظم اعمال خدمتهم فكان تقديم الذبائح على المذبح وهكذا كان اعظم اعمال المسيح ككاهن واعظم جميع اعمالهِ واعظم الاعمال مطلقاً في الكون تقديمهُ نفسهُ ذبيحةً لله ومن ذلك يظهر انهُ هو المرموز اليهِ بكل ما كان الكهنة جميعاً يعملونهُ في ذبائحهم وقرابينهم مطلقاً منذ ابتداء العالم

ثالثاً القسم الثالث في الاعمال التي اشترى بها المسيح الفداء ينظر فيهِ الى الفضائل التي اظهرها في هذه الاعمال وهي كل فضيلة ممكنة . انهُ يوجد بعض فضائل خصوصية تليق بالانسان الخاطئ ولا توجد في المسيح لا لانهُ ناقص في الفضائل ولكن لكون فضائلهِ كاملة من دون نقص . وذلك كفضيلة التوبة وانسحاق القلب من جراء الخطية وامانة النفس وانكار الشهوات . لان المسيح لم تكن لهُ خطية يندم عليها ولا شهوة يكفر بها . واما الفضائل التي لا تفترض وجود الخطية فقد كانت جميعها موجودةً فيهِ على اعلى درجة مما يوجد في الخليقة بوجه العموم . ولا يخفى ان الفضيلة الصحيحة تزيد اشراقاً كلما زادت امتحاناً ولم يكن لفضيلةٍ قط من الامتحان كما كان لفضيلة المسيح

ثم ان الفضائل التي مارسها المسيح في خدمتهِ هي على ثلاثة انحاء . فان منها ما يتعلق بالله ومنها ما يتعلق بهِ نفسهِ ومنها ما يتعلق بالناس

فالقسم الاول هو الفضائل المتعلقة على الخصوص بالله ان المسيح قد اظهر التقوى والاحترام نحو الله الآب . وقد تجرَّب المسيح من هذا القبيل اكثر مما سواهُ نظراً الى علو شانهِ . وهذه كانت تجربة الملائكة الذين سقطوا انهم يرفضون

عبادة الله واكرامهُ بناءً على كونهم من ذوي الجلال العظيم. ولكن المسيح كان اكثر اعتباراً وكرامةً منهم لانهُ ابن الاله الازلي المساوي لهُ في الجوهر. ولكن بما انهُ اخذ وظيفة وسيط واتحد بطبيعةٍ بشرية فكان مملوءًا من الاحترام لله. ثم انهُ ايضًا اظهر محبةً فائقة نحوهُ تعالى. نعم ان الملائكة يحبون الله محبةً عظيمة كما يشهد لهم بذلك دوامهم وسرعتهم في انفاذ مشيئتهِ عزَّ وجلَّ. وكذلك كثيرون من الابرار قد اظهروا محبةً عظيمة نحو الله وجعلوا برهانهم على ذلك جهادهم وآلامهم من اجل اسمهِ. ولكن لا يوجد خليقةٌ اعطت براهين على محبتها لله نظير البراهين التي اعطاها المسيح. لانهُ لم يجاهد احد جهاد محبةٍ نظير جهادهِ ولا احتمل احدٌ آلامًا بمقدار ما احتملهُ محبةً بالله. وقد اظهر ايضًا خضوعًا تامًّا عجيبًا لارادة الله ولم يُمتحن خضوع احد قط كما امتُحِن خضوعهُ. انهُ اظهر ايضًا الطاعة على مقدار عجيب

القسم الثاني الفضائل التي تتعلق بشخصهِ على الخصوص ومن ذلك التواضع والصبر واحتقار الدنيا. ومع انهُ اكرم واشرف جميع الخلائق كان اكثر تواضعًا منهم جميعًا. وقد فاق في تواضعهِ الناس والملائكة اجمعين وهو ارفع منهم في الجلال والكرامة. ولو كان المسيح قابلاً ان يجرَّب بالكبرياء لكان لا محالة تحت اقوى التجارب من هذا الوجه. ولا يخفى ان تجربة الملائكة الذين سقطوا كانت عظيمة طبيعتهم وشرف مقامهم. والمسيح كان اشرف منهم بغير قياس. وقد تشرفت طبيعة المسيح البشرية جدًّا باتحادها مع روح ابن الله الازلي المساوي لهُ في الذات. ولكن هذه الطبيعة لم تكن متكبرة. ان الانسان يسوع المسيح لم يفتخر متكبرًا بتهً على الاعمال العظيمة التي فعلها كابراء المرضى وتفتيح العميان واقامة المنعدين واحياء الموتى وهلمَّ جرًّا. وهو مع معرفتهِ بان الله قد اقامهُ ملكًا في السماء والارض على الناس والملائكة كما قال كل شيء قد دُفع اليَّ من ابي مت ١١: ٢٧. ومع معرفتهِ بعلو مقام شخصهِ حتى لم يحسب خلسةً ان يكون معادلاً لله ووارثًا ملكوت ابيهِ كان متواضعًا جدًّا حتى لم يستنكف من الذل

والهوان والآلام الكثيرة التي لم تصب احداً غيرهُ وصار اصغر الجميع ودون الجميع. ولا ريب ان الامتحان الصحيح للتواضع والدليل الشاهد عليهِ هو التنازل الى حالةٍ دنيئة ذليلة جداً وقبول الاهانة طوعاً عند اقتضاء الحال. واذا اعتبرنا العلو السامي الذي تنازل منهُ المسيح والهبوط العميق الذي تنازل اليهِ نرى انهُ لم يتنازل احدٌ قط بمقدار تنازلهِ. فانهُ قد تواضع حتى ارتضى ان يُوثَق كمجرم وان يهزأ بهِ ويكلَّل بالشوك ويلبس ثوب العار ويُصلَب كقاتل ولص ويُحسب كادنى الاشقياء والاشرار ويُعدُّ كمرذول من الله والناس وكمستوجب الموت عدلاً. مع علمهِ بانهُ يستحق كرامةً واعتباراً اكثر من اعظم ملوك الارض اضعافاً لا تحصى ومن الملائكة السمويين. وقد احتمل كل ذلك لا لاجل نفسهِ بل لاجل البعض من ادنى الناس واشدهم شرًّا حتى لاجل الاشرار الاشقياء الذين صلبوهُ. أَفما كان ذلك اعجب امثلة التواضع اذ خضع لهذا الذل العظيم واحتمل هذه الاهانات بقبولٍ واختيار تام. وكيف كان صبرهُ يثبت لائحًا تحت زعازع هذه الآلام المبرّحة التي كابدها حين كان كأصم لا يفتح فاهُ وكحمل يساق الى الذبح. وكم كان احتقارهُ شديداً لمجد هذا العالم حين ارتضى بالذل والآلام عوض الامجاد الخارجية التي تُعطَى لملوك هذه الدنيا مع ان الجموع قدَّموها لهُ مرارًا

القسم الثالث الفضائل المتعلقة بالناس على الخصوص. وهذه يمكن جمعها في امرين وهما الوداعة والمحبة

ان وداعة المسيح هي هدوُّ روحهِ المتواضع عند وقوع ما يدعوهُ الى الغضب. وعظمة ما يدعو الى الغضب تقوم بامرين وهما عظمة المقاومة وكونها من دون سبب

واذا اعتبرنا هذين الامرين نرى انهُ لم يحرّك احدٌ الى الغضب كما حرّك المسيح. فكم كان مبغضًا وكم احتمل من الاهانات من ادنى الناس وما اعظم آلامهُ وبأي هزءٍ من الذين سبّوها وكيف كان ذلك بلا علّة ولا سبب وكيف

كان لا يستحق شيئاً منهُ بل يستحق المحبة والكرامة بعكس ذلك. واذا لاحظنا هذه الامور نرى انهُ ليس احد احتمل جزءاً يسيراً من محركات الغضب التي وقعت على المسيح من الناس ومع ذلك فما كان اودعهُ في احتمالها جميعاً وابعدهُ من القلق والاضطراب. فانهُ عند ما شُتِم لم يشتُم وكالحمل امام الجزَّاز لم يفتح فاهُ ولم يظهر عليهِ شيءٌ من روح الانتقام. بل كان يظهر عليهِ روح الصفح والمسامحة حتى انهُ طلب المغفرة لهم بحرارة عند ما كانوا يمارسون اعظم سبب لهياج غضبهِ وهو تسميرهُ على الصليب بقولهِ يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون لو ٢٣: ٣٤

ولم يُظهِر احدٌ روح محبةٍ نحو الناس نظير هذا الروح. فان محبة المسيح للناس وعلى الخصوص في احتمالهِ الآمهُ الاخيرة وتقديمهِ نفسهُ في هذه الآلام فانهُ اعظم اعمال محبتهِ التي هي فائقة جدًّا على الشبه والقياس. نعم ان بعض القديسين اظهروا محبةً عظيمة نحو الناس كبولس الرسول ويوحنا الحبيب وغيرهما ولكن المحبة التي اظهرها المسيح نحو الناس وهو على الارض كانت تفوق محبة جميع الناس كما ان الابحر العظيمة تفوق السواقي الصغيرة

ولا يخفى ان جميع الفضائل التي ظهرت في المسيح كانت اكثر اشراقاً في آخر حياتهِ عند ما وقعت عليهِ المحن والتجارب لان الفضيلة السامية تكون دائمًا اكثر اشراقًا عند الامتحان بنار التجارب كما ان الذهب الخالص يظهر خلوصهُ في الاكثر اذا وُضع في النار. ومحبة المسيح لله واحترامهُ لجلالهِ تعالى واعتبارهُ كرامة شريعتهِ وطاعتهِ وتواضعهُ واحتقارهُ للعالم وصبرهُ ووداعتهُ وروح الصفح الذي كان مملوءًا منهُ نحو الناس قد ظهرت في الاكثر تحت الامتحانات التي احتملها الى الجد في نهاية حياتهِ. وبالحقيقة ان جميع ما عملهُ المسيح لكي يفتدينا قد ظهر على الاكثر في آخر حياتهِ. وفي هذا الوقت أوفى عن الخطية واستحق على الخصوص الحياة الابدية للخطاة وحينئذٍ ظهر لنا ضياء مثالهِ الذي قدمهُ لنا لنقتدي بهِ. والآن قد بيَّنا بالاختصار الامور التي تمَّ بها شراء الفداء باعتبار

بر المسيح الظاهر فيها

رابعاً آلام المسيح واتضاعهُ

من جملة الاشياء الخصوصية التي اشترى المسيح بها الفداء آلامهُ واتضاعهُ اذ أوفى بذلك عن الخطية

(١) ان المسيح قد احتمل آلاماً كثيرة واتضاعاً فائقاً وهو طفلٌ فانهُ قد وُلد لكي يموت فكأنهُ ابتدأ بالموت حالما وُلد . قيل من جهة امهِ انهُ عند ما اتاها المخاض لم يكن لهم موضعٌ في المنزل لو ٢:٧ . فاحتاجت ان تدخل الى اسطبل وهناك ولدت المسيح . وهكذا احتمل الاهانة في ولادتهِ كانهُ ادنى من انسان . وعلا ذلك كان مضطهداً في طفوليتهِ اذ ابتدأوا يطلبون حياتهُ حالاً بعد ولادتهِ لان هيرودس الملك كان مهتماً بقتلهِ حتى انهُ قتل جميع اطفال بيت لحم وتخومها من ابن سنتين فما دون . وقد نُفي في صغرهِ اذ طُرد من بلادهِ الى مصر ولا يخلو من ان يكون قد احتمل مشقّات كثيرة في هذه السفرة الطويلة الى بلادٍ غريبة

(٢) انهُ لهُ المجد اتضع كثيراً في حياتهِ في الناصرة فانهُ عاش هناك عيشةً ذليلة بصناعةٍ دنيئة متعبة حتى انهُ لم يُدعَ فقط ابن النجار بل النجار ايضاً حيث قيل أليس هذا هو النجار ابن مريم واخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان مر ٦: ٣ . وكان بتعب يدهِ يحصّل قوتهُ وبذلك احتمل اللعنة التي القاها الله على آدم بقولهِ بعرق وجهك تاكل خبزاً تك ٣:١٩ . ولننظر الى الدرجة العظيمة من الاتضاع التي وصل اليها ابن الله العظيم وخالق السماء والارض من هذا القبيل حتى انهُ بقي نحو ثلاثين سنة عائشاً عيشةً مستترة مظلمة بين ارباب الصنائع وكل ذلك مع عدم الالتفات اليهِ والتمييز لهُ عن بقية الصنّاع . وقد كان اتضاع المسيح في حياتهِ قبل ظهورهِ اعظم في بعض الاوجه مما كان في زمان خدمتهِ المشتهرة . لانهُ كان حينئذٍ يظهر علامات كثيرة لجدٍ في كلامهِ وفي العجائب التي

كان يعملها . واما الثلاثون سنة الاولى من حياتهِ فقد صرفها بين عامة الناس كأنهُ منهم ولم يكن شيءٌ يميزهُ عنهم الاَّ طهارة حياتهِ

(٣) ان المسيح كان خاضعًا لتواضعٍ عظيم وآلامٍ كثيرة في حياتهِ المشتهرة وذلك منذ اعتمادهِ الى الليلة التي أُسلم فيها

اولاً انهُ احتمل فقرًا شديدًا حتى لم يكن لهُ اين يسند راسهُ راجع مت ٨: ٢٠ و يو ١٨: ١ و ٢ ولو ٢١: ٣٧ و ٢٢: ٣٩. وقد تمَّ حرفيًّا ما ذكرهُ عنهُ الحكيم في نشيد الانشاد حيث يقول لان راسي امتلأَ من الطلّ وقُصَصي من ندى الليل نش ٥: ٢ ولاجل فقرهِ لا شك انهُ جاع مرارًا وعطش وبَرد راجع مت ٤: ٢ و ٢١: ١٨ . وكانت امهُ واقاربهُ فقراء لا يقدرون على مساعدتهِ فكان يعيش من احسان البعض من تلاميذهِ كما يتضح من قول الانجيلي ان نسوةً كنَّ يتبعنهُ ويخدمنهُ من اموالهنَّ لو ٨: ٢ و ٣. وكان فقيرًا بهذا المقدار حتى انهُ لم يقدر ان يدفع الجزية المرتبة عليهِ الاَّ بامعجوبة صنعها راجع مت ١٧: ٢٧. وعشاؤهُ الاخير مع تلاميذهِ لم يكن بنفقتهِ بل بنفقة رجل من معارفهِ راجع لو ٢٢: ٧ ولشدَّة فقرهِ لم يكن لهُ مكان ملك يُدفَن فيهِ مع ان العادة عند اليهود ان يعدُّوا لانفسهم مدافن وهم احياء. ولذلك عند موتهِ اتى رجل من الرامة يقال لهُ يوسف ودفنهُ في قبر كان لهُ في بستانهِ وذلك على سبيل الاحسان

ثانيًا انهُ احتمل هوانًا وعارًا عظيمًا فكان محتقرًا مرذولاً من الناس وكانوا يستهينون بهِ لاجل دناءة والديهِ وبلدهِ ويعيّرونهُ بانهُ اكولٌ وسكيرٌ وصديق العشّارين والخطاة . ويدعونهُ مرَّةً مضلَّ الشعب واخرى مجنونًا وتارة سامريًّا ومعترًى من الشيطان راجع يو ٧: ٢٠ وقد اتهموهُ بالتجديف وبكونهِ ساحرًا يعمل العجائب بقوة بعلزبول فطردوهُ وتهددوا كل من تبعهُ بالطرد والنفي والحرم راجع يو ٩: ٢٢ وكانوا دائمًا يطلبون هلاكهُ مجاهرةً او اغتيالاً . ومرارًا كثيرة اخذوا حجارةً لكي يرجموهُ ومرةً اخذوهُ الى قمَّة الجبل يريدون ان يطرحوهُ الى اسفل لكي يقتلوهُ

وهكذا وقع عليهِ هذا البغض والتعيير العنيف من شعبهِ المنظور كما قال يوحنا الى خاصَّتهِ جاء وخاصَّتهُ لم تقبلهُ يو ١ : ١١ . وكان الذين ابغضوهُ وازدروا بهِ في الاكثر من عظماء الشعب ورؤسائهِ . على انهُ كان مبغضًا من الجميع لانهُ حيثما كان يتوجه كانوا يكاشفونهُ بالبغضة والاهانة كما فعل اهل كفرناحوم واريحا واورشليم التي هي المدينة المقدسة حتى في اوقات صعودهِ الى الهيكل لاجل العبادة . وكذلك عاملتهُ اهالي الناصرة التي هي مدينتهُ حتى اقاربهُ وجيرانهُ

(٣) انهُ احتمل محاربة ابليس بطرقٍ مختلفة غريبة . وحينما كان في البرية اربعين يومًا مع الوحوش والارواح الخبيثة وقع بينهُ وبين الشيطان محاربة عنيفة

رابعًا اننا نذكر هنا اتضاع المسيح وآلامهُ الاخيرة وذلك من مساء الليلة التي أُسلِم فيها الى قيامتهِ من بين الاموات . فان اعظم اتضاعهِ وآلامهِ كان في هذه المدة التي بها على الخصوص قام بايفاء العدل الالهي عن خطايا بني البشر لانهُ اولاً بيع بثلاثين من الفضة الذي هو ثمن عبدٍ راجع خر ٢١ : ٣٢ وكان بائعهُ واحدًا من تلاميذهِ ثم حصل في كآبةٍ شديدة وهو في البستان اذ غشيت نفسهُ ظلمةٌ كثيفة جدًّا فابتدأ يحزن ويكتئب الى ان قال ان نفسهُ حزينة حتى الموت ومن شدة انزعاج نفسهِ صار عرقهُ كقطرات دمٍ نازلة على الارض وتلاميذهُ الذين كانوا بمنزلة انسباء لهُ تخاذلوا عنهُ هذه المرَّة اكثر من غيرها ولم يكونوا يبالون بما كان فيهِ من ضيقة النفس وأَحَد تلاميذهِ وهو يهوذا الذي كان المسيح يحسن اليهِ كافضل اصحابهِ المقرَّبين اتى باعظم نوع من المكر والخداع وسلمهُ بايدي اعدائهِ فقبض الجند عليهِ واوثقوهُ واما تلاميذهُ فتركوهُ وهربوا ولم يوجد الى جانبهِ واحدٌ من اصدقائهِ يسليهِ في ذلك الوقت الهائل . ثم اقتادهُ الشُّرَط كمجرم الى الكهنة والكتبة الذين هم اعداؤهُ ليقضوا عليهِ . ولما حصل في ايديهم سهروا كل الليل عليهِ يستهزئون بهِ . وبما انهم كانوا عازمين على قتلهِ اجتهدوا في التفتيش عن علةٍ لهُ وعلى شهود يشهدون بها . واذ لم يجدوا شهودًا عليهِ اشهدوا

بعضهم زوراً غير ان الشهود لم يتفقوا في نص الشهادة فاخذوا يفحصونهُ لعلهم يصطادون كلمةً من فمهِ يشجبونهُ بها واملّوا انهُ يقول انهُ ابن الله فيكتفون بذلك. ولكن لما خافوا انهم لا يحصلون على مأمولهم استحلفوهُ باسم الله ان يقول لهم هل هو ابن الله او لا. ولما اقرَّ بانهُ كذلك فرحوا فرحاً عظيماً كما يظهر من تفلهم في وجههِ ولطمهم اياهُ وقد ستروا عينيهِ قائلين لهُ تنبأ لنا من الذي لطمك. وهكذا كانوا يهزأون بهِ لاجل انهُ ادّعى النبوَّة حتى ان خدّامهم ايضاً كان لهم شركة في هذا الافتراء كما قال مرقس الانجيلي وكان الخدّام يلطمونهُ مر١٤: ٦٥

وفي تلك الليلة المملوءة من الآلام نرى بطرس الذي كان من اعظم تلاميذهِ عوض ان يجلس الى جانبهِ ويعزّيهُ استحى ان يقرَّ بانهُ من تلاميذهِ فانكرهُ وجحدهُ بالحلف واللعنات. وبعد ان قضى رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب كل تلك الليلة في تعييرهِ والافتراء عليهِ اخذوهُ في الغد الى بيلاطس لكي يحكم عليهِ بالموت لان ذلك لم يكن تحت سلطانهم. ولما حضر امام كرسي بيلاطس اخذ الكهنة والشيوخ يقرفونهُ بالخيانة. واذ قال بيلاطس بعد فحص الدعوى انهُ لم يجد عليهِ ذنباً ازداد اليهود شراسةً وحقداً عليهِ طالبين ان يشجبوهُ. ثم اتى بهِ بيلاطس ثانيةً الى مجلس القضاء لاجل مراجعة النظر في الدعوى واذ لم يجد عليهِ علةً ايضاً تركهُ وقد عاملهُ كمسكين حقير ولكنهُ كان يخجل ان يشجبهُ كخائن تحت دعوى يسيرة مثل هذه

ثم أُرسل الى هيرودس لكي ينظر في دعواه فاتى الى مجلس قضائهِ وكان اعداؤهُ يتبعونهُ ويقذفونهُ بانهُ خائن او طالب ان يصير ملكاً. اما هيرودس فلم يقضِ عليهِ لكنهُ كان يعتبرهُ كما اعتبرهُ بيلاطس انهُ رجلٌ حقيرٌ لا خير فيهِ ولا يستحقُّ هذه المناظرة وكان يضحك على اليهود لانهم يقذفونهُ بانهُ عدوٌّ خطيرٌ لقيصر. ومن ثمَّ البسهُ ثوب ارجوان ساخراً بهِ وارجعهُ في ازقة اورشليم الى بيلاطس وهو لابسٌ ثوب العار

ثم ان اليهود فضّلوا باراباس عليهِ وكانوا يضجّون ويصرخون باصواتٍ

عظيمة الى بيلاطس لكي يصلبهُ. فبعد ما حكم هو مرّتين وهيرودس مرّة انهُ بريء ادخلهُ الى مجلس القضاء ثالثةً لعلهُ يعثر على شيء فيهِ يوجب صلبهُ. ثم جُرِّد من ثيابهِ وجُلِد وهكذا أُعطي جسدهُ للضاربين كما قال اشعياء. وبعد ذلك اسلمهُ بيلاطس الى اليهود خوفًا منهم وظلمًا منهُ لانهُ اقرَّ علانيةً انهُ لم يجد عليهِ علةً ولكن قبل اجراء القضاء اغتنم اعداؤهُ الفرصة للهزء بهِ ايضًا فاحاطوا بهِ وجعلوا يعيرونهُ ويسخرون بهِ. ثم خلعوا عنهُ ثيابهُ والبسوهُ ثوب ارجوان واعطوهُ قصبةً في يدهِ وضفروا اكليلاً من شوك على راسهِ. وقد اشتركت اليهود والاجناد الرومانيون في ذلك وكانوا يسجدون جاثين على ركبهم مستهزئين ويقولون السلام يا ملك اليهود. ثم تفلوا ايضًا في وجههِ واخذوا القصبة من يدهِ وضربوهُ بها على رأسهِ. ثم اخذوهُ ليُصلَب وحمَّلوهُ صليبهُ فانزعج بهِ حتى وقع تحتهُ لان قوتهُ كانت قد سقطت. فسخروا انسانًا اسمهُ سمعان القيرواني فحمل الصليب عنهُ

واخيرًا لما وصلوا بهِ الى جبل الجلجثة اجروا عليهِ القضاء الظالم الذي نطق بهِ بيلاطس عليهِ فسمَّروا يديهِ ورجليهِ على الصليب واوقفوا الصليب مركوزًا في الارض وهو معلقٌ عليهِ بالمسامير التي ثقبت يديهِ ورجليهِ. وحينئذٍ وصلت آلامهُ الى الغاية وانت الكاس التي كان يطلب بحرارة ان تعبر عنهُ ولكن لابد لهُ من شربها. وكان الصلب في ذلك الزمان اعظم عذابات الموت. ولا ريب انهُ لا يوجد للموت طريقٌ امرُّ منهُ لان الانسان يموت فيهِ من مجرَّد الالم والعذاب ولذلك اخذوا اسم العذاب في اللغة الرومانية من الصلب. ولا يخفى ان ربنا لهُ المجد فضلاً عن الالم الذي قاساهُ في جسدهِ عند موتهِ كابد اوجاعًا اليمةً في نفسهِ وهي اشد كثيرًا. وقد وقع حينئذٍ عليهِ التعب الذي تنبأ عنهُ اشعياء النبي في الاصحاح الثالث والخمسين من نبوتهِ. وفي ذلك الوقت سر الرب ان يسحقهُ بالحزن وسكب للموت نفسهُ راجع اشعياء ص ٥٣ واذا كان مجرد الفكر في شرب هذه الكاس قد جعلهُ يرتعد ويعرق دمًا فكم يكون شربها بالفعل اشد

هولا واعظم الماً . وان كثيرين من الشهداء احتملوا عذابات كثيرة في اجسادهم ولكن انفسهم كانت عند ذلك مملوءة سروراً وبهجةً حتى كنت تراهم يرنمون من شدة الفرح . ولا ريب ان سرور النفس ذلك كان يساعدهم كثيراً في تخفيف آلام اجسامهم . واما المسيح فلم يحصل على هذه المساعدة بل بالحري كان اكثر آلامهِ من داخل نفسهِ فضلاً عن الآلام العظيمة التي كانت في جسدهِ

ومع كل هذه الآلام الفادحة كان اليهود يهزأون بهِ ويهزّون رؤوسهم ويقولون لهُ يا ناقض الهيكل وبانيهُ في ثلاثة ايام خلص نفسك ان كنت ابن الله فانزل عن الصليب . حتى ان الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب كانوا يشاركونهم في ذلك ويقولون خلص آخرين واما نفسهُ فما يقدر ان يخلصها . وربما كان الشيطان نفسهُ باذلاً جهدهُ برفقة جنودهِ في تعذيبهِ . ولذلك قيل ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة لو ٢٢ : ٥٣

واذ كان المسيح في هذه الآلام الشديدة صرخ بصوتٍ عظيم قائلاً قد أُكمِل . ثم نكّس راسهُ واسلم الروح يو ١٩ : ٣٠ وبذلك قد اكمل اعظم الحوادث واعجبها . ونظرت الملائكة اغرب المناظر الواقعة تحت ابصارها وتمّ الامر الذي أُشير اليهِ في سنن الشريعة الطقسية وفرائضها ودلّت عليهِ جميع الرموز والذبائح منذ انشاء العالم

وبقي المسيح في قبضة الموت الذي خضع لهُ الى اليوم الثالث . وحينئذٍ كمل العمل العظيم الذي تقدّم لاجلهِ كل ذلك الاستعداد منذ ابتداء الخليقة وهو شراء الفداء للجنس البشري واستوفت الشريعة كل حقوقها وأوفى العدل الالهي ودفع آخر فلسٍ من الدين الذي يطالبهُ العدل الصارم من مخالفي الشريعة وتمّ شراء الحياة الابدية ولم يعد يحتاج الى عملٍ آخر لشراء الخلاص للخطاة . فلم يُعمَل شيء منذ ذلك الوقت ولم يُعمل الى ابد الابدين شيء آخر لاجل هذه الغاية

الفصل الثالث

في بعض نتائج ما تقدم

قد اوضحنا في الكلام عن تاريخ عمل الفداء كيف جرى هذا العمل في المدَّتين الاولى والثانية من المدَّات الثلاث التي انقسم كل الزمان اليها وهما من السقوط الى تجسد المسيح ومنهُ الى اواخر انقضاءهِ . وبيَّنا في المدة الاولى كيف ان الله اعدَّ الطريق لظهور المسيح وشرائهِ الفداء لنا . وفي المدة الثانية كيف تمَّ الشراء وانتهى . والآن نريد ان نختم هذه المدة ببعض النتائج

بعض نتائج ما تقدم في هذين الموضوعين

اولاً نرى جهل وخطية الذين يتَّكلون على اعمالهم لخلاص عوض الايمان بالرب يسوع المسيح

(١) انهم يأخذون على انفسهم ان يعملوا عمل مخلص العالم العظيم لانهم يتَّكلون على اعمالهم لكي يرضوا الله عن خطاياهم ويجعلوهُ تعالى ينعطف اليهم بواسطتها . ومع انهم مساكين وضعفاء يتكفلون باتمام نفس العمل الذي صار ابن الله الوحيد انساناً لاجلهِ والذي قضى الله اربعة آلاف سنة في جميع اعمال عنايتهِ العظيمة تمهيداً لطريق مجيء المسيح لاجل تكميلهِ . فهذا هو العمل الذي يتوهمون بجهلهم انهم يقدرون على اتمامهِ بانفسهم كأن صلواتهم وبقية اعمالهم كافية لهذا المقصد العظيم . فليتأملوا كم هو باطلٌ اعتبارهم لانفسهم وكم يجب ان يتركوا هذه الدعوى للمسيح الذي دفع ثمناً نفيساً بهذا المقدار حتى حصل عليهِ ولم يكن ممكناً لهُ مع عظمتهِ بدون دخولهِ في بحر من الدم ودخولهِ في وسط انون غضب الله .

وكم يكون ادعاؤهم سخريةً امام الله عند ما يراهم يظنون ان اعمالهم الحقيرة الفاسدة كافيةٌ لتكميل عمل ابيهِ الذي حوَّل جميع الاشياء العظيمة في هذا العالم اجيالاً كثيرة لاجل اعداد الطريق لهُ

(٣) انهم اذا كان لهم اساسٌ للاتكال على برّهم كما يظنون فيكون جميع ما عملهُ المسيح لاجل شراء الخلاص وكل ما عملهُ الله منذ سقوط الانسان لاعداد الطريق لهُ عبثًا وباطلاً. ولذلك يكون برُّهم الذاتي وسيلةً لا يجاب اعظم الحماقة على الله كانهُ قد عمل كل ما عملهُ باطلاً لكي يتم ما يقدرون عليهِ وحدهم بواسطة صلواتهم الضعيفة واعمالهم الدنيئة الفاسدة لانهم اذا استطاعوا ان برضوهُ ويجعلوا انفسهم مقبولين لديهِ بواسطة هذه الامور فلا حاجة لهم الى المسيح كما قيل لانهُ ان كان بالناموس برٌّ فالمسيح اذًا مات بلا سبب غل ٢: ٢١

فاذا كانوا قادرين على ذلك بواسطة صلواتهم واعمالهم الصالحة فما الحاجة الى آلام المسيح والى سفك دمهِ. وكان الاليق لو بقي في حضن ابيهِ ولم يأتِ الى هذا العالم الشرير لكي يُهان ويُشتم ويُضطهد للموت. وهل يمكنهم ان ينسبوا الى الله عزَّ وجلَّ حماقةً اعظم من هذه لانهُ قد عمل كل هذه الاعمال من دون حاجة ولا باعث

(٤) انكم انتم يا ايها المتكلون على برّكم تدَّعون لانفسكم اعظم اعمال الله وكانكم فضلاً عن اقتداركم على اتمام الاعمال الالهية الصغيرة قادرون على اتمام اعظم اعمالهِ. وقد ظهر لكم مما سبق ذكرهُ ان الله قد اخضع جميع اعمال عنايتهِ ووجَّهها الى عمل الفداء العظيم وان اعمال عنايتهِ تعالى هي اعظم من اعمال الخليقة. ولا يخفى عليكم ان جميع اعمال العناية الالهية منذ ابتداء العالم قد جرت لاجل اعداد الطريق وتسهيلهِ لشراء الفداء. واذا كنتم قادرين على هذا العمل كما تتوهمون تكونون بالاولى قادرين على خلق عالمٍ جديد

نعم انكم تتكفلون لانفسكم بعمل اعظم واصعب من عمل الخليقة وهو شراء الفداء. فان المسيح قد انفق عليهِ حياتهُ ما عدا مكابدة آلام وانعاب لا تحصى. وقد

علمتم ان هذا الجزء هو الذي يجتهد المبرّرون ذواتهم في عملهِ لانفسهم . والحال انهُ لو كان جميع الملائكة الذين في السماء قادرين على اتمام هذا العمل لما كان الله سبحانهُ يجتهد في ممارسة ما تكلفهُ من الاعمال لاجلهِ . ولا انهُ يرسل ابنهُ خالق الملائكة الى العالم لكي يعمل ما عملهُ ويحتمل ما احتملهُ بسببهِ

ولا يخفى ان ما يدَّعيهِ لانفسهم هولاء المبررون ذواتهم هو نفس العمل الذي كان المسيح آخذًا فيهِ وممارسًا لهُ وهو يكتئب ويعرق دمًا وعند ما كان معلقًا على الخشبة . ولا ريب ان ذلك اعظم الحوادث التي ابصرتها عيون الملائكة . ومع عظمة هذا العمل تراهم يتوهمون انهم قادرون على ذلك العمل الذي عملهُ المسيح . وهم بواسطة دعوى البر لانفسهم كانهم يبرهنون ان تقديم المسيح نفسهُ في هذه الآلام هو من اعظم امثلة الحماقة التي وقعت تحت حواس الملائكة والناس مع انها من اشرف حكمة الله وجودتهِ

ومن ثمَّ لا يسوغ لنا ان نتعجب اذا رأينا الكتب المقدسة تتكلم عن هذا التعليم اي تبرير الانسان نفسهُ كانهُ اضرُّ الاشياء لانفس الناس واكثرها خطرًا . ولا اذا رأينا المسيح كان يغضب كثيرًا على الفريسيين وغيرهم من الذين اتَّكلوا على انفسهم بدعوى انهم ابرارٌ وافتخروا بصلاحهم زاعمين ان اعمالهم ثمنٌ نفيس لامتلاك قبولهم عند الله ومحبتهِ اياهم

ثانيًا ان ما قيل في ما مضى توبيخ للذين يهملون خلاص المسيح غير محتفلين بهِ . انهُ يوجد من الناس مَن يعيشون بدون فكر في الديانة وفي نفوسهم ولا يلتفتون الى المسيح ولا الى ما عملهُ واحتملهُ من اجلهم . فالذين هم كذلك اقدّم لهم هذه المسائل

(١) ليت شعري كيف يمكنكم ان تتغافلوا عن هذا الخلاص بعد ما تمَّ اذا كان كثيرون من الانبياء والملوك والآباء الاولين مشتاقين اليهِ ومنتظرينهِ قبلما ظهر باجيال كثيرة . وقد سبق القول كيف ان الكنيسة اطَّلعت على اخبار فداء المسيح في جميع الاجيال فكانت تنتظرهُ بفرحٍ عظيم وتتكلم عنهُ وتلهج

بهِ وتفحص عنهُ برغبةٍ وترنم ترنيمات الفرح والسرور بمجرَّد النظر اليهِ من بعيد اذ عرفوا ان ذلك لا يتمُّ الاَّ بعد موتهم باجيال كثيرة راجع ابط ١: ١١ الى ١٢. وكم تكلم اشعياء ودانيال وغيرهما من الانبياء عن هذا الفداء وكانت قلوبهم وافكارهم مشتغلة فيهِ. وكيف كان ضمير داود ممتلئًا من هذا الموضوع حتى قال عنهُ انهُ كل خلاصهِ وكل مسرَّتهِ راجع ٢صم ٢٣: ٥. وكيف انهُ شغل صوتهُ وقيثارهُ في مديحهِ وتمجيد نعمة الله الظاهرة فيهِ. وقد فعلوا كل ذلك مع انهم لم ينظروا تمامهُ في ايامهم بل كانوا يتوقعون تمامهُ بعد زمانهم بمدة طويلة. وقبل ذلك الوقت كيف كان ابرهيم وغيرهُ من الآباء يفرحون بانتظار يوم المسيح هذا والفداء الذي كان عتيدًا ان يشتريهُ. والآباء الذين كانوا قبل الطوفان كانوا ايضًا يفرحون بانتظار هذا الامر العظيم مع انهُ كان بعيدًا عنهم في الغاية وكانوا يعرفونهُ معرفةً ضعيفة غير واضحة

واما الآن فانكم قد علمتم عن هذه الامور السامية انها قد تمت بالفعل فطوبى لعيونكم لانها تبصر ولآذانكم لانها تسمع مت ١٣: ١٦. ومع ذلك اراكم تزدرون بها وتفضّلون عليها حطام هذه الدنيا كانكم لا تجدون فيها شيئًا من المنفعة او اللذة. وبذلك يزداد جرم الخطية قدام الديان العادل وتستوجبون اعظم دينونةٍ لانهُ قد اعطاكم بركات ووسائط لاجل خلاصكم الابدي لم يُعطِها للآباء الاولين فرفضتموها غير معتنين بها كانها لم تكن

(٢) هل يليق بكم ان تتهاونوا بالخلاص الذي كان الملائكة مشتغلين بهِ الى اوانهِ منذ سقوط الانسان مع انهُ لا يتعلق بهم كما يتعلق بكم. انكم قد سمعتم كيف ان هؤلاء الارواح منذ البدء كانوا خاضعين للمسيح كوسيط وكانوا يخدمونهُ دائمًا في هذا العمل مجتهدين في جميع الاعمال العظيمة التي سمعتم عنها لانهم كانوا يُرسَلون كارواح خدمةٍ لاجل اتمام مقاصد المسيح وانفاذ اوامرهِ المتعلقة بفداء الانسان. وقد علمتم كيف كانوا عند مجيء المسيح مهتمين بذلك بكل رغبةٍ ونشاط. فانهم اتوا اولاً الى زكريا وبشروهُ بمجيء سابق المسيح. ثم

جاءوا الى العذراء مريم لكي يبشروها بقرب ولادته له المجد . ثم الى يوسف خطيبها وانذروهُ بالخطر الذي كان على الخلص المولود حديثًا وارشدوهُ الى طريق النجاة والامان . وكيف انهم عند ولادته كان اجواق منهم يرتلون تسابيح الشكر والمجد قائلين المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرَّة لو ٢ : ١٣ و ١٤ . وكانوا بعد ذلك يخدمونهُ حينًا بعد حين وهو على الارض كما فعلوا عند تجربته وصلاته في البستان وقيامته وصعوده . وفي ذلك كفاية لبيان فرط اهتمامهم في هذا العمل العظيم . والكتاب المقدس يخبرنا بذلك بقولهِ التي تشتهي الملائكة ان تطلع عليها ١ بط ١ : ١٢ . وانهم في السماء يرتلون دائمًا المجد الجالس على العرش والغروف كما ذُكِر في سفر الرؤيا . واذا كان هولاء يعتبرون هذا الفداء والذي اشتراهُ اعتبارًا عظيمًا بهذا المقدار مع انهم لا يحتاجون اليهِ لانفسهم ولا يُعرَض عليهم فكيف يسوغ لكم انتم الذين يُعرَض عليكم مجانًا وتحتاجون اليهِ احتياجًا شديدًا ان تغفلوا عنهُ ولا تبالوا بهِ

(٣) اذا كان المسيح قد اجتهد اجتهادًا بليغًا واحتمل آلامًا مُرَّة في تحصيل هذا الخلاص أفما يليق بكم ان تصرفوا زمانًا يسيرًا في الاجتهاد بطلبهِ . واذا كان المسيح قد اعتبر خلاصكم حتى صار انسانًا ومات من اجلهِ أفما يجب عليكم انتم الذين تحتاجون الى هذا الخلاص ولا مهرب لكم من الهلاك الابدي بدونهِ ان تجتهدوا في الحصول عليهِ بعد وجودهِ وتيسيرهِ لكم

(٤) اذا كان الله العظيم قد اعتنى بهذا الخلاص حتى انهُ قلب العالم لاجل اعداد طريقهِ أفما يستحقُّ اعتناءكم في طلبهِ بعد ايجادهِ . ما اكثر واعظم واعجب الامور التي فعلها سبحانهُ وتعالى لاجلهِ . فانهُ انزل ملوكًا عن الكراسي ورفع آخرين اليها . واقام انبياء كثيرين . وافرز لهُ شعبًا خاصًّا من سائر شعوب العالم . وقلَب الامم والممالك . ومرارًا غيَّر احوال العالم . ولم يزل يأتي بانقلابٍ بعد آخر مدة اربعة آلاف سنة على التوالي لكي يسهل طريق الحصول على هذا الخلاص . وبعد هذه الاجيال العديدة اتى المخلص العظيم واحتمل العار والطرد

والآلام حتى آل بهِ الامر الى ان وقع في وسط امواج غضب الله وعواصفهِ واحاطت بهِ الاوجاع من كل جانب. وكل ذلك لاجل ايجاد الخلاص للناس الخطاة. فكيف يسوغ لكم ان تتركوهُ كانهُ لا يستحقُّ عنايتكم وتدوسوهُ بارجلكم وتفضّلوا عليهِ الارباح الدنيوية والملابس الفاخرة والشهوات الجسدية وهلمَّ جرًّا من الامور الدنيئة الزائلة

ويا ليت الذين يهملون هذا الخلاص يدرون ماذا يعملون ويعتبرون ذلك حق الاعتبار. وما ذكرناهُ في هذا المعنى يبيّن لكم ايها الاحبّاء ماذا الذي جعل الرسول يصرخ بالصواب قائلاً فكيف نجو نحن ان اهملنا خلاصًا هذا مقدارهُ عب ٢:٢. وجملة يقول ايضًا انظروا ايها المتهاونون وتعجبوا واهلكوا لانني عملاً اعمل في ايامكم عملاً لا تصدقون ان اخبركم احدٌ بهِ اع ١٣: ٤١. وان الله ينظر اليكم كاشد الاعداء لصليب المسيح واكبر المقاومين لهذا العمل العظيم والمزدرين بهِ. واذا كان الله قد اعتبر هذا الخلاص الجيد حتى اهلك شعوبًا كثيرين لكي يمجد ابنهُ في هذا العمل فكم يكون اعتبارهُ قليلاً لحياة آلاف كثيرة نظيركم يصرُّون على خطاياهم ويقاومون هذا الامر ويحتقرونهُ لاجل اتباع اهوائهم المنحرفة والنجاح في مصالحهم الدنيوية. وربما يحتمل الله الى حين بطول اناتهِ العجيبة تمرُّد الخطاة المتغافلين ولكنهُ لا يحتملهم زمانًا طويلاً لانهم يهينون ابنهُ الحبيب ويزدرون بخلاصهِ الجيد بل يعمو ذكرهم بغضبهِ ويفنيهم برجزهِ كما يفنى الوقود امام وجه النار ولا يكون لهم رجاء في العفو او الرحمة

نتائج لتشجيع طالبي الخلاص

انني اختم الكلام في هذا الباب ببعض الملاحظات لتقوية الانفس المتعبة لكي تلقي اتكالها على المسيح في امر الخلاص اعني جميع الذين ليسوا متغافلين ولا متكاسلين في هذا الامر بل يجعلون اهمَّ مصالحهم الاجتهاد في طلب المسيح اذ

يشعرون باحتياجهم اليهِ ويخافون من الغضب الآتي . ولا يخفى ان جميع ما تقدم ذكرهُ يقوّي مثل هولاء ويشجعهم على القاء جميع همومهم على الرب يسوع المسيح . ولاجل اثبات ذلك نذكر هنا امرين

الامر الاول كمال الفداء الذي تم بالمسيح . وقد تقدم ان شراء الخلاص تمَّ وكمل في مدة اتضاع المسيح . وعند ما قام من الاموات ونهض من المذلَّة التي كان خاضعًا لها باختيارهِ لاجل خطايانا كمل شراء الحياة الابدية حتى لم يبقَ احتياجٌ الى عمل شيء لاجل نيلها . فارسل ايضًا عبيدًا آخرين قائلاً قولوا للمدعوين هوذا غدائي اعددتهُ ثيراني ومسمَّناتي قد ذُبحت وكلُّ شيء معدٌّ تعالوا الى العرس مت ٢٢ : ٤ . ولهذا اذا كانت خطاياكم كثيرة فلا تخافوا فان المسيح قد عمل ما يكفي لمغفرتها . ولا حاجة الى بركم لكي تنالوا العفو والتبرير بل تعالوا اليهِ من دون فضةٍ ولا ثمن . وبما انهُ يوجد لكم دعوةٌ مجانية تعالوا عراةً كما انتم . تعالوا كمذنبين مساكين محكوم عليهم بالشجب . تعالوا والقوا انفسكم على قدمي المسيح كالذين دينونتهم عادلة لم يعد لهم رجاء ولا ملجأٌ . هوذا خلاصٌ تامٌّ قد اوجدهُ لكم وهو يعرضهُ عليكم مجانًا فاقبلوهُ واخلصوا

الامر الثاني ان المسيح اذا رفض من يأتي اليهِ على هذا المنوال ينقض جميع ما عملهُ الله من الاعمال العظيمة منذ سقوط الانسان الى تجسد المسيح . وينقض ايضًا كل ما احتملهُ نفسهُ وما عملهُ وهو على الارض . نعم وينقض التجسد نفسهُ لان جميع ما عمل كان لاجل هذه الغاية التي مضمونها ان كل من اتى اليهِ يخلص . ولهذا يجب ان تتحققوا ان المسيح لا يتأخر عن خلاص الذين يأتون اليهِ ويتكلون عليهِ لانهُ لا يمكن ان يناقض نفسهُ في عملهِ . وكذلك الله الآب لا يمكن ان يرفضكم لانهُ لا يمكن ان يناقض نفسهُ في كل ما عملهُ في الوف من السنين لكي يسهل الطريق لخلاص الخطاة بالمسيح . فتعالوا اذًا واصغوا الى كلمات المسيح العذبة التي يدعوكم بها اليهِ . واعملوا كما يأمركم بقولهِ تعالوا اليَّ

يا جميع المُتعَبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم . احملوا نيري عليكم وتعلموا مني
لاني وديعٌ ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لنفوسكم لان نيري هين
وحملي خفيف مت ١١ : ٢٨
الى ٣٠

المُدّة الثالثة

من قيامة المسيح الى نهاية العالم

قد بيّنّا في ما مضى كيف كان عمل الفداء جاريًا في المدّتين الاوليين من المدات الثلاث التي قسمنا اليها الوقت منذ السقوط الى نهاية العالم. والآن قد اتينا الى المدة الثالثة والاخيرة مبتدئين من قيامة المسيح. والمراد بذلك ان نبين ان جميع الزمان من نهاية اتضاع المسيح الى نهاية العالم قد صُرف في اجراء مفعول شراء المسيح العظيم او نجاحهِ

مقدّمة

لا ننكر وجود بعض المفاعيل العظيمة ولا نجاح المسيح في شرائهِ الفداء حتى منذ ابتداء اجيال الناس. غير ان ذلك النجاح كان استعداديًّا على سبيل العربون كما تجمع بعض الاثمار القليلة قبل وقت الحصاد. وما كان النجاح قبل مجيء المسيح الاَّ بمقدار ما رأى الله لازمًا لاعداد الطريق لمجيئهِ. لان الوقت المناسب لنجاح فداء المسيح وتأثيرهِ هو بعد تكميل شرائهِ كما ان الزمان المناسب للناس لكي يتمتعوا بنور الشمس هو النهار بعد اشراقها ولو كان عندهم قبل ذلك شيء من ضيائها الذي اندفع من القمر والكواكب. حتى ان نجاح فداء المسيح

عند ما كان بنفسهِ على الارض كان قليلاً جدًّا بالنسبة الى النجاح الذي حصل بعد ذلك ولكن بعد ان اكمل المسيح ذلك العمل الذي هو اعظم الاعمال واصعبها اتى الزمان للحصول على الغاية اي على مفعولهِ المجيد . واذ اكمل جميع آلامهِ وانضاعهِ ولم يبقَ عليهِ شيء من ذلك حان الزمان لحصولهِ على الفرح الموضوع امامهُ. واذ جعل نفسهُ ذبيحة اثمٍ اتى الزمان لكي يرى فيهِ نسلاً ويأخذ قسمًا بين الاعزاء ويقسم غنيمة مع العظماء

ولا يخفى انهُ من جملة مقاصد المسيح في ما عملهُ بمدة انضاعهِ ان يضع اساسًا لخراب مملكة الشيطان وقد اتى حينئذٍ الزمان لاتمام هذا المقصد كما قال لهُ المجد قبل صلبهِ بقليل الآن دينونة هذا العالم . الآن يُطرَح رئيس هذا العالم خارجًا يو ١٢: ٣١ . ومن مقاصدهِ ايضًا ان يجمع جميع الاشياء الى واحد بالمسيح . وقد اتى زمان هذا ايضًا كما يتضح من قولهِ وانا ان ارتفعت عن الارض اجذب اليَّ الجميع يو ١٢: ٣٢ . وذلك يوافق نبوة يعقوب عن المسيح عند قولهِ حتى يأتي شيلون ولهُ يكون خضوع شعوب تك ٤٩: ١٠ . واذ انهى آلامهُ واكمل انضاعهُ اتى وقت ذلك ايضًا لخلاص شعبهِ كما قال الرسول مع كونهِ ابنًا تعلم الطاعة مما تألم بهِ واذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونهُ سبب خلاص ابدي عب ٥: ٨ و ٩ . ومنها ايضًا تجيد اقانيم الثالوث الاقدس كما قال لهُ المجد ايها الآب قد اتت الساعة مجِّد ابنك ليمجدك ابنك ايضًا يو ١٧: ١ وهكذا جميع اعمال العناية الالهية من الآن فصاعدًا الى نهاية كل شيء تتجه الى مجازاة المسيح وتكميل مقاصدهِ في ما عملهُ واحتملهُ على الارض واعطائهِ الفرح الذي كان موضوعًا امامهُ

(١)

في اقوال الكتب المقدسة في هذه المدة

قبل الشروع في ذكر الامور الخصوصية التي تمت في هذه المدة نذكر

بالاختصار كلام الكتب المقدسة عن ازمنتها فنقول

اولاً ان ازمنة هذه الملة يقال لها غالبًا في العهد القديم الايام الاخيرة. لاننا كثيرًا ما نقرأ في نبوات العهد القديم عن امورٍ تتمُّ في الايام الاخيرة. ولا ريب ان كل ذلك اشارةٌ الى ازمنة الانجيل. وانما قيل لها ذلك لانها آخر سلسلة اعمال عناية الله على الارض وآخر وقت عمل الفداء العظيم الذي هو على نوعٍ ما خلاصة اعمال عناية الله وآخر اعمال عهد النعمة على الارض

ثانيًا ان جميع هذه الملة تُدعى احيانًا في الكتب المقدسة اواخر الدهور وانقضاء الدهور. ومن ذلك قول الرسول فهذه الامور جميعها اصابتهم مثالاً وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور اكو ١٠: ١١. وقوله ولكنهُ الآن قد أُظهِر مرَّةً عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسهِ عب ٩: ٢٦. ولا ريب انهُ يعني بذلك نهار الانجيل من ميلاد المسيح الى يوم الدينونة. ويحقُّ لهذا الوقت ان يسمَّى انقضاء الدهور لان الامور قبل الآن كانت في حالة الاستعداد واما الآن فهي في حالة الانتهاء وقد انقضت حالة الاشياء الجسدية وابتدأت حالةٌ روحية مكانها. وعلى الخصوص قد انقضى حال الكنيسة القديم الذي يمكننا ان ندعوهُ حالها العالمي لانها كانت خاضعة فيهِ لسنن جسدية ولعناصر هذا العالم. ثم انقضت مملكة اليهود بخراب مدينتهم وبلادهم. ثم بعد ذلك انقضت مملكة الوثنيين القديمة في ايام قسطنطين الملك. ثم تنقضي مملكة الشيطان المنظورة في العالم عند سقوط المسيح الكذاب ودعوة اليهود. واخيرًا يأتي خراب تكوين العالم الظاهري نفسهِ عند نهاية يوم الدينونة. فان السماء والارض ابتدأتا تتزلزلان حسب نبوة حجي قبل ان جاء المسيح لكي تكون ثابتةً الاشياء التي لا تتزعزع كقول الرسول راجع عب ١٢: ٢٧. اي لكي تزول وتنتهي الاشياء التي لا بد من زوالها وتبقى وتثبت الاشياء التي لا بد من بقائها الى الابد

ثم ان الطقوس الجسدية التي للعبادة اليهودية بطلت لكي يكون طريقٌ

لتلك العبادة الروحية التي تدوم الى الابد كما في قول البشير قال لها يسوع يا امرأة صدقيني انهُ تأتي ساعةٌ لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للآب يو ٤: ٢١. الى ان قال بعد قليلٍ ولكن تأتي ساعةٌ وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لان الآب طالبٌ مثل هولاء الساجدين له ع ٢٣ وكذلك زال الهيكل الخارجي ومدينة اورشليم لكي يكون مكانها الهيكل الروحي والمدينة السماوية اللذان يدومان الى الابد. ويوجد مثالٌ آخر لزوال الاشياء الوقتية لكي تبقى الاشياء الثابتة وهو ازالة المملكة الوثنية القديمة لاجل اقامة مملكة المسيح مكانها. ثم انهُ بعد ذلك عند سقوط المسيح الكذاب تنتهي مملكة الشيطان المنظورة على الارض لكي تقام مكانها مملكة المسيح الابدية كما قيل والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسي العلي ملكوتهُ ملكوت ابدي وجميع السلاطين اياهُ يعبدون ويطيعون دا ٧: ٢٧. اخيرًا نفس هيئة هذا العالم الفاني تنتهي لكي يكون مكان ابديٌّ للكنيسة تسكن فيهِ الى الابد

ثالثًا ان حالة الاشياء في هذه المدة يقال لها سماءٌ جديدة وارضٌ جديدة كما قيل لاني هانذا خالق سموات جديدة وارضًا جديدة فلا تذكر الاولى ولا تخطر على بال بل افرحوا وابتهجوا الى الابد في ما انا خالقٌ لاني هانذا خالق اورشليم بهجةً وشعبها فرحًا اش ٦٥: ١٧ و١٨. وقيل ايضًا لانهُ كما ان السموات الجديدة والارض الجديدة التي انا صانع تثبت امامي يقول الرب هكذا يثبت نسلكم واسمكم اش ٦٦: ٢٢ راجع ايضًا ١ ٥: ١٦ وكما ان حالة الاشياء القديمة او العالم القديم اخذت في التناهي شيئًا فشيئًا في هذه المدة كذلك حالة الاشياء الجديدة او العالم الجديد الذي هو روحيٌّ اخذت في الابتداء والقيام. وكلما انتهى شيءٌ من احوال الاشياء القديمة ترى انهُ يبتدئ حالٌ جديدٌ ابديٌّ

ثم ان غاية الله في خلق العالم ان يُعدَّ مملكة لابنهِ لانهُ اقامهُ وارثًا للعالم وهذه المملكة لابد ان تبقى الى الابد. وبمقدار ما تثبت مملكة المسيح في العالم يكون

تقدم العالم نحو نهايته وقيام الامور الابدية مكانها

رابعًا ان حالة الاشياء الحاصلة من حوادث هذه المدة هي ما يقال له مرارًا ملكوت السماء او ملكوت الله وكثيرًا ما تذكر اسفار العهد الجديد ملكوت السماء فان يوحنا المعمدان كان ينادي قد اقترب ملكوت السموات. وهكذا كان يفعل المسيح وتلاميذه بعده يشيرون الى امرٍ كان اليهود ينتظرونه في تلك الايام ويدعونه بهذا الاسم. والظاهر ان ذلك الانتظار واطلاق هذا الاسم قد بُنيا بالخصوص على نبوة دانيال في تفسير حلم نبوخذنصر حيث قال وفي ايام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكةً دا ٢: ٤٤ راجع ايضًا ٧: ١٣ و١٤

فيكون ملكوت السماء هذا هو الحالة الانجيلية للاشياء في الكنيسة وفي العالم التي بها يقوم نجاح الفداء بالمسيح في هذه المدة. وقد اقيمت ممالك عظيمة قبل ذلك مثل مملكة بابل ومملكة فارس واليونان والرومانيين. واما المسيح فقد اتى لكي يقيم المملكة الاخيرة وهي ليست مملكة ارضية بل سماوية كما قال له المجد ان مملكتي ليست من هذا العالم يو ١٨: ٣٦. وهذه هي المملكة التي تكلم عنها المسيح بقوله كما جعل لي ابي ملكوتًا لو ٢٢: ٢٩. وقد ابتدأت هذه المملكة حالاً بعد قيامة المسيح. وهي تكمل بطرقٍ مختلفة منذ ذلك الزمان الى انتهاء العالم. وقد يراد احيانًا بملكوت السماء ليس فقط حالة الكنيسة الروحية التي ابتدأت حالاً بعد قيامة المسيح بل ايضًا تلك الحالة الاكمل التي سوف تكون لها بعد سقوط المسيح الكذاب واحيانًا يراد به تلك الحالة السعيدة المباركة التي تُقبل اليها الكنيسة يوم الدينونة. قال الرسول فاقول هذا ايها الاخوة ان لحمًا ودمًا لا يقدران ان يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد ١كو ١٥: ٥٠

(١) ان اقامة ملكوت المسيح قد تمت على الخصوص بواسطة اربعة حوادث عظيمة متوالية يقال لكل واحدٍ منها في الكتب المقدسة مجيء المسيح في ملكوته. اولها ظهور المسيح بآياتٍ عظيمة واعمالٍ عجيبة في ايام الرسل عند اقامة ملكوته واهلاك اعداء هذا الملكوت الذي كمل في خراب اورشليم. وقد دعا

الانجيلي ذلك مجيء المسيح في ملكوتهِ بقولهِ الحق اقول لكم ان من القيام ههنا قومًا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيًا في ملكوتهِ مت ١٦ : ٢٨ راجع ايضًا مت ص ٢٤ . ثانيها قد تمت في زمان قسطنطين في خراب المملكة الرومانية الوثنية . وهذه الحادثة قد يُشار اليها وتُقابل بمجيء المسيح للدينونة راجع رؤيا ٦ : ١٢ الى ١٧ . ثالثها سوف تتمُّ في هلاك المسيح الكذاب الذي يقال له مجيء المسيح في ملكوتهِ راجع دانيال ص ٧ الى آخرهِ رابعها نجيئهُ للدينونة الاخيرة وهو على الخصوص ما يراد في الكتب المقدسة بمجيء المسيح في ملكوتهِ وكل واحدةٍ من هذه الحوادث الثلاث الأُول هي صورةٌ او رمزٌ للحادثة الرابعة والاخيرة اي مجيء المسيح للدينونة

وكذلك كما ان المسيح يوم الدينونة يعلن ذاتهُ بالمجد حين يأتي بمجد ابيهِ هكذا يعلن ذاتهُ بالمجد في الثلاثة الحوادث السابقة بارسالهِ احكامًا عظيمة على اعدائهِ واظهارهِ احسانًا جسيمًا نحو كنيستهِ . وكما ان مجيء المسيح الاخير يكون مصحوبًا بجمع المختارين من اربع رياح السماء كذلك كانت الثلاثة السابقة مقرونة بجمعٍ روحيٍّ . وكما يكون جمع المختارين هذا بواسطة ملائكة الله بصوت البوق العظيم مت ٢٤ : ٣١ . كان كل واحدٍ من الاجتماعات الثلاثة السابقة بواسطة بوق الانجيل الذي هتف بهِ خدام المسيح . وكما ان ظهور المسيح يتقدمهُ اوقات فاسدة خبيثة جدًّا كان او سوف يكون الحال كذلك في استعلاناتهِ الباقية . ثم انهُ قد حصل او سوف يحصل اضطهادٌ عظيمٌ على الكنيسة قبل كل واحدٍ من الاربعة . فقبل الاول حصل من اليهود . وقبل الثاني في ايام قسطنطين من الامم . وقبل الثالث يحصل من المسيح الكذاب . وقبل الرابع والاخير من جوج وماجوج كما هو مذكورٌ في سفر الرؤيا

(٢) وبواسطة كل اتيانٍ من المسيح يجعل الله نجاةً عظيمة فالاول الذي انتهى في خراب اورشليم كان مصحوبًا بتوجيه الكنيسة الى حال الانجيل المجيد . والثاني الذي كان في ايام قسطنطين حصل معهُ تقدم الكنيسة من الاضطهاد

الى الحرية ورضى الولاة عليها وغلبتها على الملوك الوثنيين. والثالث الذي سوف يكون عند سقوط المسيح الكذاب يحصل معهُ تقدمٌ للكنيسة الى تلك الحالة التي يغلب فيها الحق والحرية والسلامة والفرح غلبةً عظيمة كما تخبرنا بذلك الكتب المقدسة النبوية مراراً كثيرة . والرابع يكون مقروناً بتقدم الكنيسة الى تمام المجد في السماء

ثم ان كل اتيانٍ من المسيح هو مقرونٌ بخراب هائل على الاشرار واعداء الكنيسة. فالاول كان مقروناً بهلاك اليهود المضطهدين وذلك على وجهٍ مخيف والثاني باحكامٍ رهيبة على مضطهدي الكنيسة الوثنيين . والثالث بهلاك المسيح الكذاب الذي هو اعظم اعداء الكنيسة واكثرهم اضطهاداً لها . والرابع بغضبٍ ونقمةٍ من الله على جميع الامة. وزد على ذلك انهُ يوجد في كل مجيءٍ للمسيح انتهاء للسماء والارض القديمة وابتداء للحديثة او نهاية حالة زمنية وبداءة حالة ابدية

(٣) ان كل واحدٍ من هذه الحوادث الاربعة العظيمة المعبَّر عنها بمجيء المسيح في ملكوتهِ يحسب درجةً لا بدَّ منها لاجل تكميل ذلك الحادث العظيم الذي تنبأ بهِ دانيال قائلاً كنت ارى في رؤى الليل واذا مع سُحب السماء مثل ابن انسان اتى وجاء الى القديم الايام فقرَّبوهُ قدامهُ فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد لهُ كل الشعوب والامم والالسنة سلطانهُ سلطان ابدي ما لن يزول وملكوتهُ ما لا ينقرض دا ٧ : ١٣ و ١٤. فهذا هو الذي كان اليهود ينتظرونهُ ويدعونهُ اتيان ملكوت السماء . وهو الذي اشار اليهِ السيد المسيح ويوحنا المعمدان بقولهما قد اقترب ملكوت السموات وهذا الامر العظيم يتمُّ بعدة درجاتٍ

(٤) عند ما اتى المسيح بوعظ الرسل لكي يقيم ملكوتهُ في العالم في الزمان الذي انتهى بخراب اورشليم تمَّ ذلك بدرجة عظيمة . وعند ما خربت مملكة الوثنيين في ايام قسطنطين كمل بدرجةٍ اعلى . وعند ما يسقط المسيح الكذاب سوف يتمُّ بدرجة اعلى منها . ولكن عند ما يأتي آخر العالم يتمُّ حينئذٍ بدرجة

اعلى من الجميع . وبما ان هذه الاعمال الاربعة العظيمة هي رسمٌ لبعضها والثلاثة الاولى رموزٌ للاخير وكلها درجات متعددة تتجه الى تكميل امرٍ واحد نرى الانبياء جيلاً بعد جيلٍ يتنبأون عنها في بابٍ واحد وتحت اسم واحد كما في نبوة دانيال والاصحاح الرابع والعشرين من انجيل متى حيث نرى بعض الاقوال تتجه بالاكثر الى واحدٍ منها وبعضها تتجه الى آخر

فيظهر من ذلك انهُ كما يوجد عدة درجات لاكمال ملكوت المسيح يتم بذلك الامر باعظم مقدار في كل درجة تالية مما تم فيما قبلها حتى انهُ كان في ايام قسطنطين نجاحٌ في تكميل ملكوت المسيح اكثر مما كان في الزمان الذي انتهى بخراب اورشليم . وكذلك يكون عند سقوط المسيح الكذاب نجاحٌ اكثر من الذي كان في ايام قسطنطين وهلمَّ جرًّا فيما بقي حتى ان ملكوت المسيح اخذ يغلب وينمو بالتدريج في هذه الدرجات العظيمة من قيامة المسيح الى آخر العالم

(٥) هذا وان اعمال عناية الله العظيمة الحادثة في المدات بين تلك الحوادث الاربعة كانت لاجل تسهيل الطريق لملكوت المسيح ومجدٍ في الحادث العظيم الآتي فيما بعد . فان اعمال العناية الالهية نحو الكنيسة والعالم قبل خراب مملكة الامم في ايام قسطنطين قد كانت لاجل اعداد الطريق لمجد المسيح وسعادة الكنيسة في ذلك الحادث وكذلك يبان ان اعمال عناية الله العظيمة بعد ذلك الى اوان هلاك المسيح الكذاب وابتداء ازمنة الكنيسة المجيدة بعدهُ تكون لاجل اعداد الطريق لمجد المسيح الاعظم ومجد كنيستهِ في ذلك الحادث . وكذلك الاعمال التالية الى نهاية العالم انما تكون لكي يصير مجد المسيح اكثر ظهوراً عند نهاية جميع الاشياء . هذا ما اردت ذكرهُ بالاجمال مما يتعلق بهذه المدة الاخيرة قبل الشروع بالتفصيل عن اعمال العنايات الخصوصية التي بواسطتها يحصل التقدم في عمل الفداء في هذه المدَّة

ولقائلٍ ان يقول لماذا كان قيام ملكوت المسيح بعد اتضاعهِ بالتدريج على هذا المنوال مع ان الله يمكنهُ ان يكملهُ بسهولةٍ دفعةً واحدة . فاجيب ومع انهُ

من الجسارة ان نقتحم على ايضاح جميع غايات الله في هذا الامر نرى انهُ يظهر فيهِ لا محالة كثيرٌ من حكمتهِ وعلى الخصوص في الامرين التاليين

الاول ان مجد حكمة الله يكون بهذه الطريقة اكثر ظهوراً لأعين الخليقة . لانهُ لو تمَّ ذلك دفعةً واحدةً او في زمانٍ يسير لكان لا محالة يصعب ادراك اعمال الحكمة الالهية الخصوصية وتتعسر ملاحظتها جدًّا بخلاف ما اذا تم بالتدريج . وبناء على ذلك قضى الله بحكمتهِ ان يجري مقصدهُ العظيم بواسطة اعمالٍ عجيبة في سلسلةٍ طويلة متوالية لكي يُظهر مجد حكمتهِ في جميع تلك السلسلة ويُرى في اعمالٍ خصوصية متوالية . فانهُ لو ظهر كل المجد الذي لهذه الاعمال دفعةً واحدة لكان ذلك اكثر مما نقدر على اطاقة مشاهدتهِ وكان يدهش ابصارنا ويذهل عقولنا

الثاني ان الغلبة على الشيطان تكون امجد . فان الله كان يقدر بسهولة ان يسحق الشيطان دفعةً واحدة . ولكنهُ بواسطة تركهِ اياهُ ان يستعمل غاية جهدهِ في منع نجاح مأمولهِ المسيح واحتماله لم تحصل الغلبة عليهِ بغتةً بل حصل لهُ فرصةٌ لاستعمال اعظم قوتهِ ومكيدتهِ مراراً لكي يتقوى على قدر امكانهِ بواسطة عملهِ في اجيالٍ عديدة . وهكذا يهلكهُ الله ويخزيهِ ويثبّت ملكوت المسيح حيناً بعد حينٍ مع كل حيل الشيطان وخبثهِ واعمالهِ العظيمة وفي كل مدَّةٍ يرفع هذا الملكوت درجة بعد درجة الى ان يتمَّ ويتشيَّد ويتلاشى ملكوت الشيطان تمامًا الى الابد

(٢) كيف صار المسيح في حال موافقة لاجل تكميل الفداء

لا يخفى انهُ كما كان تجسد المسيح ضروريًّا لكي يشتري الفداء كانت قيامتهُ وصعودهُ لازمين لاجل نجاحهِ في شرائهِ كما يتضح مما يأتي

(١) عن قيامتهِ . ان المسيح لكي يحصل على غاية ومفعول شرائهِ للفداء كان لا بد لهُ ان يقوم من الموت لان الله قد سلم كل عمل الفداء لابنهِ ليس لكي يشتريهُ فقط ككاهن بل ايضًا لكي يجريهُ كملك ولكي يفعل ذلك كاله وانسان

معًا . فان الله الآب ما اراد ان يعمل شيئًا مع الانسان الساقط من وجه الرحمة الاَّ بواسطة وسيط . ولكن لكي يتم المسيح غاية شرائهِ كالهٍ وانسان لابد لهُ من القيامة من بين الاموات . ولهذا عند ما اكمل المسيح شراءهُ بالموت قام من الاموات لكي يكمّل غاية شرائهِ . وقد استودع الله الآب هذا الامر في يدِ لكي يكون كربّ الجميع يرتب كل شيء ويوجههُ نحو مقاصدهِ كما قيل لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على الاحياء والاموات

وبالحقيقة ان قيامة المسيح كانت جزءًا من نجاح ما عملهُ واحتملهُ في انضاعهِ لانهُ ولو كان المسيح لم يشترِ الفداء لنفسهِ قد اشترى الكرامة والمجد لنفسهِ جزاء لما عملهُ واحتملهُ كما قيل وضع نفسهُ واطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفَّعهُ الله ايضًا واعطاهُ اسمًا فوق كل اسمٍ في ٢:٨و٩ . وقد حُسِب ذلك جزءًا من نجاح شراء المسيح لانهُ لم يقم نظير شخص مفرد بل نظير راسٍ لكنيستهِ حتى كان جميع اعضاء هذه الكنيسة قد قاموا معهُ . وقد تبرَّر المسيح في قيامتهِ لان الله قد برَّرهُ بها اذ عمل واحتمل ما يكفي الايفاء عن خطايانا واقيم لاجل تبريرنا رو ٤:٢٥ . وقد ملَّكهُ الله الحياة الابدية نظير راس الكنيسة كعربونٍ وثيق لاتباعها لهُ. لان قيامتهُ لهُ المجد من بين الاموات هي ابتداء الحياة الابدية فيهِ لانهُ باعتبار كونهِ انسانًا كما هو الله كانت حياتهُ قبل موتهِ قابلة الموت وزمنية ولكن بعد قيامتهِ كانت حياةً ابدية كما قيل عالمين ان المسيح بعد ما أُقيم من الاموات لا يموت ايضًا لا يسود عليهِ الموت بعد رو ٦:٩. وقيل ايضًا انا هو الاول والآخر والحيُّ وكنت ميتًا وها انا حيٌّ الى ابد الابدين رؤ ١:١٧ و١٨

ثم ان قيامة المسيح هي اعظم سرورًا وبهجةً من جميع الحوادث الاخرى . لان المسيح استراح بها من العمل العظيم العسر وهو عمل اشتراء الفداء . وقد شهد لهُ الله بانهُ قد اكملهُ . ولا يخفى ان موت المسيح مع انهُ اعظم واعجب الحوادث جميعها كان فيهِ امورٌ محزنة بخلاف قيامتهِ. فان ذلك الحزن الذي كان عند موتهِ قد تحوَّل بها الى فرحٍ وحبورٍ. لان راس الكنيسة قد دخل عند وقوع هذا

الحادث العظيم عند امتلاك الحياة الابدية. وكأن الكنيسة باسرها كما قال الرسول قد ولدت بها ثانية لرجاء حيّ ١ بط ١: ٣. والنوح الذي دام ليلةً من الزمان قد عقبهُ فرحٌ عظيمٌ في الصباح. وفي هذا اليوم الذي قام فيهِ قد اخذ الملك كراسي الكنيسة وقد ملكت الكنيسة معهُ. ولا ريب ان هذا اليوم يستحق ان يُذكر بالفرح والابتهاج الفائق كما قال المرنم هذا اليوم الذي صنعهُ الرب نبتهج ونفرح فيهِ مز ١١٨: ٢٤. ولذلك تعين هذا اليوم دون سائر الايام ان يكون الى نهاية الدهر يومًا مقدسًا وان يُحفظ في كل اسبوعٍ كيوم راحة وفرح لكي تستريح الكنيسة وتفرح فيهِ مع راسها. وكما ان الاصحاح الثالث من سفر التكوين هو احزن اصحاحٍ في الكتاب المقدس كذلك فصول الاناجيل التي تخبرنا عن قيامة المسيح تحسب اكثر ابتهاجًا من سائر الفصول لانها تخبرنا عن تكميل شراء الفداء ودخول راس الكنيسة في المجد كأن ذلك اعظم ختم وعربون المجد الابدي الذي يكون لجميع اعضاء الكنيسة

ومما يُلاحَظ هنا ان نهار الانجيل قد ابتدأ بقيامة المسيح من الاموات لان الترتيب القديم بقي ثابتًا الى ان قام المسيح. واما الآن بعد قيامتهِ فقد بطل وزال لانهُ قد كمل وتمَّ كل ما يشار بطقوسهِ وسننهِ اليهِ. وهذا كان بالحقيقة الليلة الاخيرة للعهد القديم. وقيامة المسيح بالفرح والمجد كانت كاشراق الشمس بعد ليلٍ طويل مظلم متشحة بالنور الساطع لانارة العالم. وقد ابتدأ الآن ذلك الترتيب المبهج الذي شهدت لهُ الانبياء وتكلمت عنهُ بهذا المقدار. وظهرت شمس الانجيل بالمجد والبهاء والشفاء في اجنحتها لكي يخرج الذين يتقون الله وينشأون كعجول الصيرة مل ٤: ٢

(٢) نذكر مع صعود المسيح الى السماء جلوسهُ عن يمين الله الآب لان صعود المسيح ليس الاَّ ارتفاعهُ الى الآب بالمجد. فالعقيد ان ينفذ شعبًا كملكهم يقتضي ان يرتقي اولاً الى عرش العظمة لكي يكون قادرًا على اكمل طريقٍ لذلك العمل. والكتب المقدسة تخبرنا ان المسيح قد ارتفع لهذه الغاية التي هي اتمام نجاح

فدائهِ حيث تقول هذا رفَّعهُ الله بيمينهِ رئيسًا ومخلصًا ليعطي اسرائيل التوبة وغفران الخطايا اع ٥: ٣١

وقد كان صعود المسيح الى السماء كأنهُ تكليلهُ ملكًا اذ وضعهُ الله الآب على العرش ووشحهُ بمجد الملكوت الذي اشتراهُ لنفسهِ لكي يجري نتائج فدائهِ ويغلب على جميع اعدائهِ كما قيل في المزامير قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئًا لقدميك مز ١١٠: ١. وقد دخل المسيح الى السماء لكي يفوز بنجاح شرائهِ كما ان عظيم الكهنة في القديم كان بعد تقدمة الذبيحة يدخل الى قدس الاقداس بدمها لكي ينال النجاح في الذبيحة التي يقدمها . راجع عب ٩: ١٢ . ولكي يشفع في شعبهِ بناء على الذبيحة التي قدمها لاجل نجاح شفاعتهِ راجع عب ٧: ٢٥ . واذ صعد الى السماء وضعهُ الله الآب بطريقةٍ منظورة على العرش جاعلاً اياهُ ملك المسكونة واخضع لهُ الملائكة والسماء والارض لكي يتملك عليها لاجل خير الشعب الذي مات لاجلهِ راجع اف ١: ٢٠ الى ٢٢. وكما قام المسيح من الاموات صعد الى السماء كراس الجسد وسابق الكنيسة وهي كانها تصعد معهُ حتى اننا جميعًا نقوم معًا ونجلس معًا في السماء بيسوع المسيح اف ٢: ٦

ولا ريب ان يوم المسيح كان يومًا مملوءًا من الفرح والمجد في السماء . واذ قبلت السماء المسيح الاله والانسان ملكها قبلت لا محالة زيادة مجدٍ وسعادةٍ حتى ان الازمنة في جزئين من الكنيستين اي الجزء الذي في السماء والجزء الذي على الارض قد صار اكثر مجدًا بعد اتضاع المسيح مما كانت قبلهُ . وهذا كفايةٌ في هذا الباب

اما الوسائط التي استعملها المسيح لاجل انجاح عملهِ فمنها ابطال الرتبة اليهودية . ولا ريب ان ذلك كان بالتدريج مبتدئًا من قيامة المسيح التي هي اساسٌ لابطال هذا الترتيب . لان ترتيب اليهود لم يكن موافقًا لاستعمال كل العالم ولا لكنيسة الله الساكنة في جميع اقطار الارض . فمن المستحيل ان الناس الساكنين في جميع اقسام الارض يصعدون الى اورشليم ثلاث مرّات في السنة

حسب نص ذلك الترتيب. ولهذا عند ما قصد الله ان يوسّع كنيستهُ كما فعل بعد قيامة المسيح اقتضى بالضرورة ابطال ذلك الترتيب. ولو بقي لكان مانعًا عظيمًا لاتساع الكنيسة كما لا يخفى. وعدا ذلك قد كانت شريعتهم الطقسية بسبب قلها حجابًا حاجزًا بين اليهود والامم. ولو بقيت لمنعت الامم عن قبول الديانة الحقيقية. ومن ثمَّ قد خُرِق هذا الحجاب لاجل فتح باب لنجاح الانجيل نجاحًا اعظم راجع اف ٢: ١٤ و ١٥

بعد اطلاق الرتبة اليهودية يبان انهُ ترتب السبت المسيحي الذي هو الاحد. لانهُ مع ان ذلك قد ثبَّت بالتدريج في الكنيسة المسيحية فقد ابتدأت تلك الاشياء التي اعلن لنا بها الله مشيئتهُ يوم قيامة المسيح باستعلانهِ حينئذٍ لتلاميذهِ راجع يوحنا ٢٠: ١٩. وقد ثبَّت تعيين هذا اليوم فيما بعد بظهورهِ لهم حينًا بعد حينٍ فيهِ دون سائر الايام راجع يو ٢٠: ٢٦. وبواسطة ارسالهِ الروح القدس بنوعٍ عجيب في هذا اليوم راجع اع ٢: ١. وقد ثبَّتهُ بعد ذلك بواسطة امرهِ ان الاجتماعات الجمهورية بين المسيحيين لاجل العبادة تكون فيهِ كما يبان من اخبار الرسل ورسائلهم اع ٢٠: ٧ و ١ كو ١٦: ٢ و ٢ ورؤ ١: ١٠. فيكون اليوم الذي قام فيهِ المسيح من الاموات قد تعيَّن ان يكون يوم فرحٍ مقدس في الكنيسة الى نهاية العالم ويوم العبادة الجمهورية. وهذا لا محالة واسطة عظيمة جدًّا للنجاح الذي حصل للانجيل في العالم

ثالثًا بعد ذلك ترتَّبت خدَّام الانجيل عند ما ارسل المسيح تلاميذهُ وامرهم ان يتلمذوا ويعمدوا جميع الامم بقولهِ فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم بهِ. وها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر مت ٢٨: ١٩ و ٢٠. وان المسيح بارسالهِ تلاميذهُ وتفويضهِ اياهم على هذا المنوال قد عمل ثلاثة امور

الامر الاول تعيين وظيفة وخدمة الانجيل او ترتيب القسوس. لان التفويض الذي جعلهُ المسيح لتلاميذهِ يختص في اكثر اقسامهِ الجوهرية بالقسوس.

وان الرسل بقوّة ذلك كانوا قسوسًا او مشيخةً للكنيسة

الامر الثاني ان ينطلقوا من امّةٍ الى امةٍ ويكرزوا بالانجيل في العالم اجمع . وقد كان للرسل قوّة خصوصية في التعليم والسياسة ممتدّة الى جميع الكنائس لا التي كانت في ايامهم فقط بل التي وُجدت بعد ذلك او سوف توجد الى نهاية العالم . ومن ثمّ جُعلت الرسل اساساتٍ للكنيسة المسيحية على نوعٍ ما راجع اف ٢ : ٢٠ ورؤ ٢١ : ١٤

الامر الثالث رسم المعمودية المسيحية . وهذا الرسم كان له ابتداء قبل ذلك فان يوحنا المعمدان والمسيح كليهما قد عمّدا . واما الآن فانها قد ثبتت بهذا التعيين كرسم يحفظ في الكنيسة المسيحية الى نهاية العالم . واما عشية الرب فكانت قد ترتبت قبل صلب المسيح

رابعًا اعطاء الرسل وغيرهم بعد ذلك مواهب الروح القدس العجيبة على نوعٍ فائق الطبيعة كموهبة اللغات والشفاء والنبوة وهلمّ جرًّا . وقد سكب روح الله بفيضٍ من هذا القبيل حتى انهُ فضلاً عن خُدام الكلمة كان عددٌ عظيمٌ من المسيحيين في كل العالم حاصلين عليها من الكبار والصغار ليس اصحاب الوظائف والمعتبرون فقط بل العبيد والاماء ايضًا لكي يتمّ قول يوئيل النبي ص ٢ : ٢٨ و٢٩ . الذي ذكر بطرس الرسول انهُ قد تمّ في هذا العمل راجع اع ٢ : ١١

فما اعجب هذا الامر لان الله في العهد القديم لم يعطِ هذا الشرف الاّ لقليل من اصفيائهِ . نعم ان موسى تمنّى ان كل شعب الرب يكونون انبياء راجع عد ١١ : ٢٩ . الاّ ان يشوع استعظم ان الداد وميداد يتنبآن . واما الآن فاننا نرى ان بغية موسى قد تمت وبقي ذلك على وجهٍ مُعتبَر الى آخر الجيل الرسولي او المئة السنة الاولى بعد ميلاد المسيح ولذلك يقال لتلك المدة دور العجائب

وقد كان ذلك واسطة عظيمة لنجاح الانجيل وتثبيت الكنيسة المسيحية ليس في ذلك الجيل فقط بل في جميع الاجيال الى انتهاء العالم . لانهُ اذ قد

تثبتت الديانة المسيحية في قسمٍ عظيم بهذا المقدار من العالم المعروف بواسطة العجائب حُفِظت بعد ذلك على اكثر سهولة بواسطة الشهادة عنها او خبرها . وبواسطة هذه المواهب العجيبة استطاع الرسل وآخرون غيرهم ان يكتبوا العهد الجديد لكي يكون دستورًا راسخًا معصومًا من الغلط للايمان والعمل . والعجائب المذكورة في ما كتبوهُ بوحي الروح برهان متين لصدق الديانة المسيحية في جميع الاجيال

خامسًا الوحي بعد ذلك على طريقة واضحة بتلك التعاليم التي أُوحي بها في العهد القديم على طريقةٍ غامضة كتعليم كفّارة المسيح وبرهِ وصعودهِ ومجيءٍ وطريق الخلاص التي كانت في العهد القديم مستورةً تحت حجاب الرموز والاشارات كما ان موسى وضع برقعًا على وجههِ لكي يستر ضياءهُ . واما الآن فان ستر الهيكل قد انشقّ من فوق الى اسفل . والمسيح الذي كان موسى رمزًا لهُ هوذا يضيء وجههُ من دون برقعٍ ولا حجاب راجع ٢كو ٣: ١٢ و١٣ و١٨ . فالآن نرى هذه الاسرار العظيمة التي كانت محفوظة سرّية منذ انشاء العالم قد أُعلنت بكل صراحةٍ كما يتضح من قول بولس الرسول وللقادر ان يثبتكم حسب انجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب اعلان السر الذي كان مكتومًا في الازمنة الازلية رو ١٦: ٢٥ راجع اف ٣: ٢ الى ٥ . وقولهُ ايضًا السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الاجيال لكنهُ الآن قد أُظهر لقديسيهِ ص ١: ٢٦

وهكذا نرى شمس البرّ انها بعد ظهورها تبتدئ تضيء اضاءةً صافية لا بتكسرٍ ضعيف كما كانت قديمًا . فان المسيح قبل موتهِ اعلن اشياء كثيرة باكثر ايضاحٍ مما كانت في العهد القديم . ولكن اسرار فداء المسيح العظيمة كالمصالحة بموتهِ والتبرير ببرهِ لم تكن معلنةً على طريقٍ واضح بهذا المقدار قبل قيامتهِ . وهو قد اعطى سببًا لذلك اي انهُ لا يضع خمرًا جديدة في زقاقٍ عتيقة . ومن المحتمل ان المسيح بنفسهِ علم باكثر ايضاح بعد قيامتهِ وقبل صعودهِ لانهُ كما قيل بقي معهم اربعين يومًا يتكلم عن امور الملكوت راجع اع ١: ٣ . وفتح اذهانهم ليفهموا

الكتب لو ٢٤: ٢٥ . ولكن اعلان هذه الامور كان في الاكثر بعد فيض الروح يوم العنصرة حسبما وعد المسيح بقولهِ ان لي اموراً كثيرة ايضاً لاقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الآن واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق يو ١٦: ١٢ و١٣ . وهذا الاعلان الجليُّ لاسرار الانجيل قد حصلنا عليهِ في الاكثر بواسطة ما كتبهُ بولس الرسول الذي بواسطة رسائلهِ نقدر الاطفال ان تعرف تعاليم الانجيل اكثر مما عرف اعظم الانبياء تحت ظلام العهد القديم

فقد رأينا كيف ابتدأ نور الانجيل في الظهور حالاً بعد السقوط ونما شيئاً فشيئاً في جميع اجيال العهد القديم حتى صار الآن نور نهارٍ كامل كضياء الشمس المشرق في مجدهِ غير محجوبٍ بشيء من السحاب

سادساً ترتيب الشمامسة في الكنيسة المسيحية الذي يخبرنا بهِ صاحب كتاب الاعمال في الاصحاح السادس منهُ . وذلك لكي يكونوا نظاراً على اعالة اعضاء الكنيسة وممارسة تلك الفضيلة المسيحية العظيمة وهي المحبة بواسطة توزيع الصدقات على المحتاجين

سابعاً دعوة بولس الرسول واعدادهُ لعملهِ وارسالهُ اليهِ . وقد ابتدأ ذلك في ارتدادهِ وهو ذاهب الى دمشق . وكان ذلك واسطة عظيمة لنجاح فداء المسيح . لان هذا النجاح قد حصل بواسطة جهاد هذا الرسول وانذارهِ وكتاباتهِ اكثر من سائر الرسل جميعاً لانهُ كما يقول قد تعب اكثر منهم جميعهم راجع ١كو ١٥: ١٠ . واذ كان رسول الامم دعا الامم بواسطة خدمتهِ في الاكثر وامتدَّ الانجيل في العالم . وبواسطة هذا الاناء المصطفى قد وصل الانجيل الى شعوب اوربا واميركا . وقد استعملهُ الروح القدس في اذاعة تعاليم الانجيل بكتاباتهِ لاجل منفعة الكنيسة في جميع الاجيال اكثر من سائر الرسل الآخرين

ثامناً الامر الاخير الذي اذكرهُ في هذا الباب وهو كتابة العهد الجديد . فان الرسل قد كتبوهُ جميعهُ بعد قيامة المسيح ما عدا انجيل مرقس ولوقا وسفر الاعمال . ويُظنُّ ان الذي كتب انجيل مرقس هو ابن مريم التي كان التلاميذ

يصلّون في بيتها لاجل بطرس عند ما اخرجهُ الملاك من السجن واتى وقرع الباب كما قيل ثم جاء وهو منتبهٌ الى بيت مريم ام يوحنا الملقب مرقس حيث كان كثيرون مجتمعين وهم يصلّون اع ١٢: ١٢. وكان رفيقًا لبرنابا كما قيل فاشار برنابا ان يأخذا معهما ايضًا يوحنا الذي يُدعى مرقس اع ١٥: ٣٧. وقد كان ابن اخت برنابا. ويبان انهُ كان مدّةً من الزمان رفيقًا لبولس الرسول كما يتضح من قولهِ يسلم عليكم ارسترخس المأسور معي ومرقس ابن اخت برنابا الذي اخذتم لاجلهِ وصايا ان اتى اليكم فاقبلوهُ كو ٤: ١٠. والظاهر انهُ كان نافعًا جدًّا للرسل كما يبان مما تقدم ومما قيل ورجع برنابا وشاول من اورشليم بعد ما كملا الخدمة واخذا معهما يوحنا الملقب مرقس اع ١٢: ٢٥ وقيل ايضًا ولما صارا في سلاميس نادیا بكلمة الله في مجامع اليهود وكان معهما يوحنا خادمًا اع ١٣: ٥. وقال بولس الرسول لوقا وحدهُ معي خذ مرقس واحضرهُ معك لانهُ نافعٌ لي للخدمة ٢تي ٤: ١١

ثم ان الذي كتب انجيل لوقا وسفر الاعمال كان رفيقًا لبولس الرسول ويقال انهُ كان معهُ في سلاميس. وهو يتكلم عن نفسهِ كأنهُ رفيقٌ لبولس في اسفارهِ اذ يقول انطلقنا الى مكان كذا وركبنا السفينة ونحو ذلك. وكان محبوبًا جدًّا عند بولس واياهُ يعني بالطبيب الحبيب في رسالتهِ الى كولوسي ص ٤: ١٤. وهو يذكر مرقس ولوقا بين شركاء اتعابهِ حيث يقول ومرقس وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معي فل ٢٤

ثم ان اسفار العهد الجديد على ثلاثة اقسام تاريخية وتعليمية ونبوية. اما التاريخية فهي الاناجيل الاربعة المشتملة على تاريخ المسيح في شرائهِ الفداء وقيامتهِ وصعودهِ وسفر الاعمال وهو يتضمن اخبار الامور العظيمة التي بها تثبّتت الكنيسة المسيحية وامتدّت. واما التعليمية فهي الرسالات التي كتب اكثرها بولس الرسول العظيم. واما النبوية فمنها كتابٌ واحدٌ قد كُتب بعد اتمام الكتاب المقدس باسرهِ وهو سفر الرؤيا الذي يخبر عن الحوادث العظيمة التي سوف يتمّ

بواسطتها عمل الفداء الى نهاية العالم

ثالثًا الاحكام المتزلة على اعداء المسيح اي اليهود المضطهدين

(١) ان عامة الشعب قد دُفعوا الى عمى البصيرة وقساوة القلب وقد تهددهم المسيح بهذا الويل في ايام تجسدهِ راجع متِ ٢٣: ٣٤ و٣٥. وكذلك بولس الرسول قد توعدهم بذلك كما يتضح في الاعمال ص ١٨: ٢٥ الى ٢٧. ولم يزل هذا الحال مستوليًا عليهم الى الآن بعد ان لبثوا فيهِ نحو الف وثماني مئة سنة وهو ارهب مثالٍ لهذا الحكم واوضح علامة لنقمة الله الهائلة

(٢) انهم قد سقطوا من كونهم شعب الله المنظور لانهم قُطعوا من ذرية ابرهيم ولم يعودوا من ذلك الوقت يُحسبون زرعهُ اكثر من الاسمعيليين او الادوميين الذين هم زرع ابرهيم بحسب الطبيعة نظيرهم على حدٍّ سوى. وان الجزء الاعظم من السبطين قد رُفض الآن كما رُفض الاسباط العشرة فيما مضى واتخذ الله لهُ شعبًا آخر مكانهم حسبما تنبأ انبياؤُهم بقولهم هم اغاروني بما ليس الهًا اغاظوني بابا طيلهم فانا اغيرهم بما ليس شعبًا بامة غبية اغيظهم تث ٣٢: ٢١. اصغيت الى الذين لم يسألوا وُجدت من الذين لم يطلبوني اش ٦٥: ١. وقد رفضهم الله ظاهرًا عند ما امر الرسل ان يتحولوا عنهم ويتركوهم كما يتضح مما قبل فجاهر بولس وبرنابا وقالا كان يجب ان تُكلَّموا انتم اولاً بكلمة الله ولكن اذ دفعتموها عنكم وحكمتم انكم غير مستحقين لحياة الابدية هوذا نتوجه الى الامم اع ١٣: ٤٦ راجع ايضًا ١٨: ٦ و٢٨: ٢٨

الى هذا الحد كان لنا تاريخ الكتب المقدسة واما فيما بعد فما لنا الاَّ النبوات والتواريخ البشرية لكي نبني عليها الكلام

(٣) من جملة احكام الله على اعداء انجيلهِ خراب مدينتهم وبلادهم بواسطة الرومانيين. وقد حُذِّروا تحذيرًا بليغًا واستُعمل وسائط كثيرة لتنبيههم قبل وقوع هذا الخراب الهائل. فاولاً حذَّرهم يوحنا المعمدان وقال لهم قد وُضعت الفاس على اصل الشجر فكل شجرةٍ لا تصنع ثمرًا جيدًا تُقطَع وتلقى في النار. ثم

حذَّرهم المسيح بنوعٍ خصوصي وانذرهم بالخراب الذي كان قريبًا ان يحلَّ بهم وكان عند افتكارهِ بذلك يبكي عليهم واما هم فلم يبالوا بذلك بل اقاموا على مقاومة المسيح وكنيستهِ واستمرُّوا على اضطهاداتهم القاسية الشديدة. ويُظنُّ ان اضطهادهم لبولس الرسول كما ذُكِر في اواخر الاعمال كان قبل خرابهم بسبع او ثماني سنين فقط

ثم ارتضى الله ان يعطيهم بعد ذلك تحذيرًا آخر عجيبًا بواسطة بولس الرسول في رسالتهِ الى العبرانيين التي يُظنُّ انها كُتبت قبل خرابهم بنحو اربع سنين. والرسول يقدم لهم في هذه الرسالة ابسط البراهين واوضحها من شريعتهم وكتب انبيائهم المعتبرين عندهم جدًّا لاجل اثبات كون يسوع هو المسيح ابن الله بالحقيقة وان شريعتهم باسرها كانت رمزًا لهُ وان الترتيب اليهودي قد بطل لانهُ مع ان هذه الرسالة باكثر استقامة الى الذين آمنوا بالمسيح من العبرانيين لا ريب ان مضمونها يدل بكل صراحةٍ على انهُ قصد بها منفعة الذين لم يؤمنوا من اليهود واقناعهم. وهو يذكر فيها على الخصوص الخراب الذي كان قريبًا بقولهِ وبالاكثر على قدر ما ترون اليوم يقرب عب ص ١٠: ٢٥. الى ان يذكر قرب يوم الدينونة بقولهِ بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة ان تاكل المضادين ع ٢٧. ولكن بما ان جمهورهم بقي مصرًّا على العناد ولم يقنع انزل الله عليهم خرابًا هائلاً لم يكن لهُ نظير منذ انشاء العالم. وذلك لكي يتمَّ ما سبق المسيح فاخبر بهِ بقولهِ لانهُ يكون حينئذٍ ضيقٌ عظيمٌ لم يكن مثلهُ منذ ابتداء العالم الى الآن ولن يكون مت ٢٤: ٢١. وقد كان خراب اورشليم الذي جلبهُ عليها اهل بابل هائلاً جدًّا كما يخبرنا عنهُ ارميا النبي في مراثيهِ بعباراتٍ مؤلمة محزنة غير ان ذلك لم يكن شيئًا بالنسبة الى الشقاء الفظيع والسخط الشديد الذي حلَّ على اهلها من الرومانيين. لان الله جلب عليهم كما قال المسيح دم جميع الصديقين الذي سُفِك منذ انشاء العالم. وبذلك جعل اعداء المسيح موطئًا تحت قدميهِ بعد صعودهِ الى السماء حسبما وعد الله على لسان المرنم راجع مز ١١٠. وهو

برعاهم بعصًا من حديد وعند ما قام الفش والشوك لمقاومتهِ جاز في وسطها واحرقها جميعًا

وكان خراب اورشليم هذا مطابقًا لما اخبر المسيح بهِ في متى ص ٢٤ كما يبان واضحًا مما كتبهُ عن ذلك يوسيفوس المؤرخ الذي كان حينئذٍ حاضرًا ووقع عليهِ جانبٌ من بلايا هذا الخراب . ولا ريب ان ذلك الخراب الهائل يشبه في كثيرٍ من ظروفهِ ما يقع على الاشرار من الخراب يوم الدينونة . ويخبرنا يوسيفوس المذكور انهُ في وقت هذا الخراب ظهرت مناظر كثيرة مخوفة في السماء وحصل تمييزٌ بين الاخيار والاشرار كما سيكون يوم الدينونة . وان المدينة والهيكل هُدِما الى الاساس والارض التي كانت المدينة مبنية عليها حُرثت بالمحراث حتى لم يبقَ فيها حجرٌ على حجر الاَّ نُقض مت ٢٤ : ٢ . وبذلك وصل عالم العهد القديم الى اقصى نهايتهِ وكمل كل شيءٍ نظير يوم دينونةٍ . فخلص شعب الله وهلكت اعداؤهُ هلاكًا فظيعًا . والمسيح الذي هُزِئَ بهِ ونُفل على وجههِ من هولاء اليهود ووقع على اتباعهِ الاضطهاد الشنيع قد تسربل الآن بالمجد وظهر مرتفعًا على اعدائهِ

الفصل الاول

من خراب اورشليم الى ايام قسطنطين

ان خراب اورشليم كان بعد ولادة المسيح بنحو ثمان وستين سنة وذلك قبل انقراض الجيل الذي كان معاصرًا للمسيح واما خراب المملكة الوثنية في ايام قسطنطين فقد كان بعد ذلك بنحو مئتي سنة وستين سنة . واني في الكلام عن

كيفية نجاح الانجيل في هذه المدة أُلاحظ هذه الملاحظات. اولاً مقاومة الرومانيين لهُ. ثانيًا كيفية تقدم الانجيل مع تلك المقاومة. ثالثًا ضيقة الكنيسة الشديدة قبل نجاتها بواسطة قسطنطين. رابعًا الهياج العظيم الذي حصل في ايام قسطنطين

ان المقاومة التي وقعت على الانجيل وملكوت المسيح من الدولة الرومانية مع انها ابتدأت قبل خراب اورشليم كانت في الاكثر بعدهُ. غير ان ما كان منها قبل خراب اورشليم كان في الاكثر من اليهود ولكن بعد خراب اورشليم لم يَعُد لليهود قدرةٌ على ازعاج الكنيسة كثيرًا. ومن ثمَّ نرى الشيطان قد استعمل وسائط غير هولاء للحصول على مرادهِ. ثم ان هذه المقاومة للكنيسة من الدولة الرومانية كانت على الخصوص على نوعين

النوع الاول انهم استعملوا كل علومهم وحكمتهم وحذاقتهم في هذه المقاومة. ولا يخفى ان المسيح اتى الى هذا العالم في الجيل الذي كانت فيهِ العلوم والفلسفة في اعلى طبقاتها في المملكة الرومانية. والانجيل الذي كان يعلّم بخلاص مصلوب لم يكن في شيء مطابقًا لآراء الفلاسفة ولا مقبولاً عندهم. ومذهب المسيحيين في الاتكال على هذا المصلوب كان يُحسب عندهم جهالةً مضحكة. وكانت بلاد اليونان اشهر بلدان المملكة الرومانية في العلوم. وبولس الرسول يلاحظ ان التعليم بالمسيح مصلوبًا كان جهالةً عند اليونانيين راجع اكو ١:٢٣. ولهذا نرى الحكماء والفلاسفة قد قاوموا الانجيل. ومن امثلة هذه المقاومة معاملتهم بولس الرسول في اثينا التي كانت حينئذٍ المقام الاول للفلاسفة في كل العالم. ويخبرنا صاحب الاعمال ص ١٧:١٨. ان الفلاسفة من الابيكوريين والرواقيين كانوا يجادلونهُ وكانوا يقولون ماذا يريد هذا المهذار ان يقول. انهُ يظهر مناديًا بآلهة غريبة. وهكذا كانت عادتهم ان يسخروا ويهزأوا بالديانة المسيحية. وبعد خراب اورشليم اذاع بعض الفلاسفة كتبًا ضد هذه الديانة واولهم سلسوس وبرفيريس اللذان كتبا بكثيرٍ من الهزء والتهكم. ومع ما كان عندهما من العداوة الشديدة

والاستهانة بالديانة المسيحية لم ينكرا قط الحوادث المذكورة عن المسيح ورسلهِ في العهد الجديد ولا سيما العجائب التي صنعوها فانهما سلما بها. وبما انهما كانا قريبين جدًّا من زمان هذه العجائب لم يتجاسرا على انكارها لانها تمت جهارًا وقريبًا بهذا المقدار حتى انهُ لا اليهود ولا الوثنيون في تلك الايام انكروا حقيقتها لكنهم نسبوها الى السحر والعرافة

النوع الثاني ان ولاة الحكم الروماني بذلوا كل قوتهم حينًا بعد حين في مقاومة الديانة المسيحية واستئصالها لو امكن . وقد لاحظنا في ما مضى ان المسيح اتى الى العالم عند ما كانت قوة الحكم والسلطنة الوثنية في اعلى درجاتها في المملكة الرومانية . وكل قوة هذه المملكة بقيت زمانًا طويلاً مشتغلة باضطهاد الكنيسة المسيحية وملاشاتها. وكان هذا الاضطهاد في عشر دفعات خصوصية يقال لها الاضطهادات العشرة الوثنية

فالاضطاد الاول منها في ايام نيرون كان قبل خراب اورشليم بمدةٍ يسيرة فيهِ صُلِب بطرس وقُطع راس بولس بمدةٍ وجيزة بعد كتابتهِ رسالتهُ الثانية الى تيموثاوس . وعند ما كتب هذه الرسالة كان مسجونًا في رومية بحكم نيرون وهو يقول فيها فاني انا أُسكَب سكيبًا ووقت انحلالي قد حضر قد جاهدت الجهاد الحسن اكملت السعي حفظت الايمان ص ٤: ٦ و٧. وقد قُتل تحت هذا الاضطهاد الوفٌ كثيرة من المسيحيين . واما الاضطهادات التسعة الأُخر فقد كانت جميعها بعد خراب اورشليم وكان البعض منها هائلاً في الغاية يفوق الاضطهاد الاول تحت حكم نيرون . وكان كلما قام والٍ في هذه المملكة ينتصب بحنقٍ شديد في الغاية لاستئصال الكنيسة المسيحية من الارض بحيث لا يبقى حتى ولا اسم مسيحي في العالم . فقُتل بذلك من المسيحيين الوفٌ بل ملايين لانهم لم يعفوا عن الرجال ولا النساء ولا عن الشيوخ ولا الاطفال

وفي الاضطاد الثاني في ايام دومتيانوس الذي هو الثاني بعد خراب اورشليم قد نُفي يوحنا الرسول الى جزيرة بطمس حيث رأى تلك المناظر

المذكورة في سفر الرؤيا . وقد أُحصي الذين استشهدوا تحت هذا الاضطهاد فبلغوا نحو اربعين الفًا . وفي الاضطهاد الثالث على عهد ادريانوس بلغ عدد الذين ماتوا بالصلب وحدهم عشرة آلاف . وفي الاضطهاد الرابع الذي ابتدأ سنة ١٦٢ للمسيح استشهد كثيرون في انكلترا حيث انتشرت الديانة المسيحية كما يُظنُّ في ايام الرسل . واما في الاضطهادات الباقية فلما اشتدَّ غضب الولاة الرومانيين لاجل عدم نجاح اسلافهم الذين عجزوا عن ملاشاة الديانة المسيحية او منع تقدمها ازدادوا حنقًا على المسيحيين واستعملوا نحوهم قساوةً اعظم ما سلف

وهكذا قد مضى جانبٌ عظيم من الثلاث مئة السنة الاولى بعد المسيح في اضطهاداتٍ شديدة قاسية من الولاة الرومانيين على الكنيسة

والشيطان في بذلهِ هذا الجهد بواسطة المملكة الرومانية سمّي التنين الكبير الاحمر الذي لهُ سبعة رؤوس وعشرة قرون وهو يحارب المرأة المتسربلة بالشمس راجع رؤ ١٢ . وهذا القتال الواقع بين كنيسة المسيح وقوات المملكة الوثنية قبل قسطنطين يشار اليهِ بالقتال بين ميخائيل وملائكتهِ والتنين وملائكتهِ حيث قيل وحدثت حرب في السماء ميخائيل وملائكتهُ حاربوا التنين وحارب التنين وملائكتهُ ع ٧

ثانيًا نلاحظ النجاح الذي حصل للانجيل في العالم قبل زمان قسطنطين مع كل ما قام عليهِ من المضادَّة . ومع ان قوة المملكة الرومانية وعلومها كانت عظيمةً بهذا المقدار واستعملوا كل ذلك بغاية الاجتهاد ضد الديانة المسيحة كان جميع ذلك باطلاً فلم يقدروا على ملاشاتها ولا على منع تقدمها . وغلب ملكوت المسيح على نوعٍ عجيب رغمًا عن الجميع وملكوت الشيطان الوثني اضمحلَّ وتلاشى امامهُ اتمامًا لقول النبي هوذا كلهم كالثوب يبلون يأكلهم العث اش ٥٠ : ٩ . ولا يخفى انهم في الاكثر كلما ازدادوا اضطهادًا للكنيسة كانت تزداد نموًّا حتى قيل في المثل ان دم الشهداء هو بزر الكنيسة . قال يوستينوس الشهيد والاب

الشهير في الكنيسة المسيحية الذي كان في الجيل الذي بعد الرسل انهُ في ايامهِ لم يكن جماعةٌ من اليونانيين ولا البرابرة ولا غيرهم من اي طائفة كانت حتى ولو من اخشن الطوائف الاَّ وهي تقدم صلواتٍ وشكرًا لخالق العالم العظيم باسم يسوع المصلوب . وكذلك ترتوليانوس وهو ايضًا من آباء الكنيسة الفضلاء وقد ظهر في ابتداء الجيل الثاني يشهد ان الديانة المسيحية امتدَّت في ايامهِ الى اقاصي العالم المعروف في ذاك الوقت ويذكر بريطانيا من جملة الاقاليم التي امتدَّت اليها . ومن هنا يُستدلُّ على ان ملكوت المسيح كان يومئذٍ اكثر اتساعًا من كل مملكةٍ من الممالك الاربع العظيمة . وهو يقول ايضًا ان المسيحيين ولو كانوا نظير غرباء مُحدَثين الاَّ انهم قد ملأُوا جميع قصور الممالك الرومانية ومدنهم وجزائرهم وقلاعهم ودواوينهم ومجامعهم وجنودهم وعشائرهم وبلاط الحكم ومجلسهُ ولم يتركوا للامم الاَّ هياكلهم فقط . وقال ايضًا انهم اذا تركوا جميعهم المملكة الرومانية يندهش العالم من الوحشة والخراب الذي يأْتي عليها لانهُ لا يبقى فيها الاَّ جماعة قليلة . وان المسيحيين كانوا قادرين على المحاماة عن انفسهم بسهولة لو ارادوا ان يحملوا السلاح على دولة الوثنيين . قال افليبوس الوثني الذي كان في تلك الايام ان جماهير غفيرة من كل سبطٍ وسنٍّ ورتبة صاروا مسيحيين . وقال ايضًا ان هذه الخرافة لم تنتشر وتملأِ المدن فقط ولكن امتدَّت الى الكُوَر والقرى ايضًا حتى ان الهياكل والذبائح كادت تُنفد وتُترَك تمامًا

وكان مشهورًا عند المؤرخين من الامم والمسيحيين في تلك الايام ان الاعلانات الوثنية الشهيرة في هياكل الامم التي كان الروساء وغيرهم يسمعون فيها من آلهتهم كما يظنون جوابًا عما يسألونهُ قد ضُربت حينئذٍ بالخرس ولم تعد تعطي جوابًا ولا سيما الاله الذي كان في دلفوس وهو اشهر الهياكل في العالم وكان اليونانيون والرومانيون يطلبون منهُ فانهُ تعطل عن الاجابة في تلك الايام منذ ولادة المسيح . والاله الكاذب الذي كان يُعبد ويجيب على لسان تمثالهِ في هذا الهيكل عندما سُئل مرةً لماذا لا يعطي الآن جوابًا حسب عادتهِ اجاب كما يخبرنا

بعض مؤرخي الوثنيين الذين كانوا بالقرب من تلك الايام بقولهِ انهُ يوجد طفلٌ يهوديٌّ وهو ملك الآلهة قد امرني ان اترك هذا الهيكل واذهب الى جهنم ولهذا لا ينبغي ان تنتظروا مني اجوبةً بعد الآن . وكثيرون من علماء الوثنيين الذين كانوا بالقرب من ذلك الوقت يتكلمون عن صمت هذه الآلهة متعجبين من ذلك غير عارفين سببهُ . وبلوطرخوس كتب رسالةً مخصوصة في ذلك وهي لم تزل باقية الى الآن . وبرفيريس الذي قاوم الديانة المسيحية كما مرَّ يقول انهُ لا عجب من ان هذه المدينة قد امتلأت في هذه السنين الكثيرة من المرض لان اسكولابيوس وبقية الآلهة قد تنزهوا عن معاشرة الناس لانهُ من حين ابتدأت الناس في عبادة يسوع لم يحصل احدٌ على مساعدة ظاهرة ولا منفعة من الآلهة . انتهى . وهكذا غلب ملكوت المسيح على ملكوت الشيطان

ثالثًا احوال الشدائد والبلايا الخصوصية التي حصلت قبل ارتقاء قسطنطين الى كرسي الملك فانها كانت في الاضطهاد العاشر الوثني الذي كان آخر الاضطهادات واعظمها قساوةً لان الكنيسة كانت بعد نهاية الاضطهاد التاسع قد حصلت على الهدوء والراحة نحو اربعين سنة . ولكن المسيحيين بسبب هذه الحرية اخذوا يفتُرون عن الديانة وكثرت الخصومات بينهم فاغضبوا الله حتى سمح بوقوع هذه التجربة الهائلة عليهم . وبعد ان كان الشيطان قد خسر بهذا المقدار مع كل اجتهادهِ نهض حينئذٍ الى مقاومتهم برجزٍ شديد . وارباب السلطة اجتهدوا بكل استطاعتهم ان يلاشوا الديانة المسيحية باحراق كل الاسفار المقدسة واهلاك المسيحيين . ولذلك لم يتوقفوا حتى يجرّوهم امام الولاة ويحكموا عليهم بل هجموا عليهم حيثما اصابوا لهم فرصةً وكانوا تارةً يضرمون النار في البيوت التي يجتمعون فيها فيحرقونهم جميعًا . واحيانًا كانوا يقتلون جموعًا غفيرة منهم حتى يكلُّوا من الجهاد في قتلهم وتعذيبهم . وفي بعض الاماكن قتل الشعب كثيرين منهم دفعة واحدة حتى جرت الدماء كالسيول الغزيرة . قيل انهُ قُتل في شهرٍ واحد سبعة عشر الف شهيد وانهُ في مدة هذا الاضطهاد في الاقليم المصري وحدهُ لم يكن

عدد الذين ماتوا من المسيحيين بالاضطهاد اقل من مئة واربعين الفاً وذلك عدا سبع مئة الف منهم ماتوا من جرى مشقّات النفي والاشغال التي كلّفهم بها الحكم على سبيل القصاص

وهذا الاضطهاد بقي عشر سنين وكما فاق جميع الاضطهادات السابقة في عدد الشهداء فاقها ايضاً في كثرة الاختراعات لاجل الألم والعذاب . قال بعض المؤرخين الذي كان في ذلك الوقت انها كانت تفوق الوصف ولا يمكن احصاؤها . وهذا الاضطهاد على الخصوص كان شديداً جدًّا في انكلترا . وهو الذي تنبأ به صاحب الرؤيا بقوله ولما فتح الختم الخامس رأيت تحت المذبح نفوس الذين قُتلوا من اجل كلمة الله ومن اجل الشهادة التي كانت عندهم وصرخوا بصوتٍ عظيم قائلين حتى متى ايها السيد القدوس والحق لا تقضي ولا تنتقم لدمائنا من الساكنين على الارض ص ٦ : ٩ و ١٠ . وفي آخر العشر السنين التي استمرّ فيها هذا الاضطهاد ظنّ المضطهدون الوثنيون انهم قد اكملوا عملهم وكانوا يفتخرون بانهم قد لاشوا بالتمام اسم المسيحيين وخرافتهم وردّوا عبادة الآلهة ونشروها جديداً

فقد كان ذلك الوقت اظلم الاوقات للكنيسة المسيحية قبل ان طلع النهار حتى انهم وصلوا الى حد التلف قبل ان ظهر الله لخلاصهم المجيد . كما ان عبودية بني اسرائيل في مصر كانت اقسى واشد ما يكون في ذلك الوقت قبل نجاتهم عن يد موسى . وقد ظنّ اعداؤهم انهم ابتلعوهم كما ظنّ فرعون وجنودهُ عند ما احاطوا ببني اسرائيل عند البحر الاحمر

رابعاً فلنتقدم الآن الى ذكر التقلّب العظيم الذي حدث بواسطة قسطنطين وكان من وجوهٍ كثيرة نظير ظهور المسيح في السحاب لكي يخلص شعبهُ ويدين العالم . يخبرنا المؤرخون انهُ لما ضجر شعب رومية من حكم المرَدَة الذين كانوا متسلطين عليهم ارسلوا في طلب قسطنطين الذي كان حينئذٍ في مدينة يورك من اعمال انكلترا لكي يأتي ويأخذ الولاية . وقيل ان الذي شجّع

قسطنطين على اجابة طلبهم هو حلمٌ رأى فيهِ عمود نور في السماء على هيئة صليب قدام كل عسكرهِ وكان مكتوبًا عليهِ باليونانية عبارةٌ معناها بهذا تغلب وكذلك ظهور المسيح لهُ في الليلة التالية بحلمٍ آخر وفي يدهِ ذاك الصليب نفسهُ قائلاً لهُ ان يعمل صليبًا مثلهُ ويجعلهُ رايتهُ الملكية ويقاتل عساكرهُ تحت هذه الراية فانهُ يغلب لا محالة . وبذلك ظفر قسطنطين باعدائهِ واستولى على كرسي المملكة ودخل في الديانة المسيحية فكان اول ملوك المسيحيين . وكان جلوسهُ على تخت الملك بعد المسيح بثلاث مئة سنة وعشرين سنة . ولا بد من ذكر بعض امور عند ما تولى قسطنطين او على اثر ولايتهِ

الامر الاول ان الكنيسة المسيحية تخلصت بالتمام من الاضطهاد واتى حينئذٍ نهار خلاصها بعد ظلام ذلك الليل الحالك . ولم يبقَ بعد ذلك خوف على المسيحيين لان جميع مضطهديهم قد انخذلوا وصارت ولاة امورهم مسيحيين مثلهم

الامر الثاني ان الله ظهر حينئذٍ لكي يجري احكامًا هائلة على اعداء شعبهِ . وما اغرب الاخبار المذكورة في التواريخ عن العاقبة التي انتهى اليها ملوك الوثنيين وامراؤهم وقوادهم ورؤساؤهم وغيرهم من العظماء الذين بذلوا جهدهم في اضطهاد المسيحيين فانهم ماتوا موتًا شنيعًا واحدًا بعد آخر تحت عذابات الجسد وآلام دودة الضمير . وكانت يد الله ظاهرة عليهم حتى انهُ يمكن ان يقابل ما حصل عليهم في ذلك الوقت باختفائهم في المغائر وشقوق الصخور

الامر الثالث ان عبادة الاوثان كادت حينئذٍ تتلاشى بالتمام من المملكة الرومانية فكُسرَت التماثيل وهُدِمت الهياكل واتوا بتماثيل الذهب والفضة وضربوها دراهم ودنانير . والبعض من اعظم تماثيلهم المزخرفة بالنقوش المختلفة جاءوا بها الى القسطنطينية وكانوا يسحبونها في الاسواق بحبال طائفين بها لاجل التفرج والضحك . واما كهنة الوثنيين فانهم نُفوا وتبدَّدوا في الارض

الامر الرابع ان الكنيسة المسيحية فازت بسلامة عظيمة ونجاح بليغ . لان الملك حينئذٍ سُلب من الوثنيين وأُعطي للمسيحيين . فصار الرؤساء والولاة

والقضاة والقواد جميعهم مسيحيين واجتهد قسطنطين الملك في رفع شان القسوس وبناء الكنائس وتزيينها فاقام كنائس عظيمة جميلة في جميع اقسام العالم عوضاً عن الهياكل الوثنية

ولا يخفى ان هذا التقلب كان اعظم التقلبات التي حدثت بعد الطوفان . فان الشيطان الذي هو سلطان الظلمة وملك العالم الوثني والهة طُرح مخذلاً وحمل الله الوديع غلب الاسد المفترس في اعظم قوته وممالكه . وكان ذلك اتماماً عجيباً لقول ارميا النبي الآلهة التي لم تصنع السموات والارض تبيد من الارض ومن تحت هذه السموات ض ١٠ : ١١ واكثر الناس ارتضوا حينئذٍ ان يطرحوا آلهتهم وديانتهم القديمة التي استمروا متمسكين بها مدّةً طويلة لانهم لم يعرفوا لها ابتداء . ولم يُعهَد اصلاً في الزمان القديم ان امةً تغيّر آلهتها راجع ار ٢ : ١٠ و ١١ . واما حينئذٍ فاكثر الامم في الدنيا ارتضوا ان ينبذوا آلهتهم القديمة والآلهة الكثيرة التي كانوا يعبدونها طُرِحت جميعها لاجل عبادة الله الاله الحقيقي والمسيح المخلص الوحيد وكانت آلافاً كثيرة وبذلك تمّ ما تنبأ بهِ اشعياء النبي بقولهِ فيخفض تشامخ الانسان وتوضع رفعة الناس ويسمو الرب وحدهُ في ذلك اليوم وتزول الاوثان بتمامها اش ص ٢ : ١٧ و ١٨ . وفي تلك الايام صارت تلك الآلهة الشهيرة كعطارد والمريخ والزهرة ويونون خبراً يُسمَع بهِ فقط كامور قديمة فلم يكن لها هياكل ولا مذابح ولا عبّاد على مئاتٍ كثيرة من السنين

فاتى حينئذٍ آخر العالم الوثني القديم في القسم الاعظم منهُ اعني المملكة الرومانية . وهذا التقلب العظيم المقترن بالهلاك الهائل الذي اصاب القوم الاكابر الذين اضطهدوا الكنيسة يُقابَل بآخر العالم ومجيء المسيح المدينونة . راجع رؤ ص ٦ ويدل عليهِ تحت الختم السادس رؤ ٦ : ١٠ . وقد اطبق راي المفسرين على ان رؤيا الختم السادس تتجه الى سقوط المملكة الرومانية الوثنية ولو كانت تشير ايضاً الى امر ابعد من ذلك اي يوم الدينونة الذي كان ذلك رمزاً لهُ . ويوم الدينونة لا يمكن ان يكون هو المقصود على استقامةٍ بها لانهُ يوجد خبر

امور كثيرة سوف تكون بعد الاشياء المحوية في الختم السادس

وما حدث في ذلك الوقت يشار اليهِ بسقوط الشيطان من السماء الى الارض. فانهُ لما كان في عظمة قوتهِ ومجدهِ على المملكة الرومانية القديمة رفع كرسيهُ الى السماء. واما حينئذٍ فانهُ سقط كالبرق من السماء وانحصرت مملكتهُ في ادنى الامم واشدها توحشًا. وقد تنبأ صاحب الرؤيا بذلك عند قولهِ فطرِح التنين العظيم الحية القديمة المدعو ابليس والشيطان الذي يضلُّ العالم كلهُ طُرِح الى الارض وطُرِحت معهُ ملائكتهُ رؤ ١٢: ٩. وكان الشيطان قد جرَّب المسيح اولاً ووعدهُ ان يعطيهُ مجد ممالك العالم. واما حينئذٍ فقد التزم ان يعطيهُ اياها رغمًا عنهُ. وكان ذلك تكميلاً لما وعد الله بهِ ابنهُ بقولهِ لذلك اقسم لهُ بين الاعزاء ومع العظماء يقسم غنيمةً من اجل انهُ سكب للموت نفسهُ وأُحصي مع أثَمَة اش ١٢: ٥٣

وما قيل عن نجاح الانجيل من صعود المسيح الى ايام قسطنطين يمكننا ان نستنتج برهانًا وطيدًا على صدق الديانة المسيحية ولكون انجيل يسوع هو من الله بالحقيقة نستنتج هذه النتائج الآتية

اولاً ان الانجيل وحدهُ كان بالحقيقة هو الواسطة لاقتياد العالم الى معرفة الاله الحقيقي. وبعد ما علمنا الانجيل كون الآلهة التي عبدها الوثنيون لم تكن آلهةً وانهُ لا يوجد الاَّ الهٌ واحدٌ فقط يمكننا ان نرى بواسطة عقولنا ان ذلك صدق لانهُ يطابق النور الطبيعي مطابقةً جلية. ومن الواضح ان الانجيل وحدهُ كان هو الواسطة لاقتياد الناس الى معرفة هذه الحقيقة ولم تكن تعاليم الفلاسفة واسطةً لذلك لانهم اجتهدوا باطلاً والعالم بالحكمة لم يعرف الله. ولا يخفى انهُ قبل انتشار الانجيل وسائر الاسفار المقدسة كان جميع العالم جالسًا في ظلمة الجهل من جهة الاله الحقيقي والديانة الصحيحة. وكان يتمسك بآراء واعمال منكرة يشهد الآن جميع القبائل المتمدنة انها باطلةٌ ذميمة. ونور الطبيعة وعقول العلماء وكل حكمتهم لم تنفع شيئًا حتى جاءت الكتب المقدسة التي قدرت على اقناع العالم ان

يعترف بوجود اله واحد فقط حقيقي وان يسجدوا لهُ ويعبدوهُ

ثانيًا ان غلبة الانجيل على تلك المقاومات القوية جدًّا تظهر لنا واضحًا يد الله. فان الحكم الروماني الذي اجتهد بكل قوتهِ في منع نجاح الانجيل واذلال كنيسة المسيح كان اقوى الاحكام وكانت الكنيسة مع ذلك في قبضة يدٍ والمسيحيون الذين كانوا تحت سلطتهِ لم يحملوا السلاح قط للمحاماة عن انفسهم لانهم لم يتسلحوا الاَّ بالصبر. ومع ذلك لم تتغلب هذه القوة القديرة بل بالعكس قد تغلبت الديانة المسيحية عليها. ولا يخفى ان المملكة الرومانية تغلبت على ممالك كثيرة مقتدرة ذات سطوةٍ عظيمة وبأس شديد حتى غلبت المملكة اليونانية التي قاومتها مقاومةً منيعة. ومع ذلك لم تقدر ان تغلب الكنيسة التي كانت في يدها بل تقهقرت عنها حتى اخيرًا صارت النصرة عليها من الكنيسة

ثالثًا انهُ لا يمكن ان نعيّن علةً كافية لانتشار الانجيل بهذا المقدار الاَّ قوة الله فقط لانهُ في اول الامر كان يبشر بهِ صيّادون ليس لهم قوةٌ ولا واسطة عالمية يعتمدون عليها ولا حذاقةٌ ولا حسن تدبيرٍ يتصرَّفون بهِ لانهم كانوا فقراء أُميين. ولم تكن اخبارهم مطابقةً لافكار الناس واذعانهم لان الخبر بالهٍ ومخلص مصلوب كان عثرةً لليهود وجهالةً للامم. ولا تعاليمهم موافقة لميل الناس الطبيعي لانهُ لا يوجد شيء ابعد عن موافقة طبيعة البشر الفاسدة من تعاليم الانجيل الطاهرة. ومع كل ذلك قد حصل الانجيل على هذا النجاح العظيم فلا ريب ان هذا الاثر لم يكن ناتجًا الاَّ عن قوة الله وفعلهِ القدير. واذا كان الله قد استعمل قوتهُ لنصرة الانجيل فلا بد ان يكون الانجيل كلامهُ تعالى بالحقيقة لانهُ من المستحيل ان يستخدم قوتهُ الفائقة لتأييد الزور والاكاذيب

رابعًا ان هذا النجاح مطابقٌ لما اخبر بهِ المسيح ورسلهُ كما في قولهِ لهُ المجد وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها مت ١٦: ١٨. وقولهُ الحقَّ الحق اقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت فهي تبقى وحدها ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير يو ١٢: ٢٤ و٣٢. وقولهُ ايضًا الآن دينونة هذا العالم. الآن

يُطرَح رئيس هذا العالم خارجًا وانا ان ارتفعت عن الارض اجذب اليَّ الجميع ع ٣١ و٣٢ . وقولهُ ايضًا ومتى جاء ذاك يبكّت العالم على خطيةٍ وعلى برٍّ وعلى دينونةٍ ١٦ : ٨ الى ان يقول لان رئيس هذا العالم قد دِين ع ١١

وكذلك يقول بولس الرسول لانهُ اذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله ان يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة ١كو ١ : ٢١ . الى ان يقول بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الاقوياء واختار الله ادنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود ع ٢٧ و٢٨ . ولا يخفى انهُ اذا سبق احدٌ واخبر بامرٍ محتمل الوقوع في نفسهِ لا يكون ذلك منهُ برهانًا على الوحي اليهِ من الله لاحتمال ان يكون ذلك منهُ عن ملاحظة اسبابٍ يمكن سبق النظر اليها . ولكن اذا سبق احدٌ واخبر بامرٍ مضادٍّ بالكلية لمجرى الامور الاعتيادي ثم وقع ذلك الامر طبق الخبر السابق عنهُ فذلك برهانٌ قاطعٌ على ان الاخبار كان من الله . واذا كان ذلك كذلك فلا بد ان يكون انتشار الانجيل ونجاحهُ في الايام التي اشير اليها دليلاً واضحًا على ان الكتب المقدسة هي كلام الله

الفصل الثاني

من ايام قسطنطين الى ظهور المسيح الكذاب

نريد الآن ان نبين نجاح فداء المسيح من انقلاب المملكة الوثنية الرومانية في ايام قسطنطين الكبير الى قيام المسيح الكذاب . ولا بد لنا من ملاحظة المقاومة

التي حصلت لهذا النجاح لكي تكون اعمال الله العظيمة في ذلك اكثر وضوحًا ولكي نرى نحن مجد تلك الاعمال فنقول

ان الشيطان التنين الكبير الاحمر بعد محاربته ميخائيل وملائكته محاربةً شديدة في القسم الاكبر من مدة ثلاث مئة سنة هُزِم اخيرًا وغُلِب حتى كان كأنهُ طُرِح من السماء الى الارض . ولكنهُ لم يترك الحرب مع المرأة التي هي كنايةٌ عن كنيسة المسيح التي من اجلها وقع كل هذا الكفاح بل لم يزل مغضبًا يجدد نضالهُ ويخترع حيلاً جديدة لمقاومة الكنيسة . ولما رأى هذا انهُ طرِح من السماء الى الارض ألقى من فيهِ ماءً مثل نهرٍ ليغرقها فيهِ . ولا يخفى ان مقاومتهُ لكنيسة المسيح قبل قيام المسيح الكذاب كانت في الاكثر على نوعين احدهما افسادهُ الكنيسة بواسطة الارتقات والثاني اجتهادهُ في ترجيع العبادة الوثنية

اما النوع الاول فان الشيطان بعد خراب المملكة الوثنية الرومانية شوَّش الكنيسة وازعجها بانشاء الارتقات . ومع ان الله قد عمل عملاً عظيمًا في انقاذهِ الكنيسة من ايدي مضطهديها الوثنيين وقلبهِ المملكة الوثنية . ولكن بما ان ايام مخاض الكنيسة لم تكمل والزمان المعين لراحتها بعد سقوط المسيح الكذاب لم يحضر كانت الراحة التي تمت بها ايام قسطنطين قصيرةً جدًّا . فكان ذلك هدنةً حصلت فيها الكنيسة على زمان امانٍ وهدوء كأنهُ الى نصف ساعة حين امسك الاربعة الملائكة الرياح الاربع عن الهبوب الى ان يختم عبيد الله في جباههم . ولكن بعد ذلك بقليل ابتدأت الارتقات تسجس الكنيسة وتقلقلها . وكانت الارتقة الاريوسية والنسطورية اعظمها واكثرها اذًى وضررًا

اما البدعة الاريوسية فانها ابتدأت حينما جلس قسطنطين على تخت الملك . فانكر اصحابها تعليم الثالوث ولاهوت المسيح والروح القدس زاعمين انهما كانا مخلوقين . واخذت هذه البدعة تزداد وتنمو شيئًا فشيئًا في الكنيسة حتى كادت تغلب كل شيء وصارت كطوفان يظهر ان يأخذ كل شيء في طريقهِ ويتلفهُ وقبل ختام الجيل الرابع صار الجانب الاكبر من كنيسة المسيح اريوسيين

وكذلك بعض الملوك من خلفاء قسطنطين . واذ كان هولاء القوم هم الحزب الغالب وكانت دولة المملكة مائلةً نحوهم اثاروا اضطهاداً على كنيسة المسيح الحقيقية حتى صحت مقابلة هذه البدعة بالماء الخارج من فم التنين الذي ازمع ان يغلب كل شيء ويجعل المرأة ويغرقها

ثم ظهرت الارتقة البيلاجيَّة في ابتداء القرن الخامس . وكان المبتدع لها رجلاً اسمهُ بيلاجيوس . فهذا المبتدع انكر الخطية الاصلية وعمل روح الله في ترجيع الخاطئ مستنداً على قوة الارادة المطلقة . وله تعاليم اخرى كثيرة مثل هذه . وهذه البدعة ازعجت الكنيسة كثيراً مدة من الزمان . والذي كان اعظم خصم لهذا المبتدع وكتب كتباً يحامي بها عن الايمان الحقيقي هو اغوسطينوس

واما النوع الثاني من المضادة التي اقامها الشيطان على الكنيسة فهو اجتهادهُ في ترجيع الديانة الوثنية . وكان اول محاولتهِ بواسطة يوليانوس المرتد . ويوليانوس هذا كان ابن اخي قسطنطين الكبير . فبعد ما توفي قسطنطين ترك الملك لثلاثة بنين له . وبعد وفاتهم تملك يوليانوس مكانهم وكان يقرُّ بالديانة المسيحية الاَّ انهُ تركها وارتدَّ وثنيًّا ولهذا لُقب بالمرتد . وعند ما جلس على كرسي الملك اجتهد بكل طاقتهِ ان يغلب الكنيسة المسيحية ويردَّ الديانة الوثنية الى المملكة . فخلع الولاة المسيحيين واقام مكانهم من الوثنيين وجدد بناء الهياكل الوثنية واثبت العبادة الاصنامية وصار اعظم المضطهدين للمسيحيين وكان يدعى المسيح بالجليلي على سبيل الاستخفاف بهِ . ثم قُتل بطعنة رمح اصابتهُ في حربهِ مع الفرس . وكان اذ رأى نفسهُ انهُ قد انجرح جرحًا بليغًا قائلاً اخذ حفنةً من دمهِ ورمى بها نحو السماء وقال قد غلبتَ ايها الجليليُّ

وقد استعمل الشيطان طريقًا لترجيع الديانة الوثنية في المملكة الرومانية وهو فتوحات الشعوب الوثنيين وانتصاراتهم . لان في هذه الفترة اتى الجوث والفندال وغيرهم من البرابرة من الشمال وهجموا على المملكة وفازوا بغلبات عظيمة واتسعوا هناك حتى ملأوا المملكة . وفي الجيل الخامس اخذوا رومية

واخيرًا غلبوا واستولوا على النصف الغربي من المملكة وقسموهُ بينهم عشر ممالك. وعند ذلك ابتدأت قرون الوحش العشرة. لانهُ قيل ان العشرة القرون هي عشرة ملوك يظهرون في اواخر المملكة الرومانية. ويُظنُّ ان فتوحات هذه القبائل البربرية قد تُنبئَ عنها في الاصحاح الثامن من سفر الرؤيا بما حدث عند الهتاف بالاربعة الابواق الاولى. وبواسطة هذه القبائل رجعت الديانة الوثنية الى حينٍ بعد ما كانت قد تلاشت

ثم نتقدم ونبين ماذا كان للانجيل من النجاح في هذه الفترة مع كل تلك المقاومة فنقول

اولاً ان مقاومة الشيطان في تلك الامور لم تحصل على المطلوب. ومع ان التنين الفى من فمهِ نهرًا عظيمًا هكذا وراء المرأة لكي يغرقها قد خاب سعيهُ ولم يبلغ ما اراد بل ساعدت الارض المرأة وفتحت فاها وابتلعت تلك المياه العظيمة التي قذفها التنين من فمهِ. وعلى ذلك وجدنا ان هذه البدَع التي قويت كثيرًا الى حينٍ قد ضعفت بعد قليل ورجعت الديانة المستقيمة

ثانيًا ان الانجيل في هذه الفترة زاد امتدادهُ بين امم كثيرة من البرابرة الوثنيين داخل حدود المملكة الرومانية. وفي ايام قسطنطين امتد الانجيل كثيرًا في الهند الشرقي وعلى الخصوص بواسطة خدمة رجل يقال لهُ فرومنتيوس. وان عددًا جزيلاً من الايباريانيين ارتد الى الديانة المسيحية بواسطة امرأة مسيحية فاضلة كانوا قد استأسروها. وعندنا خبرٌ عن قبائل اخر كثيرة من البرابرة الذين كانوا خارج المملكة الرومانية ان جمهورًا عظيمًا منهم قبلوا الانجيل بواسطة تعليم ومثال المسيحيين الذين استأسروهم في الحرب. وفي نحو سنة ٣٧٣ للمسيح انتشر الانجيل بين بعض العرب وبعض قبائل الشمال وتنصَّر رئيسٌ من الجوث وعددٌ كثيرٌ من شعبهِ معهُ. وفي اواخر هذا الجيل انتشر الانجيل ايضًا بين الفرس والسكيثيين البرابرة الذين يذكرهم الرسول بقولهِ لا بربري ولا سكيثي الى آخرهِ كو ٣: ١١

وبعد ذلك نحو سنة ٤٠٠ المسيح رجع جمع غفير من البركنديين الى الايمان المسيحي. وفي هذا الزمان ابتدأ الانجيل ينتشر في ارلندا واهلها الذين كانوا وثنيين ابتدأوا يقبلون الايمان المسيحي. وفي تلك الايام ايضاً انتشر الانجيل بين البعض من القبائل الوثنية في سكوتلندا واماكن أُخر. وفي الجيل التالي ارتضى زانوس الملك الوثني الذي كان يملك على الكولجيين ان يرفض ديانته الوثنية ويقبل الديانة المسيحية. واخبرنا المؤرخون ان قبائل أُخر كثيرة من الوثنيين نبذوا عبادة الاصنام واعتنقوا الديانة المسيحية بالقرب من ذلك الوقت ولا تسعنا الفرصة لذكرهم الآن

الفصل الثالث

من قيام المسيح الكذاب الى زمان الاصلاح

قد اتينا الآن الى ذكر اليوم الذي هو اكثر ظلاماً وكدراً من جميع الايام التي رأتها الكنيسة المسيحية او ربما سوف تراها. وذلك من قيام المسيح الكذاب الى زمان الاصلاح الذي تم بواسطة لوثر وآخرين غيره. وفي هذه الفترة بقيت الكنيسة مئات من السنين مستترة نظير تلك المرأة في البرية رؤ ص ١٢. واعلم اني في الكلام على حوادث هذه الفترة اذكر اولاً حيل الشيطان واعماله العظيمة ضد ملكوت المسيح. ثانياً كيفية حفظ الكنيسة المسيحية

(١) اما من جهة حيل الشيطان واعماله العظيمة ضد ملكوت المسيح في

هذه المدة فلا يخفى ان الشيطان فعل اموراً عظيمة قبل ذلك في مقاومته الكنيسة المسيحية الاَّ انهُ خاب وعجز عن اتمام مرادهِ مراراً شتى فان ميخائيل وملائكتهُ انتصروا عليهِ انتصاراً عظيماً . ولا ريب ان المقاومة التي قاوم بها شعب الله في ايام المملكة الوثنية كانت هائلةً في الغاية . وما كان اعظم الغلبة التي غلبهُ بها المسيح في ايام قسطنطين . وحينئذٍ ارتضى ان يسهل الطريق لحصول غلبة عليهِ اعظم من تلك فتركهُ يجدِّد عزمهُ ويبذل كل جهدهِ في عمل ما يقدر عليهِ واعطاهُ زماناً طويلاً لاجل تقوية تدابيرهِ وتمهيد مقاصدهِ وسمح لهُ ان يتورط في انفاذ غاياتهِ حتى انهُ كاد يبتلع الكنيسة وان يستعمل حكماً ساميًا متكبراً عنيفاً في العالم مدةً طويلة قبل ما فاز المسيح اخيراً بالغلبة عليهِ واخرب مملكتهُ المنظورة . وهو لهُ المجد انما يفعل ذلك في زمان هلاك المسيح الكذاب حين ينتصر انتصاراً عزيزاً على الشيطان بعد ما يكون قد بذل جهدهُ وافرغ كل قوتهِ ومكرهِ ورفع نفسهُ فوق الجميع وبلغ اعلى درجة من الكبرياء

ولا ريب ان ملكوت المسيح الكذاب هو اعظم الاختراعات التي اخترعها الشيطان ضد ملكوت المسيح كما تصرَّح بذلك الكتب المقدسة . والمسيح الكذاب انما هو انسان الخطية المذكور في الرسالة الثانية الى اهل تسالونيكي ص ٢ : ٣ . ومعنى اسمهِ في اليونانية ضد المسيح او مقاومهُ . وقد لُقب بذلك لا لانهُ هو الضد الوحيد للمسيح بل لانهُ قد فاق كل من سواهُ في مضادة المسيح ومن ثمَّ يُدعى ايضاً سرَّ الاثم راجع ٢ تس ٢ : ٧ . ولا نجد عدوًّا للمسيح تكلم عنهُ نبوات سفر الرؤيا نصف ما تكلم بهِ عن هذا ولا تخبر عن هلاك عدوٍّ كانهُ عظيمٌ وسعيدٌ للكنيسة مثل هلاك هذا العدو

وهذه حيلةٌ لجعل خدمة كنيسة المسيح خدمة الشيطان وتصيير ملائكة الكنائس ملائكة ساقطين وبواسطة الظلم والخرافات والاوثان والاضطهاد التي يهيجها يحتال ان يعمل صورة العبادة الوثنية القديمة ويرد اكثر ما فقد بواسطة انقلاب عبادة الاوثان في ايام قسطنطين . وبهذه الوسيلة قد شفي راس

الوحش الذي جرح جرحًا قاتلاً في قسطنطين من جرحهِ القاتل في المسيح الكذاب راجع رؤ ١٣ : ٣ . والتنين الذي تسلط في المملكة الرومانية الوثنية وأُخرِج منها فبعد ان صعد الوحش ذو السبعة الرؤوس والعشرة القرون من البحر اعطاهُ قوتهُ ومكانهُ وخوَّلهُ سلطانًا عظيمًا فتعجبت الارض كلها وراء الوحش

ولا يخفى ان قيام المسيح الكذاب كان بالتدريج فان كنيسة المسيح دخل فيها الفساد في امورٍ كثيرة حالاً بعد ايام قسطنطين اذ كانت الخرافات تنمو يومًا فيومًا في عبادتها . وادخلت طقوسًا كثيرة في عبادة الله حتى ادخلت اخيرًا عبادة القديسين واقامت الايقونات في الكنائس . وكان الاكليرس بوجه العموم ولاسيما اسقف رومية يتقدمون في السلطان يومًا فيومًا . وان اسقف رومية ارتقى من وظيفة اسقف الى رئيس اساقفة ثم الى بطريرك ثم ادَّعى بسلطان اسقف عام على كل الكنيسة المسيحية . وقد قاوموهُ في هذه الدعوى الى حينٍ لكنهُ اخيرًا تثبت في ذلك من السلطان المدني وذلك سنة ست مئة وست للمسيح . ثم ادَّعى بسلطان ملكٍ ارضي ومن ثمَّ كان من عادتهِ ان يحمل سيفين اشارةً الى ان لهُ السلطان الروحي والسلطان الزمني جميعًا . وكان يدَّعي بازدياد السلطان شيئًا فشيئًا حتى ادَّعى اخيرًا كنائب المسيح على الارض نفس السلطان الذي كان المسيح ادعاهُ لو كان حاضرًا على الارض اذ قد جلس على كرسيهِ او نفس السلطان الذي يختص بالله حتى كان يُدعى الله على الارض زاعمًا انهُ يجب على جميع ملوك المسيحيين ان يخضعوا لهُ . نعم ان الملوك والسلاطين كانوا يقبِّلون قدميهِ ويقبلون اكاليلهم من يدهِ ويخافون من غضبهِ كما يخافون من صاعقة السماء . واذا خطر لهُ ان يحرم احد الملوك كان جميع رعايا ذلك الملك يُعفَون حالاً من الالتزام بطاعتهِ بل يلتزمون بخلع طاعتهِ تحت قصاص الحرم . ولا يقتصرون على هذا فقط بل ان كل واحدٍ منهم لهُ ان يقتل ذلك الملك حيثما وجدهُ . وزد على ذلك ان الناس كانوا يعتقدون ان للبابا سلطانًا على شجب الناس باختيارهِ لان كل من مات تحت حرمهِ كان يُحسب كانهُ مشجوب لا محالة .

وبعض الملوك خُلعوا وطُردوا ومانوا موتًا شقيًا بواسطتهِ . واذا حدث ان اهل بلادٍ او مملكةٍ لم يعملوا ما يرضيهِ كان لهُ سلطان ان يوقع تلك البلاد او المملكة تحت المنع الذي هو حكمٌ منهُ يجعل جميع الاعمال المقدسة التي تمارسها تلك المملكة غير صحيحة فلا يصحُّ لهم عماد ولا اسرار ولا صلوات ولا وعظ ولا غفران حتى يرتفع ذلك المنع . ولذلك يبقون في حالةٍ شقية من الخوف والرعدة حتى انهم كانوا يخافون من منع البابا كما يخافون من نار وكبريت من السماء

وكما ان البابا والاكليروسة كانوا يسلبون من الشعب حريَّتهُ وحقوقهُ الروحية والمدنية كانوا يسلبون ايضًا املاكهُ وينهبون اموال جميع المسيحيين . وقد ادخلوا جميع ثروة الناس وغناهم في خزائنهم بواسطة اجور باهظة واثمان غفرانات وعماد وامورٍ أُخر كثيرة كالمسحة الاخيرة والخلاص من المطهر وغير ذلك مما لا يحصى . وذلك يطابق النبوات الواردة عليهِ مطابقة عجيبة آتس ٣: ٤ ودا ٧: ٢٠ و ٢١ ورؤ ١٢: ٦ و ٦ و ١٧: ٣ و ٤

وفي هذا الوقت ايضًا كثرت الخرافات والجهل ونُزعت الكتب المقدسة من ايدي العامة لكي يكون انتشار مقاصد البابا والاكليرس الخبيثة المضادة للكتب المقدسة ايسر واسهل . وعوض ان ينشروا المعرفة والتعليم بين الشعب نشروا بينهم الجهل بكل جهدهم حتى كان من جملة المبادئ المقبولة عندهم ان الجهالةَ امُّ التقوى . وكان ظلام تلك الاعصار كثيفًا الى هذا المقدار حتى كادت العلوم تتلاشى . وكان القسوس جهلاء متبربرين لا يعرفون الاَّ حيلهم التي بواسطتها استعبدوا نفوس العباد واذلوها . وبقيت الخرافات والجهالة آخذةً في الزيادة الى عصر الاصلاح نفسهِ وقد سقط كل العالم المسيحي في هذه الورطة المهلكة ما عدا بنايا الكنيسة الشرقية التي سلمت من الاتراك ولم تسقط بالكلية . وقد وقعت كنيسة الروم ايضًا وكنائس أُخر غيرها في ظلمة مدلهمَّة وخرافات سمجة الاَّ الفلبيين المشار اليهم في الكتاب المقدس بالمرأة والشاهدين كما سيأتي بيانهُ

(٢) واما في كيفية حفظ الكنيسة في هذا الزمان المظلم فنقول

اولاً يجب ان نلاحظ هنا انهُ في الجزء الاول من هذه المدة بقي بعض القبائل المسيحية زمانًا طويلاً قبل ان وافقوا الكنيسة الرومانية في فسادها ودعاويها. ومع ان كل الارض تعجبت وراء الوحش لم تسقط جميع القبائل في ورطتهِ دفعةً واحدة ولا يخفى ان كثيرًا من اباطيل كنيسة رومية قد دخل فيها بعد تعصبٍ ومقاومة عظيمة من اضدادهِ ولاسيما دعوى اسقف رومية التقدم على جميع الاساقفة الاخرين وبكونهِ اسقفًا عامًّا للكنيسة. ودعواهُ هذه قد قاومها كنائس عديدة ولم يسلموا لهُ الاَّ بعد محاورات وسفك دماء كثيرة. وهكذا عند ما طلب البعض ادخال عبادة الايقونات في الكنيسة نهض كثيرون لمقاومة ذلك ومدافعتهِ بكل نشاط وغيرة مدةً طويلة من الزمان. وعلى هذا النحو كان الحال في بقية خرافات كنيسة رومية. والذين كانوا اقرب الى مدينة رومية في المكان اتفقوا معها على ذلك في اقرب وقت بخلاف الذين كانوا في اماكن بعيدة عنها فانهم مكثوا زمانًا طويلاً قبل ان وضعوا اعناقهم تحت نير تعاليمها الثقيل. وان جانبًا عظيمًا من الكنائس وعلى الخصوص في انكلترا وسكوتلندا وفرنسا حفظوا الطهارة في العبادة والتعليم زمانًا اطول من كثيرين غيرهم ممن كان قريبًا الى كرسي المسيح الكذاب

ثانيًا قد ظهر في كل قرن من هذه الازمنة المظلمة انفارٌ مخصوصة في جميع اقسام بلاد المسيحيين ممن شهد على فساد وظلم كنيسة رومية. ولا يوجد قرنٌ من قرن المسيح الكذاب الاَّ ويذكر فيهِ المؤرخون الكنائسيون اسماء اشخاصٍ كثيرين اظهروا كراهةً للبابا وعبادتهِ الاصنامية وحاموا عن طهارة التعاليم والعبادة النديمة وطلبوا ارجاعها الى ما كانت عليهِ. وقد ارتضى الله ان يحفظ سلسلةً غير منقطعة من شهودٍ كثيرين في كل تلك المدة في بلاد النمسا وفرنسا وبريطانيا وبلدانٍ أُخر من اشخاص غير المنوطفين وقسوس وولاة واناس معتبرين. وقد وُجد في كل قرن اشخاص كثيرون ممن اضطُهد وقُتل لاجل

هذه الشهادة

ثالثًا ما عدا هولاء الاشخاص المختلفين قد وُجد قومٌ يسمَّون والدنسيين كانوا منفردين عن بقية العالم باسره. وقد شهدوا على كنيسة رومية في هذا الزمان المظلم وكان مسكنهم فادْواه او خمسة أودية بيدمونت وهي بلاد كثيرة الجبال موقعها بين ايطاليا وفرنسا يحيط بها من كل جانب جبال شاهقة جدًّا يقال لها أَلْبس وهذه الجبال لا تكاد تُسلَك ولهذا كانت الاودية لا يمكن الوصول اليها الاَّ بمشقة عظيمة. وقد سكن هذا الشعب هناك قرونًا كثيرة منقطعًا عن سائر العالم. وهنالك كانوا يعبدون الله عبادةً طاهرة ولم يخضعوا قط لكنيسة رومية. ولعلَّ هذا المكان هو المقصود على الخصوص بما قيل في سفر الرؤيا ص ١٢: ٦. كأن الله قد اعدَّ ذلك الموضع للمرأة لكي يعولها فيهِ مدة حكم المسيح الكذاب

والبعض من مؤرخي الكنيسة الرومانية انفسهم يقرُّون بان هذا الشعب لم يخضع قط لكنيسة رومية وقد قال احدهم في كلامهِ عن الوالدنسيين ان ارتقتهم اقدم الارتقات في العالم ويظنُّ انهم اولاً انتقلوا الى هذا المكان بين الجبال لكي يخلصوا من قساوة اضطهاد الامم الذي كان قبل قسطنطين الكبير. وهكذا هربت المرأة الى البرية من وجه التنين كما قيل والمرأة هربت الى البرية حيث لها موضع مُعد من الله لكي يعولها هناك الفًا ومئتين وستين يومًا من وجه الحية رؤ ١٢: ٦ و١٤. واذ نزل لهذا الشعب هناك بقي نسلهم ايضًا في المكان قرنًا بعد قرن. واذ كانوا بواسطة اسوار طبيعية ونعمةٍ من الله كانهم مُفرَزون من سائر العالم لم يشاركوهُ قط في الفساد والخرافات الكثيرة التي دخلت فيهِ

فهولاء على الخصوص هم اولئك العذارى اللواتي لم يتدنَّسنَ عند ما تدنست بقية الكنائس بل انما حفظنَ انفسهنَّ اطهارًا للمسيح وحدهُ وتبعنَ المسيح عروسهنَّ الروحي حيثما توجه فتبعنهُ الى هذه البرية المستوحشة رؤ ١٤: ٤ و٥. والظاهر ان تعليمهم وعبادتهم هما نفس تعليم وعبادة البروتستانت. والمؤرخون

البابا ويون يعترفون بان هولاء كانوا شعبًا مشهورين في شدة ضبط انفسهم وفي المحبة وبقية الفضائل المسيحية . وقد عاشوا عيشةً فقريه في هذه البلاد الموحشة وكان ذلك احبَّ اليهم من الاشتراك مع سائر اهل الدنيا في الفساد العظيم الذي كان مستوليًا عليهم

واذ كانوا قاطنين في مكان منفرد مثل هذا بقوا مدةً طويلة قبل ان يعرف احدٌ بهم لكنهم عُرِفوا اخيرًا وحينئذٍ توجه الرومانيون اليهم بجيشٍ عظيم وهجموا عليهم بقساوةٍ بربرية وقتلوا خلقًا كثيرًا من الرجال والنساء والاطفال تحت العذابات المختلفة . واستمرَّ اعداؤُهم يضطهدونهم مترددين اليهم مئات سنين . وبذلك هرب كثيرون منهم من اودية بيدمونت وتفرقوا في ممالك اوربا حاملين معهم تعاليمهم التي افتادوا اليها كثيرين من الناس ولم يقدر المضطهدون مع كل قساوتهم ان يلاشوا كنيسة الله لكي يتمَّ ما قيل ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها

رابعًا انهُ في اواخر هذا القرن المظلم ظهر بعض اللاهوتيين من مشاهير العلماء وحاموا عن الحق جهارًا وقاوموا فساد كنيسة رومية . وكان اول هولاء العلماء يوحنا وكليف اللاهوتي الانكليزي الذي ظهر قبل الاصلاح بنحو مئة سنة واربعين سنة . فهذا قاوم الديانة البابا ويه بكل جسارة وغيرة وعلم نفس التعاليم التي علمها ارباب الاصلاح بعد ذلك . وتبعهُ كثيرون في انكلترا ووقع عليهِ اضطهـاد شديد في حياتهِ الاَّ انهُ توفي بسلام . ولكن بعد وفاتهِ اخرج المضطهدون عظامهُ من القبر واحرقوها . وبقيت اتباعهُ عددًا جزيلاً في انكلترا الى زمان الاصلاح غير انهُ وقع عليهم اضطهادات قاسية وقُتل منهم جموعٌ كثيرة في سبيل الديانة

وكان ليوحنا وكليف تلاميذ كثيرون ليس في انكلترا فقط بل في اماكن أُخرى من اوربا حيث وصلت تصانيفهُ وعلى الخصوص في بوهاميا . وكان من جملة تلاميذهِ لاهوتيان مشهوران وهما يوحنا هوس وجاروم من براكو قصبة

بوهاميا . فقاوم هذان الفاضلان كنيسة رومية بكل نشاط وتبعهما كثيرون . فقامت عليهما جماعة البابا وبين واحرقتهما بالنار ووقع الاضطهاد الشديد على اتباعهما في بوهاميا الاَّ انهم لم يتلاشوا بل بقوا الى زمان الاصلاح

الفصل الرابع

من الاصلاح الى الوقت الحاضر

بعد ما تكلمنا عن ازمنة الكنيسة المظلمة نتقدم الآن الى الكلام عن المدة التي نبتدئ بالاصلاح وتنتهي في وقتنا الحاضر . وفي هذا الباب نذكر اولاً الاصلاح نفسهُ . ثانيًا المضادة التي اوقعها الشيطان على الكنيسة المصلحة . ثالثًا نجاح الانجيل في اماكن مختلفة . رابعًا حالة الاشياء الآن في العالم بالنظر الى كنيسة المسيح ونجاح شرائع الفداء فنقول

اولاً في الاصلاح نفسهِ . لا يخفى ان ابتداء ذلك كان في جرمانيا نحو سنة ١٥١٥ . بواسطة وعظ مرتين لوثر الذي بعد ما اطلع على اعمال اكليروس البابا وفحص بكل تحقيق ونشاط عن الحق بواسطة درس الكتب المقدسة وتصانيف آباء الكنيسة القدماء اخذ بكل جراءة ومجاهرة يقاوم فساد الكنيسة الرومانية ودعاويها الباطلة وذلك بواسطة انذارهِ وكتاباتهِ . ولم يكن الاَّ قليلٌ من الزمان حتى انضم معهُ عددٌ جزيل ومن الجملة مُنتخب سكسونيا والي البلاد التي كان لوثر منها . فخافت كنيسة رومية خوفًا عظيمًا من هذا الامر وبذلت كل جهدها في مقاومتهِ ومقاومة تعاليمهِ وهيجت عليهِ حروبًا واضطهادات شديدة .

ولكن مع ذلك قد امتدَّ الحق بواسطة اتعاب لوثر وملنكتون في جرمانيا وزونكليوس في بلاد سويس وآخرين من اللاهوتيين الفاضلين الذين كانوا في في ذلك العصر ولاسيما كلفينوس الذي ظهر بعد ابتداء الاصلاح وكان من افاضل المصلحين

وان كثيرين من امراء جرمانيا قبلوا الاصلاح عاجلاً . وكذلك اقاليم وممالك أُخر كثيرة في اوربا مثل انكلترا وسكوتلندا واسوج ودنيمارك ونروج وقسم عظيم من فرنسا وبولونيه وليثونيا وسويس والبلاد الواطئة حتى يظنُّ انهُ الى ذلك العصر كان قد صار نحو نصف الممالك النصرانية من مذهب البروتستانت . الاَّ انهُ بعد ذلك ربح البابا وبون عدداً وافراً من هولاء حتى لم تَعُد طائفة البروتستانت بمقدار ما كانت وقتئذٍ . وهكذا ابتدأ الله بنوع عجيب يحيي كنيستهُ ايضاً ويوسع ملكوت ابنهِ بعد ذلك الظلام الكثيف الذي استحوذ على العالم منذ ظهور المسيح الكذاب الى ذلك الوقت . وقد جاهد جهاداً عظيماً شهود الحق في اجتلاب الاصلاح قبلاً . واما الآن فاذ قد اتى الزمان الذي عيَّنهُ الله نرى ان عملهُ قد جرى بسرعة شديدة عجيبة . والمسيح الكذاب الذي كان آخذاً في التقدم والارتقاء درجةً بعد اخرى من ابتدائهِ الى هذا الوقت قد انحط الآن بغتةً بالسرعة حتى بلغ في انحطاطهِ الى نصف طريق الهلاك التام بحيث لم يعد يمكنهُ قط ان يرجع الى درجتهِ الاولى

قال صاحب الرؤيا ثم سكب الملاك الخامس جامهُ على عرش الوحش فصارت مملكتهُ مظلمة وكانوا يعضون على السنتهم من الوجع وجدَّفوا على اله السماء من اوجاعهم ومن قروحهم ولم يتوبوا عن اعمالهم ١٦ : ١٠ و ١١ . والمراد بعرش الوحش هو سلطان البابا وملكهُ لان لفظة العرش تأْتي كثيراً في الكتب المقدسة بهذا المعنى

وبالحقيقة قد سُكِبت جامات غضب الله على عرش الوحش حتى تزعزع جداً وانحطَّ مجدهُ . ومن المعلوم ان سلطان البابا وملكهُ قد نقصا جداً من

حيث الاتساع والرفعة حتى فقد نحو نصف ملكهِ فضلاً عن انحطاط ذلك السلطان الذي كان لهُ قبلاً حتى في الممالك البابارية فانهُ لا يُعتبَر الآن ولا يُخاف من سطوتهِ وسلطانهِ كما كان قديمًا . لان ممالك اوربا تعلمت ان لا تضع اعناقها بعد تحت اقدام بابا رومية . ولذلك صار الآن نظير اسد قد سقطت انيابهُ بالنظر الى ما كان عليهِ في القديم. ولما رأى البابا واكليروسهُ ان سلطانهم قد ضعف جدًّا بواسطة الاصلاح غضبوا غضبًا شديدًا واتفقوا جميعًا على ايجاد طرقٍ وحيل مختلفة لتوقيف هذا الاصلاح وملاشاتهِ . ولكن تدابيرهم التي كانت تساعدهم كثيرًا في ما مضى على انفاذ غاياتهم ومقاصدهم قصَّرت في هذه المرَّة وكانت ملكتهم مملوءة ظلامًا فلم يمكنهم ان ينجزوا امرًا نظير المصريين الذين بقوا في اماكنهم الى ثلاثة ايام. وقد حمى الله الكنيسة المصلحة كما حمى لوط والملائكة في سدوم عند ضربهِ اهل المدينة بالظلام والعمى حتى عجزوا عن وجود الباب. وبذلك تمَّ ما ورد في سفر ايوب الصديق حيث يقول الجاعل المتواضعين في العلى فيرتفع المحزونون الى امنٍ المبطل افكار المحتالين فلا تجري ايديهم قصدًا الآخذ الحكماء بحيلتهم فتتهور مشورة الماكرين في النهار يصدمون ظلامًا ويتلمسون في الظهيرة كما في الليل المنجي البائس من السيف من فمهم ومن يد القوي اي ص ٥ : ١١ الى ١٤. واذ خابت آمال اعداء شعب الله هولاء المتكبرين وظهر لهم انهم عاجزون الى هذا الحد عن حفظ ملكهم وسلطانهم اخذوا يضغون السنتهم من الوجع او يعضُّونها من الحنق

الفصل الخامس

في نتائج مما تقدم من الحوادث

بعد ان بينتُ كيف اجرى الله عمل الفداء منذ سقوط الانسان الى الوقت الحاضر اريد ان اذكر الآن بعض النتائج قبل الانتقال الى موضوع آخر فاقول

اولاً اننا مما قبل نتخذ برهانًا عظيمًا على صدق الديانة المسيحية وعلى ان الكتب المقدسة هي كلام الله . ونذكر هنا من ذلك ثلاثة براهين على الخصوص

البرهان الاول على صدق الديانة المسيحية يوجد في شدة المقاومة التي صارت لها من الاشرار . فالديانة التي تمسكت بها كنيسة الله منذ الابتداء كانت دائمًا في جوهرها واحدة ولو كان قد حصل تغيرٌ في ترتيبها . وان كنيسة الله منذ القديم كانت جماعة واحدة . وان الكنيسة المسيحية هي واحدةٌ مع الجماعة التي كانت قبل مجيء المسيح مطعمةً من اصل واحد ومبنية على اساس واحد . والوحي الذي اعتمدت عليهِ الكنيسة المسيحية والكنيسة اليهودية هو في جوهرهِ واحدٌ لان الكنيستين جميعًا مبنيتان على الكتب المقدسة ومع انهُ قد اضيف الآن الى الكتب المقدسة اسفار العهد الجديد لم تزل في جوهرها هي نفس الوحي الموحى بهِ في العهد القديم غير ان ما أُوحي بهِ من التعاليم قد أُعلن الآن في العهد الجديد بايضاح اكثر مما كان في العهد القديم . خلاصة وزبدة العهدين القديم والحديث انما هي المسيح وفداؤهُ . والكنيسة التي كانت قبل الكنيسة اليهودية هي ايضًا في جوهرها نفس الكنيسة اليهودية وقد اقرّت ومارست نفس

ديانتها . فهكذا كان الحال من نوح الى ابرهيم وكذلك قبل الطوفان . لان الكنيسة حينئذٍ كانت مبنية على اساس الوحي بالمسيح الذي أُعلن لآدم واخنوخ. ومن ذلك يبان ان كنيسة الله بُنيت دائمًا على الوحي الالهي الذي كان في جميع الازمنة هو هو بعينهِ وهو متضمنٌ بجملتهِ في الكتب المقدسة

فيتضح من ذلك ان المضادَّة التي وقعت على الكنيسة في الاجيال كافةً قد كانت على نفس الديانة ونفس الوحي وذلك حجةٌ قويةٌ على صدقها . لاننا نقدر ان نستنتج جودة امرٍ ما من مقدار المقاومة الواقعة عليهِ من الاشرار. ويبان مما تقدم ذكرهُ عن كنيسة المسيح وعن ديانة يسوع المسيح الطاهرة التي اعترفت بها ان العالم الخبيث كان في مقاومة وبغضة دائمة شديدة لهذه الكنيسة وللديانة التي تمسَّكت بها

ولا سبيل لاحدٍ ان ينكر ان كنيسة الله قد كابدت مشقات عظيمة من مقاومات العالم لها فان ذلك واضحٌ من تواريخ الامم من اول بدايتها ومن شهادة التواريخ الالهية قبل ذلك . وهذه المقاومة الواقعة على كنيسة الله وديانتها وعبادتها قد ابتدأت في ايام قايين وهابيل . وكانت تحت الاضطهاد والطرد عند ما امتلأت الارض ظلمًا في ايام نوح . وكم وقع عليها من الاضطهاد بعد ذلك في مصر. وكم كان اسرائيل مُبغَضًا على الدوام من الشعوب المجاورين له. وبعد سبي بابل كم حصل من الاضطهاد على هذه الكنيسة من انتيوخوس ابيفانوس . وكم كان المسيح مطرودًا وهو على الارض . وما اكثر الاضطهاد الذي وقع من اليهود على الرسل وباقي المسيحيين قبل ان اخرب الرومانيون اورشليم . وكم كانت هائلة مقاومة العالم الوثني للكنيسة بعد ذلك قبل ايام قسطنطين وكم كانت منذ ذلك الوقت مقاومات المسيح الكذاب لها اكثر ضررًا وقساوةً

فما صار في العالم مقاومة مثلما وقعت على هذه الديانة . والتواريخ لا تخبرنا عن جماعة اخرى من الناس كانت مطرودة ومضطهدة الى هذا الحد . ولا

توجد ديانةٌ هكذا مُبغَضة فان بقية الملل قد تبعوا اديانهم على الهدوء والامان. فان بعضهم كانوا يعبدون نوعًا من الآلهة وغيرهم نوعًا آخر من دون ان يزعج احدهم الآخر او ينازعهُ في ذلك . ولكن كل التعصب والاضطهاد وقع على ديانة كنيسة الله هذه فان جميع الاديان الأُخر اظهرت نحوها عداوةً لا تُحد. والناس قد بذلوا كل جهدهم واستعملوا كل حذاقتهم لعلهم يجدون عذاباتٍ لاهلها لا مزيد عليها . ومع ذلك جميعه يبان انهم لم يكتفوا قط ولا ارتوى ظمأُهم الى سفك دماء المسيحيين

فما هي علة هذه المقاومة هل يوجد سبب لقيام فساد العالم وشرهِ على ديانة يسوع المسيح والكتب المقدسة على نوعٍ هكذا شديد الأَ كونها تقاوم الشر وبالتالي تبيّن انها صالحة وطاهرة ولماذا اظهر اعداء المسيح منذ قرون كثيرة بهذا المقدار بغضةً مميتة لهذه الديانة الاَّ انها من الله فان لم تكن الكتب المقدسة كلام الله ولا ديانة كنيسة المسيح الديانة الحقيقية فالناتج من ذلك انها شرُّ الاديان وانها ليست سوى اكاذيب وخداع فظيع اخترعها اعداء الله. واذا كانت كذلك فليس بممكن ان اعداء الله واشرار العالم تكون عندهم مثل هذه العداوة لها الدائمة التي لا يمكن قلعها

ثانيًا ان حفظ الكنيسة المسيحية وديانتها في كل هذه المضادات والاخطار برهان قوي على انها من الله . واذا اعتبر حفظ الله اياها اكثر من الفي سنة وهما مرارًا على حافة الهلاك نراهُ من اعظم العجائب والآيات ولا يوجد شيء مثلهُ على وجه الارض ولا توجد جماعة اخرى من الناس احتملت ما احتملتهُ الكنيسة من المقاومات وبقيت . ان العالم القديم قبل الطوفان قد هلك بطوفان الماء واما كنيسة الله فانها قد حُفِظت مع ذلك في عائلة نوح وخرب حينئذٍ بالكلية ملكوت الشيطان المنظور على الارض واما ملكوت المسيح المنظور فانهُ لم يخرب قط . وجميع تلك الممالك والسلطنات البشرية القديمة التي نقرأُ اخبارها قد تلاشت منذ قرون قديمة. فابن الموآبيون والعمونيون والادوميون وغيرهم فان

مملكة بابل المتكبرة العظيمة قد اخربتها الفرس. ومملكة الفُرس اخربتها اليونان. وبعد ذلك قام الرومانيون على مملكة اليونان واخربوها. واخيرًا وقعت المملكة الرومانية فريسةً في ايدي قبائل مختلفة من البربر. وذلك اتمامٌ واضحٌ لقولهِ كمتسوّسٍ يبلى كثوبٍ اكلهُ العث اي ٢٨:١٣. واما كنيسة الله فتبقى

ولم تكن قط اجتهادات كثيرة شديدة بهذا المقدار في خراب مملكةٍ كما كان في خراب الكنيسة. وكم من الممالك والجماهير التي كانت تظهر انها اقوى من الكنيسة اضعافًا كثيرة قد خربت بربع قيراط من التعصُّب الذي حصل على كنيسة الله. وذلك يدلُّ على ان الله يحميها. ومن الواضح البين انها لم تحفظ نفسها بقوَّتها لانها غالبًا كانت جماعةً ضعيفة في الغاية. فان بني اسرائيل لم يكونوا سوى شرذمة من الناس بالنسبة الى الجماهير الغفيرة التي طلبت خرابهم مرارًا. وهكذا في زمان المسيح وفي ابتداء الكنيسة المسيحية لم يكونوا سوى حفنة من الناس وكان كل شعب اليهود ضدهم. وكذلك لم يكونوا الاَّ عددًا قليلاً بالنسبة الى الوثنيين الذين كانوا يطلبون هلاكهم. وفي ازمنة المسيح الكذاب المظلمة اي قبل الاصلاح لم يكونوا الا حصةً قليلة ومع ذلك لم تقدر اعداؤهم على ابادتهم. وفضلاً عن ان اعداء الكنيسة كان حزبهم في الغالب اكثر عددًا كانت لهم قوةٌ من جهة اخرى لان الولاة المدنيين كانوا غالبًا يميلون اليهم. وهكذا في مصر كانت الولاة من حزب المصريين ولم تكن الكنيسة الاَّ عبيدًا لهم وفي ايديهم ومع ذلك لم يقدروا عليها. وفي ايام انتيوخوس ابيفانوس وبوليانوس المرتد كان كل السلطان الى جهة المضطهدين وكانت الكنيسة طائفتهم الاَّ ان جميع قساوتهم لم تقدر على ملاشاتها. وهكذا كانت السلطة المدنية باسرها اجيالاً عديدة الى جهة المسيح الكذاب وكانت الكنيسة تبان كانها في قبضة ايديهم

ولم تكن قوتها اضعف من قوة اعدائها فقط بل ان القوة التي كانت لها للمدافعة عن نفسها لم تكن تستعملها في اكثر الاوقات ولكن كانت تسلم نفسها بالكلية بيد الله. فان المسيحيين في الاضطهادات اليهودية قبل خراب اورشليم من

الرومانيين وفي الاضطهادات الوثنية قبل قسطنطين لم ينهضوا لمقاومة مضطهديهم الوثنيين ولا رفعوا عليهم السلاح طلبًا لدفع القوة بالقوة . وهكذا كان غالبًا في الاضطهادات الباباوية ومع ذلك لم يقدروا قط على هدم الكنيسة لكنها بقيت الى هذا الوقت بعينهِ

وذلك نراهُ اعجب كثيرًا اذا اعتبرنا كم مرةً وصلت الكنيسة الى حافة الخراب واليأس . فانهُ في زمان العالم القديم عند ما عم الشر جميع الناس حتى لم يبقَ الاَّ عائلة واحدة فقط تخاف الله ظهر الله بنوع عجيب واهلك العالم الشرير بواسطة الطوفان وحفظ الكنيسة . وكذلك ظهر الله عند البحر الاحمر حين كان فرعون وجنودهُ يتوهمون انهم قد نالوا ارتهم من بني اسرائيل فاهلك المصريين وخلص الكنيسة . وفي الاضطهاد الوثني العاشر والاخير كان المضطهدون يفتخرون بانهم قضوا وطرهم من المسيحيين وقلبوا الكنيسة المسيحية ولكن في وسط نصرتهم واعتزازهم نهضت الكنيسة المسيحية عن التراب وغلبت وسقطت قدامها المملكة الوثنية بالكلية . وكذلك عند ما كاد الاريوسيون يبتلعون الكنيسة المسيحية وقام المسيح الكذاب وتغلب وجميع العالم تبع الوحش وتحولت الكنيسة المسيحية الى عدد قليل مدة قرون كثيرة . وكان العالم بقوتهِ مشتغلاً في ملاشاة تلك البقية الاَّ انهم لم يقدروا ان يكملوا مقاصدهم بالتمام . واخيرًا احيا الله بنوع عجيب كنيستهُ بواسطة الاصلاح واعطاها الغلبة على اعدائها ورفعها الى حيث لم يقدروا ان يسوسها . وعند ما كانت القوات الباباوية تجتهد بكل حيلة ان تقلب الكنيسة المصلحة حتى كادت تنال بغيتها منها ظهر الله بنوع عجيب لاجل انقاذ كنيستهِ من ايديها كما جرى عند هياج الحركة التي كان سببها الملك وليم كما تقدم . وان الله حالاً بعد الازمنة التي كانت اكثر ظلامًا اعطى كنيستهُ النجاح والنمو على افضل منوال

فاذا كان حفظ كنيسة الله على هذا الاسلوب منذ ابتدا العالم الى الآن بكل هذه الاحوال والظروف ليس كافيًا لايضاح كون يد الله معها فهل يمكن ايجاد

شيء آخر يكفي لذلك . واذا كان ذلك من الله ينتج لا محالة ان هذه الكنيسة وذلك الوحي الذي بنيت عليهِ هما من الله وخاصتهُ تعالى . وبالتالي ينتج ان هذه الديانة هي الديانة الحقيقية او ديانة الله وان الكتب المتضمنة لها هي كلامهُ عزَّ وجلَّ

ثالثًا نذكر ايضًا برهانًا آخر على كون الكتب المقدسة من الله وهو تكميل الله لتلك الاشياء التي تُنبئ بها في هذه الكتب . وقد تكلمنا بوجه العموم فيما تقدَّم كيف تمت نبوات الكتب المقدسة والآن نريد ان نفرد مثالين لذلك على وجه الخصوص

الاول منهما يوجد في حفظ الكنيسة من الهلاك . وقد سبق الكلام كيف ان ذلك دليلٌ على كون الكتب المقدسة هي من الله اذا اعتبرناهُ في نفسهِ . واما الآن فاني اتكلم عنهُ باعتبار كونهِ تكميلاً لنبوة الكتب المقدسة . ولا يخفى ان الكتب المقدسة قد تنبأت عن ذلك ووعدت بهِ مرارًا كثيرة وعلى الخصوص في الآية السابقة حيث يقال ان جميع الاشياء الأُخر تتلاشى والممالك والسلطنات التي تقوم لمقاومة الكنيسة تضمحل كمتعوس يعلى كثوب اكلهُ العث اي ١٢ : ٢٨ . وقد قيل فيها ان عهد الرحمة المعقود من الله مع كنيستهِ يدوم الى الابد . وقد تمَّ ذلك كما تقدم البرهان عليهِ ولو كان قد وقع على الكنيسة اخطارٌ كثيرة . وقد تكرر هذا الوعد في قول النبي كل آلةٍ صُوِّرت ضدكِ لا تنجح وكل لسان يقوم عليكِ في القضاء تحكمين عليهِ اش ٥٤ : ١٧ . وفي قولهِ ايضًا قالت صهيون قد تركني الرب وسيدي نسيني . هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها حتى هولاء ينسَينَ وانا لا انساكِ . هوذا على كفَّي نقشتكِ اسوارك امامي دائمًا اش ص ٤٩ : ١٤ الى ١٦ . وكذلك في مواضع أُخر كثيرة اش ٥٩ : ٢١ و٦٣ : ١ و٢ وزك ١٢ : ٢ و٣ . وقد وعد المسيح ايضًا بهذا الامر في قولهِ وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها . فاذا كان ذلك ليس من الله ولم تكن الكتب المقدسة كلام الله ولم تكن كنيسة المسيح المبنية على اساس هذا

الكلام من الله فكيف امكن الاشخاص الذين سبقوا واخبروا بذلك ان يعرفوهُ . لانهُ اذا لم تكن الكنيسة لم يكن ممكنًا ان تكون قد وُجدت اصلاً اذ قد تُنبئ انهُ يحصل اضطهادات واخطار عظيمة وان ممالك تتلاشى وان الكنيسة مرارًا كثيرة تكاد تُبتلَع وانها مع ذلك تبقى فكيف امكنهم ان يسبقوا وينظروا امرًا غير محتمل مثل هذا الاَّ ان يكون ذلك بوحي من الله

ومما يستحق الذكر هنا تكميل نبوات الكتب المقدسة عن المسيح الكذاب . فقد تُنبئ انهُ لا يظهر بين الامم او القبائل التي لم تعترف بالديانة المسيحية بل انما يكون ظهورهُ بين المسيحيين بواسطة دخول الفساد في الكنيسة المسيحية كما يقول الرسول لا يخدعنكم احدٌ على طريقةٍ ما لانهُ لا يأتي ان لم يأتِ الارتداد اولاً ويُستعلن انسان الخطية ابن الهلاك ٢تس ٢:٣ . وقد تُنبئ ان انسان الخطية هذا يجلس في هيكل الله كالهٍ مظهرًا نفسهُ انهُ اله راجع ع ٤. وقد تمَّ ذلك جميعهُ بالتدقيق في كنيسة رومية . ويُستنتج من قول الرسول لان سرَّ الاثم الآن يعمل فقط الى ان يُرفع من الوسط الذي يحجز الآن ع ٧. ان قيام المسيح الكذاب يكون شيئًا فشيئًا بالتدريج كما كان الحال في الذي يدَّعي انهُ نائب الله . وقد تُنبئ ايضًا ان هذا العدو القوي للكنيسة المسيحية يكون ملكًا عظيمًا او ملك السلطنة الرومانية . فان دانيال النبي يعبّر عنهُ نظير قرن للوحش الرابع او المملكة الرابعة كما فسَّر ذلك الملاك نفسهُ راجع ص ٧ وقد تمَّ ذلك ايضًا . وكذلك تُنبئ بان كرسي هذا المدعي انهُ نائب الله وراس الكنيسة يكون كنيسة رومية اذ قد تُنبئ صريحًا ان الزانية الروحية او الكنيسة الكاذبة يكون موقعها على سبعة جبال او تلال حيث قيل السبعة الرؤوس هي سبعة جبال عليها المرأة جالسة رؤ ١٧:٩ . وقيل ايضًا والمرأة التي رأيت هي المدينة العظيمة التي لها ملكٌ على ملوك الارض ع ١٨ . ولا ريب ان رومية كانت كذلك في تلك الايام وقد تمت هذه النبوة ايضًا

وقد تُنبئ ايضًا ان المسيح الكذاب هذا يملك على شعوب وجموع وامم والسنة

وان كل الارض تعجبت وراء الوحش راجع رؤ ١٧: ٥ و١٣: ٣. وقد صدق ذلك ايضًا في كنيسة رومية. وقد قيل ايضًا ان المسيح الكذاب يكون متكبرًا جدًّا ويدَّعي لنفسهِ اشياء كثيرة. ومن ذلك قول الرسول المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى الهًا او معبودًا ٢تس ٢: ٤. وقول صاحب الرؤيا ثم أُعطي فمًا يتكلم بعظائم وتجاديف ١٣: ٥. وقيل في نبوءة دانيال ان القرن الصغير له فم يتكلم بعظائم وان منظرهُ اشد من رفقائهِ ص ٧: ٨ و٢٠ وهذا يصدق على البابا وكنيسة رومية. وقد تُنبئ ايضًا عن المسيح الكذاب انهُ يكون مضطهدًا قاسيًا جدًّا حيث قيل واذا هذا القرن يحارب القديسين فغلبهم دا ٧: ٢١. وقيل ايضًا ورأيت المرأة سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع رؤ ١٧: ٦. وقد تمَّ ذلك في كنيسة رومية. وتُنبئ ايضًا عنهُ انهُ يكون فائقًا في المكر والحيل حيث قيل واذا بعيون كعيون الانسان في هذا القرن وفيما هو لذلك القرن الذي لهُ العيون دا ٧: ٨ و٢٠. وهذا ايضًا يدل على كنيسة رومية. وتُنبئ ايضًا ان ملوك المسيحيين يكونون خاضعين للمسيح الكذاب حيث قيل والعشرة القرون التي رأيت هي عشرة ملوك لم يأخذوا ملكًا بعدُ لكنهم يأخذون سلطانًا كملوك ساعة واحدة مع الوحش هولاء لهم راي واحد ويعطون الوحش قدرتهم وسلطانهم رؤ ١٧: ١٢ و١٣. وقد تمَّ ذلك في الكنيسة الرومانية. وتُنبئ ايضًا انهُ يعمل آيات مزوَّرة واعاجيب كاذبة ٢تس ٢: ٩. وقيل ايضًا ويصنع آيات عظيمة حتى انهُ يجعل نارًا تنزل من السماء على الارض قدام الناس ويضل الساكنين على الارض بالآيات التي أُعطي ان يصنعها امام الوحش رؤ ١٣: ١٣ و١٤. ولا يخفى ان هذا ايضًا يشير الى كنيسة رومية. وتُنبئ ايضًا انهُ يمنع عن الزواج والاطعمة حيث قيل مانعين عن الزواج وآمرين أن يُمتنع عن اطعمةٍ قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق ١تي ٤: ٣. وقد كمل ذلك بالتدقيق في كنيسة رومية. وتُنبئ ايضًا انهُ يكون غنيًّا جدًّا ويصل الى درجة سامية من العظمة العالمية والمجد حيث قيل والمرأة كانت متسربلة بارجوان وقرمز

ومتحلية بذهب وحجارة كريمة ولؤلؤ ومعها كاس من ذهب في يدها رؤ ١٧: ٤ راجع ايضًا ص ١٨: ٧ و١٢ و١٤ و١٦. وهل يوجد عباراتٌ ادلُّ من هذه على كنيسة رومية. وما تُنبِّئ بهِ عنهُ انهُ يمنع من البيع والشراء كل من لم تكن عليهِ سمة الوحش كما قيل ولا يقدر احدٌ ان يشتري او يبيع الاَّ من لهُ السمة او اسم الوحش او عدد اسمهِ رؤ ١٣: ١٧. وقد كمل ذلك في كنيسة رومية. ومن ذلك ايضًا انهُ يبيع نفوس الناس. قال صاحب الرؤيا عند تعدادهِ اصناف بضاعتهِ التي يتاجر فيها يذكر نفوس الناس من الجملة راجع رؤ ١٨: ١٣. ومن ذلك ايضًا انهُ يمنع جثة شعب الله ان تُدفَن حيث قيل وتكون جثتاها على شارع المدينة العظيمة ولا يدعون جثتيهما توضعان في قبور رؤ ١١: ٨ و٩. وقد تمَّ ذلك حرفيًّا بالنسبة الى كنيسة رومية كما لا يخفى. ويمكنني ان اذكر امورًا أُخر كثيرة ما تُنبِّئ بهِ عن المسيح الكذاب وابين انها تمَّت بكل تدقيق في البابا وكنيسة رومية وبالهُ من برهان قوي على ان الكتب المقدسة هي كلام الله

ثانيًا اننا ما تقدم نتعلم ما هي روح المسيحيين التي هي روح الصبر والاحتمال. فاذ قد رأينا ان الله قد قضى بعنايتهِ ان كنيستهُ تكون كل هذه المدة الطويلة في حالة الاحتمال الذي ينتهي مرارًا كثيرة الى الغاية القصوى نستنتج ان روح الكنيسة الحقيقية يجب ان تكون روح احتمال والاَّ لم يكن الله قد حكم عليها بهذا المقدار من الاحتمال. لانهُ لا ريب ان الله يرتب احوال الكنيسة وظروفها بحسب الروح التي اعطاها اياها. فلا عجب من ان المسيح كان مرارًا كثيرة يحث تلاميذهُ ان يكفروا بانفسهم ويحملوا صليبهم اذا شاءوا ان يتبعوهُ

وما هي الروح التي اظهرتها ومارستها الكنيسة في آلامها. فانها تحت تلك الاضطهادات العنيفة التي كابدتها اختارت ان تحتمل تلك العذابات الفادحة وتبيع كل شيء لاجل الجوهرة الكريمة وان تحتمل كل ما استطاع اشد اعدائها ان يصيبها بهِ ولا ترفض المسيح وديانتهُ. ولذلك امثلةٌ كثيرة جدًّا في التواريخ التي يوجد فيها سحائب عظيمة من الشهود. ولا ريب ان ذلك يثبت لنا

وجوب استعدادنا ان نبيع كل شيء لاجل المسيح وان نكفر براحتنا وارباحنا الدنيوية وكرامتنا وكل ما لنا لاجلهِ ولاجل الانجيل

فلنفحص الآن اذا كان لنا مثل هذه الروح وماذا يظهر عند الامتحان. هل يظهر اننا نريد ان نكفر بانفسنا ونزدري بارباحنا العالمية ونحتمل التجارب التي يرسلها الله الينا بعنايتهِ. ولكن ما اقل امتحاناتنا بالنسبة الى امتحانات كثيرين من اخوتنا المسيحيين في القرون الاولى. وما احسن ما قال النبي في هذا المعنى ان عييت اذا ساعيت الراجلين فكيف تقدر ان تقاوم الخيل ار ٥:١٢. وهكذا اذا لم نقدر ان نحتمل التجارب الخفيفة التي تصيبنا فكيف نقدر ان نحتمل التجارب العظيمة التي كابدتها الكنيسة في القرون الاولى. فان لكل مسيحيٍّ روح شهيدٍ وعليهِ ان يحتمل كشهيد اذا دعتهُ العناية الالهية الى ذلك

ثالثًا اننا نتعلم ايضًا مما سبق عظمة الاسباب التي تجعلنا ننتظر بكل ثقة تكميل ما لم يتمَّ الى الآن من الامور التي نُبِّئَ عنها في الكتب الالهية. ولا يخفى ان الكتب المشار اليها تنبأت باشياء كثيرة عظيمة سوف تتم قبل نهاية العالم. فاننا في الوقت الحاضر بعيدون جدًّا عن الحالة التي سوف نكون فيها حسب وعد الكتب المقدسة. ولكن لنا مع ذلك سببٌ كافٍ لانتظار كمال هذه الاشياء في اوانها مهما ظهرت لنا انها عسرة الوقع او غير ممكنة. فاننا نرى صدق الله في مواعيدهِ ونعلم كيف كان صادقًا نحو كنيستهِ وكيف ذكر رحمتهُ من قرن الى قرن. ويمكننا ان نقول فيما عملهُ الله نحو كنيستهِ في الزمان الماضي ما قالهُ يشوع لبني اسرائيل من انهُ لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم بهِ الرب عنكم يش ٢٣ : ١٤. بل قد حدث كل شيء طبق ما نطق بهِ الله. ويجب ان ذلك يقوي ايماننا بهذه المواعيد ويزيدنا شجاعةً وينهض همتنا الى الصلاة لله لكي يكمل الامور الجليلة التي لا بد من اكمالها في حينها

الفصل السادس

من الوقت الحاضر الى سقوط المسيح الكذاب

الآن نريد ان نبين كيف يكون نجاح فداء المسيح من الوقت الحاضر الى ان يسقط المسيح الكذاب ويخرب ملكوت الشيطان المنظور على الارض. وفي هذه المدة لا يوجد لنا مرشد ولا دليل الاَّ نبوات الكتب المقدسة. ونحن في اكثر المدة التي من سقوط الانسان الى خراب اورشليم من الرومانيين قد استعنا بتاريخ الكتب المقدسة كدليل لنا مع التاريخ البشري. ولكن من خراب اورشليم فصاعدًا لا يوجد لنا دليل الاَّ النبوات فقط. وفي كلامنا عن هذه المدة نضرب صفحًا عن الاشياء التي هي موضوعٌ للبحث والجدال او مبنيَّة على نبوات مشكوك في تفسيرها ونقتصر على ما هو اوضح بيانًا منها

اننا لا نعلم ما هي الحوادث الخصوصية التي تحدث قبل ابتداء ذلك العمل النفيس الذي يعمله روح الله ويكون واسطةً لخراب ملكوت الشيطان. وقد اجمع اكثر اللاهوتيين على انهُ قد تنبئَ بانهُ لا يوجد الاَّ اشياء قليلة اذا وُجد شيءٌ مما لا بد من كمالهِ قبل ابتداء عمل الله المجيد. ويظنُّ البعض ان قتل الشاهدين المذكورين في سفر الرؤيا ص ١١: ٧ و٨ لم يكمل بعد. ويوجد اختلافٌ بين اللاهوتيين في سكب الجامات السبع رؤ ص ٦ نظرًا الى عدد ما سُكب وما لم يُسكَب الى الآن منها. وقد ذهب واحد من المفسرين المتأخرين الذي ذكرناهُ قبلاً الى انهُ قد سُكِب الجميع ما عدا اثنتين منها وهما السادسة على نهر الفرات والسابعة في الهواء. ولا نبحث الآن عن المراد بسكب الجام

السادس على نهر الفرات لنستعد الطريق للملوك من مشرق الشمس بل اقول فقط ان بيان ذلك ما كان الاَّ امرًا استعداديًّا لخراب بابل الروحية كما ان جفاف نهر الفرات الذي يجري في وسط بابل القديمة كان ما اعدَّ طريق ملوك مادي وفارس الذين هم ملوك المشرق لكي يدخلوا الى ما ضمن الاسوار ويخربوا المدينة

ولكن مهما كان ذلك فلا يظهر انهُ من الامور التي تتمُّ قبل ان يبتدئ عمل روح الله الذي بواسطتهِ تنقلب مملكة الشيطان المنظورة على الارض بالكلية . ومن ثمَّ نتقدم الى الكلام عما توحي بهِ الكتب المقدسة عن نفس عمل الله الذي بواسطتهِ يجري هذا الامر العظيم الذي هو ثاني الامور التي يجريها سبحانهُ وتعالى حسبما نقدر ان نحقق من نبوات الكتب الالهية

فاولاً اننا نذكر بوجه العموم بعض الامور التي تتعلق بهِ

الاول ان الكتب المقدسة تعلمنا بكل صراحة انهُ قبل ان يبتدئ عمل الله هذا تكون اوقاتٌ مظلمة جدًّا بالنظر الى الامور الدينية في العالم . وقد كان كذلك قبل وقوع حوادث جليلة في الديانة . فانهُ عند ما جاء المسيح كانت اليهود في حالة رديئة جدًّا من هذا القبيل . وكذلك كان وقتٌ مظلم جدًّا قبل الاصلاح . وليس هذا فقط بل الظاهر ان الكتب المقدسة تنبأت انهُ لا يكون الاَّ قليل من الديانة عند ما يجيء المسيح لكي يقيم ملكوتهُ في العالم . وهكذا عند ما تكلم المسيح عن مجيئهِ فانهُ لكي يشجِّع مختاريهِ الذين يصرخون اليهِ نهارًا وليلاً يقول ولكن متى جاء ابن الانسان ألعلهُ يجد الايمان على الارض لو ١٨ : ٨ . وذلك يدل على غلبة الكفر قبل مجيء المسيح لكي ينتقم لكنيستهِ المضطهدة . ومع ان مجيء المسيح يوم الدينونة لا يجب اخراجهُ من هذه الآية يبان ان ذلك يتجه بنوع خصوصي الى مجيئهِ لاجل انقاذ كنيستهِ من آلامها الكثيرة الطويلة . وذلك قد تمَّ حين مجيئهِ عند خراب المسيح الكذاب . وحينئذٍ تتمُّ الآيات الآتية . وهي قول صاحب الرؤيا حتى متى ايها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنتقم لدمائنا من

الساكنين على الارض رؤ ٦ : ١٠ . وقوله ايضًا افرحي لها ايتها السماء والرسل القديسون والانبياء لان الرب قد دانها دينونتكم رؤ ١٨ : ٢٠

ولا يخفى ان هذا الوقت مظلم جدًّا نظرًا الى امر الديانة لانهُ لا يوجد الاَّ ايمانٌ قليل والارض مملوءة من الكفر. وذلك تكميل لقول بطرس الرسول عالمين هذا اولا انهُ سيأتي في آخر الايام قومٌ مستهزئون سالكين بحسب شهوات انفسهم ٢ بط ٣ : ٣. وقول يهوذا اما انتم ايها الاحباء فاذكروا الاقوال التي قالها سابقًا رسل ربنا يسوع المسيح فانهم قالوا لكم انهُ في الزمان الاخير سيكون قومٌ مستهزئون سالكين بحسب شهوات فجورهم يه ع ١٧ و ١٨. ولا نعلم هل تكون الاوقات اكثر ظلامًا مما هي الآن ولا مقدار ظلامها قبل ابتداء عمل الله المجيد

ثانيًا على حسب ما يظهر من الكتب المقدسة ان عمل الله هذا العظيم مع انهُ يتمُّ بسرعة عظيمة يكون بالتدريج شيئًا فشيئًا . وكما ان بني اسرائيل أُخرجوا بالتدريج من سبي بابل جماعةً بعد اخرى وبالتدريج جدَّدوا بناء المدينة والهيكل. وكذلك المملكة الوثنية الرومانية خربت بواسطة امتداد الانجيل وتغلبهِ بسرعة شديدة ولكن كان ذلك بالتدريج . ومع انهُ يوجد اشياء كثيرة يبان منها ان عمل الله يكون سريعًا جدًّا وحوادث كثيرة عظيمة يكون وقوعها بغتةً في الغاية وبعض اجزاء عظيمة من ملكوت الشيطان المنظور تسقط بغتةً لا يتم ذلك دفعةً واحدة كما يحدث باعجوبة عظيمة نظير قيامة الاموات . ولكن هذا العمل يجري بوسائط اعتيادية كالتبشير بالانجيل وممارسة وسائط النعمة الاعتيادية وهكذا يكون حدوثهُ بالتدريج فان البعض يرتدُّون ويكونون واسطة لارتداد الآخرين لان روح الله يُعطي اولاً لاجل اقامة الوسائط ثم تُستعمل هذه الوسائط فتنجح . ولا شك ان شعبًا ما يتنوَّر ويرتدُّ نوعًا من الديانة الكاذبة يتلاشى بعد الآخر وكذلك القول في العبادة الكاذبة . ويتضح مما قالهُ دانيال النبي ص ٢ : ٣٥ ان الحجر المقطوع من الجبل بغير يدين صار بالتدريج جبلاً عظيمًا. وكذلك

المسيح يعلمنا ان ملكوت السماء يشبه حبة خردل مت ١٣: ٣١ و٣٢ وانهُ نظير الخميرة المخبأة في ثلاثة اكيال دقيق ع ٣٣ وكذلك يعبر عنهُ في انجيل مرقس ص ٤: ٢٦ الى ٢٨ وفي رؤيا ميـاه بيت المقدس حزقيال ص ٤٧ والكتب المقدسة قد سبقت واخبرت بحوادث كثيرة عظيمة متوالية نفيسة يتمُّ بهـا هذا العمل الجليل . والملاك في كلامهِ مع دانيال النبي عن تلك الازمنة العجيبة يذكر زمانيين يكون في آخرها امور نفيسة بقولهِ ومن وقت ازالة المحرقة الدائمة واقامة رجس المخرب الف ومئتان وتسعون يومًا داص ١٢: ١١ الى ان يقول في العدد التالي طوبى لمن ينتظر ويبلغ الى الالف والثلاث المئة والخمسة والثلاثين يومًا. يشير بذلك الى انهُ يكون شيء عظيم في آخر الزمان الاول . ولكن في آخر الزمان الاخير يكون شيء اعظم الى الغاية

ثانيًا نبيّن الآن كيفية تمام هذا العمل المجيد فنقول

اولاً ان روح الله يُسكَب بنوع جليل لاجل احياء الديانة وامتدادها على اسلوب عجيب. فان هذا العمل العظيم يتمُّ لا بسلطان الرؤساء ولا بحكمة الحكماء بل بروح الله القدوس كما يقول النبي لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود من انت ايها الجبل العظيم امام زربابل تصير سهلاً. فيُخرِج حجر الزاوية بين الهاتفين كرامة كرامة لهُ زك ٤: ٦ و٧. وكذا حزقيال النبي في كلامهِ عن عمل الله هذا العظيم يقول ولا احجب وجهي عنهم بعد لاني سكبت روحي على بيت اسرائيل يقول السيد الرب حزص ٣٩: ٢٩ . ولا نعلم ابن يبتدئُ انسكاب الروح هذا ولا اذا كان يبتدئُ في اماكن كثيرة دفعة واحدة ولا اذا كان ما قد حدث مقدمة وابتداء لهُ

ثم ان هذا الانسكاب اذا ابتدأ يجعل كثيرين يتركون الاثم والنفاق الذي هم الآن منهمكون فيهِ. ويجعل الديانة الروحية المحقرة الآن بهذا المقدار تكتسب حياةً جديدة وعمل التوبة والرجوع المنسي الآن ينتشر ويمتد على طريق لم يكن مثلها قبلاً راجع اش ٤٤: ٣ و٤ و٥ وان الله بواسطة سكبهِ روحهُ القدوس

يؤهل الناس ان يكونوا وسائط عظيمة لاجراء هذا العمل ويملأهم معرفةً وحكمةً ونشاطًا لاجل امتداد ملكوت المسيح وخلاص الانفس وانتشار الانجيل في العالم. ويبتدئ التبشير بالانجيل ان يكون اكثر وضوحًا واشدَّ تأثيرًا مما كان قبلاً. وعمل الله هذا العظيم يتم بواسطة الانذار بالانجيل كما يخبرنا صاحب الرؤيا راجع رؤ ص ١٤: ٦ الى ٨ حتى انهُ قبل سقوط بابل يكون الانجيل قد بُشِّر بهِ في كل العالم وامتد في المسكونة بقوة

وقد أُشير الى ذلك قديمًا بصراخ البوق الفضي في اسرائيل عند ابتداء راحتهم حيث قيل ثم تعبّر بوق الهتاف في الشهر السابع في عاشر الشهر في يوم الكفارة تعبرون البوق في جميع ارضكم لا ٢٥: ٩ . والازمنة المجيدة التي صارت قريبةً هي راحة الكنيسة التي يتقدمها صراخ بوق الانجيل الفضي كما تنبأ اشعياء بقولهِ ويكون في ذلك اليوم انهُ يُضرَب ببوق عظيم فيأتي التائهون في ارض اشور والمنفيون في ارض مصر ويسجدون للرب في الجبل المقدس في اورشليم اش ص ٢٧: ١٣ . ويكون انسكاب عظيم من الروح مع تبشير الانجيل هذا الواضح القوي لكي يكون فعَّالاً في احياء تعاليم الديانة المقدسة التي هي الآن موضوع السخرية في العالم وفي ترجيع كثيرين من الارتقة واتباع البابا ومذاهب أُخر كاذبة . وفي ارجاع كثيرين ايضًا من اثمهم ونفاقهم . وفي الاتيان بجماهير غفيرة الى المسيح طلبًا للخلاص

وعمل الارتداد يجري بنوع عجيب ويمتد من مكان الى مكان حتى ان كثيرين يأتون معًا الى الرب الحسن جماعةً بعد أُخرى على التوالي كما قيل ارفعي عينيكِ حواليكِ وانظري قد اجتمعوا كلهم جاءوا اليكِ يأتي بنوكِ من بعيد وتحمل بناتكِ على الايدي حينئذٍ تنظرين وتنيرين اش ٦٠: ٤ و٥ الى ان يقول مَن هولاء الطائرون كسحاب وكالحمام الى بيوتها ع ٨ . وبما ان الانجيل سوف يبشَّر بهِ كل لسان وشعب وامة وقبيلة قبل سقوط المسيح الكذاب لنا سبيل للظن انهُ يكون ناجحًا جدًّا في ترجيع جماعات كثيرة من كل امة وانهُ ينتشر

ويمتدُّ شيئًا فشيئًا بسرعةٍ عجيبة راجع اش ٦٦: ٧ الى ٩

ثم ان انسكاب روح الله على هذا المنوال لا ينتج منهُ انقلاب ملكوت الشيطان المنظور الاَّ بعد ان يكون قد حدث اولاً مقاومة شديدة. والكتب المقدسة تتكلم عن ذلك باوضح بيان اي انهُ عند ما يأتي المسيح بمجدٍ مثل هذا ويقرب سقوط المسيح الكذاب ويبتدئ ملكوت الشيطان ينزعزع تقوم قوات ملكوت الظلمة وتبذل كل همتها وجهدها كما يحصل بعد سكب الجام السادس الذي يُسكَب لتجفيف نهر الفرات استعدادًا لخراب بابل الروحية رؤ ص ١٦. فان قوات جهنم ترتعد جدًّا وتنهض بكل استطاعتها لمقاومة ملكوت المسيح قبل سكب الجام السابع الذي يكون علةً لخراب هذه القوات ودثارها بالتمام كما قيل ثلاثة ارواح نجسة شبه ضفادع تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شيء رؤ ١٦: ١٣ و١٤. والظاهر ان هذا هو اعظم واخر محاولات الشيطان التي يريد بها ان يخلص ملكهُ من الانقلاب. وربما انهُ يحاول محاولة عظيمة في اواخر العالم لاجل ترجيعهِ

وعند ما يأخذ الروح في الفيض على نوعٍ مجيد هكذا فاذ يرى الشيطان جماهير تجتمع الى المسيح من جميع القبائل واعمدة ملكوتهِ واساساتهِ تسقط بغتةً بالسرعة يضطرب جدًّا وتنزعج معهُ كل القوات الجهنمية. فان الشيطان كان دائمًا في احتساب وخوف من خراب ملكتهِ ولذلك استعمل وسائط عظيمة لمنع هذا الحذور وعلى الخصوص منذ ايام قسطنطين. ولاجل هذه الغاية اقام في العالم ملكة المسيح الكذاب وغيرها وادخل بين الناس جميع الارتقات والخرافات والآراء الفاسدة. ولكن عند ما يرى ان ذلك جميعهُ قاصرٌ عن تحصيل بغيتهِ ينزعج جدًّا ويهيج هياجًا شديدًا. واذ كان الشيطان قديمًا قد خاف جدًّا ان يخرَج من المملكة الرومانية فكم بالحري يجب ان يكون خوفهُ اعظم من ان يخرَج من جميع العالم

والظاهر انهُ في هذه المقاومة الاخيرة العظيمة تتحد معًا كل قوات المسيح الكذاب والوثنيين اي جميع قوات ملكوت الشيطان المنظور بين كل الجنس البشري

ولا نعلم على الخصوص ما هي الطريقة التي يستعملها العدو في هذه المقاومة فان الكتاب المقدس يعبّر عنها بالقتال حيث يقول للقتال اليوم العظيم يوم الله الضابط الكل. ولا ريب انهُ يكون على احدى الطرائق قتال شديد بين ملكوت الشيطان والكنيسة وربما يكون فيهِ جميع انواع المقاومة التي يمكن اختراعها. ولاشك انهُ يكون مقاومة عظيمة بالقوة الخارجية. فان ملوك العالم الذين هم من حزب الشيطان يتفقون يدًا بيدٍ جميعًا لانهُ قيل ورأيت الوحش وملوك الارض واجنادهم مجتمعين ليصنعوا حربًا مع الجالس على الفرس ومع جندهِ رؤ١٩: ١٩. وربما تحصل مقاوماتٌ عظيمة بواسطة الماحكة والفطنة الجسدية والاضطهاد والافتراء والمكر والخداع. والشيطان حينئذٍ لابد ان يستعمل كل حذاقتهِ ويفرغ جهدهُ في هذا القتال. والذين يختصون بملكوتهِ يتحركون في كل مكان ويتحدون في المقاومة الشديدة لهذه الديانة التي بروتستانتية باعظم قوة في العالم

ثانيًا ان المسيح وكنيستهُ يحصلون في هذا القتال على غلبة كاملة على اعدائهم الذين لابد ان يخذلوا ويبيدوا بالكلية في جهادهم هذا الاخير. وعند ما تجتمع قوات جهنم والارض هكذا معًا على المسيح وتأتي جنود المسيح عليهم بكلامهِ وروحهِ فان الغلبة التي تكون للمسيح وكنيستهِ عليهم تكون عظيمة جدًا كما يصفها صاحب الرؤيا راجع ص ١٩: ١١ الى آخرهِ وهو في التعبير عن عظمة مجد الغلبة التي يحصلون عليها والانقلاب العظيم الذي يحيط باعدائهم يقول فصرخ بصوت عظيم قائلاً لجميع الطيور الطائرة في وسط السماء هلمّ اجتمعي الى عشاء الاله العظيم لكي تأكلي لحوم ملوك ولحوم قواد ولحوم اقوياء ع ١٧ و١٨ ثم انهُ في الاعداد التالية يخبرنا باجلى بيان عن الغلبة والانقلاب

وفي هذه الغلبة يُسكب الجام السابع. فقد قيل عن الجيش العظيم الذي يجتمع على المسيح ويجمعهم الى الموضع المسمّى بالعبرانية هرمجدُّون. ثم قيل والملاك السابع سكب جامهُ على الهواء فخرج صوتٌ عظيمٌ من هيكل السماء من العرش قائلاً قد تمَّ رؤ ١٦:١٦ و١٧. فان امر الشيطان واتباعهِ حينئذٍ ينتهي لانهُ عند الحصول على الغلبة ينتهي بالفعل كل شيء. فقد غُلب الشيطان في مقاومتهِ العظمى والاخيرة وخُذِلت جميع محاولاتهِ وسُحقت اعمدة ملكوتهِ ولهذا لابد من سقوطهِ. نعم ان الشيطان قد خُذِل وارتبك في امرهِ ولا يعلم ماذا يعمل فانهُ يرى مالكهُ البابلية الوثنية تسقط باسرها وقد سُلب مضاء جميع آلاتهِ القاطعة وتمَّ بالفعل ما كانت كنيسة الله كل هذه المدات في انتظارهِ صارخة الى الله حتى متى ايها الرب القدوس الحقيقي الى آخرهِ. فحينئذٍ يكون قد اتى ذلك الزمان

والملاك الذي وضع رجلهُ اليمنى على البحر ورجلهُ الشمال على الارض ورفع يدهُ نحو السماء وحلف بالحي الى الابد انهُ عند ما يبوّق الملاك السابع لا يكون ايضًا زمانٌ. فيكون قد اتى الزمان. وبوّق الملاك السابع وسكب الجام السابع اشارةً الى انهُ قد تمَّ كل شيء نظرًا الى انقلاب ملكوت الشيطان المنظور على الارض. وهذه الغلبة تكون اعظم جدًّا من جميع الغلبات الاخرى التي حصلت على الشيطان واتباعهِ. وبهذه الضربة التي بها يضرب الحجر المنطوع من الجبل بغير ايادٍ تمثال الذهب والفضة والنحاس والحديد والخزف يتكسر ذلك التمثال الى قطع كثيرة وبها تكون آخرتهُ حتى يصير نظير الهباء الذي تذريهِ الريح في ايام الصيف

وفي هذه الغلبة تظهر القوة الالهية افضل ظهور ويظهر المسيح فيها نظير ملك الملوك ورب الارباب رؤ ١٦:١٩. وحينئذٍ يسحق المسيح اعداءهُ حتى اعظمهم واكثرهم تكبرًا ويكسرهم كآنية الخزف. واذ ذاك تظهر القوة من الضعف ويجعل المسيح كنيسته تدرس الجبال وتطحنها كما قيل هانذا قد جعلتك نورجًا محدَّدًا

جديداً ذا اسنان . تدرس الجبال وتسحقها وتجعل الآكام كالعصافة اش ٤١: ١٥ وحينئذٍ يتمّ ما قيل في النبي راجع اش ٤٢: ١٣ الى ١٥

ثالثاً انهُ بسبب هذه الغلبة انهدم الملكوت المنظور الذي للشيطان على الارض . وعند ما تصير الغلبة على الشيطان في هذا القتال الاخير يصير العمل هيناً على الكنيسة كما كان عند حصول يشوع وبني اسرائيل على تلك الغلبة العظيمة التي كانت لهم على ملوك الاموريين الخمسة . وعند ما وقفت الشمس وارسل الله حجارةً عظيمة على اعدائهم كان هيناً عليهم ان يخضعوا مدنهم وبلادهم. وكذلك كان بعد القتال الآخر العظيم الذي كان بين يشوع وجماعةٍ كثيرة على مياه ميروم. وهكذا بعد حصول المسيح وكنيستهِ على هذا الظفر العظيم باعدائهم اعني رؤساء مملكة الشيطان يهدمون تلك المملكة بجميع ما فيها من المدن والقرى . وبعد ذلك يكون لكلمة الله تقدمٌ هينٌ سريعٌ على الارض كما قيل انهُ عند سكب الجام السابع سقطت مدن الامم وكل جزيرة هربت وجبالٌ لم توجد رؤ ١٦: ١٩ و ٢٠. ومتى كسر الحجر المقطوع من الجبل بغير ايادٍ ذلك التمثال وسحقهُ لا تبقى صعوبةٌ في ملاشاة بقاياهُ فان الريح تحملها وتبددها نظير الهباء في ايام الصيف وبما ان الملكوت المنظور الذي للشيطان على الارض ينهدم قبل ان الجام السابع الذي يكون سبباً لخرابهِ يُسكب في الهواء الذي هو محل مملكة الشيطان الخصوصي كما تخبرنا الكتب المقدسة لانهُ يسمّى رئيس سلطان الهواء اف ٢: ٢ ويكون قد اتى زمان قصاص لوياثان الذي يذكرهُ اشعياء النبي عند قولهِ في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفهِ القاسي العظيم الشديد لوياثان الحية الهاربة . لوياثان الحية المنحوتة ويقتل التنين الذي في البحر ص ٢٧: ١

ثانياً اذ قد بينت الامور التي بها يقوم خراب ملكوت الشيطان اذكر الآن امتداد هذا الخراب في كل مكان . فان ملكوت الشيطان يخرب وملكوت المسيح يُبنى على خرابهِ في كل مكان من المسكونة . فيتمّ بذلك ما وُعد بهِ ابرهيم انهُ بهِ وبزرعهِ يتبارك جميع قبائل الارض ويصير المسيح مشتهى جميع الامم حج ٢:

٧ . وحينئذٍ يمتد ملكوت المسيح بالحقيقة الى جميع الشعوب وجميع الاماكن . وفي الكتب المقدسة عباراتٌ كثيرة لا يمكن فهمها الاَّ على هذا المعنى

فهل شيءٌ اعمُّ مما جاء في اشعياء عند قولهِ لان الارض تمتلئُ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر اش ص ١١ : ٩ . كانهُ قال كما لا يوجد شيءٌ من البحر الاَّ وهو مغطًّى بالماء كذلك لا يكون مكان في العالم الاَّ وهو مغطًّى بمعرفة الله كما وردت النبوة حيث قيل ان جميع اقاصي الارض سينظرون الى المسيح ويخلصون اش ٤٥ : ٢٢ . ولكي يوضح انهُ يجب فهم العبارة باعم معنًى قال في العدد التالي بذاتي اقسمت خرج من فمي الصدق كلمة لا ترجع انهُ لي تجثو كل ركبة يحلف كل لسان . وكذلك يستعمل هذا التعبير الاكثر عمومًا في قول دانيال والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تُعطى لشعب قديسي العلي دا ص ٧ : ٢٧ وعند ما طرح الشيطان من المملكة الرومانية فبما انهـا كانت ارفع الممالك وكانت هي الجزء الاعظم من العالم وبقية الشعوب كانوا ادنياء بالنسبة اليها عبر عن ذلك بسقوط الشيطان من السماء الى الارض راجع رؤ ١٢ : ٩ وقد قيل انهُ يطرَح من الارض ايضًا ويُحبس في الهاوية راجع رؤ ٢٠ : ١ الى ٣ . ولا ريب ان ذلك اعظم الحركات المزعجة ولهذا قيل انهُ عند سكب الجام السابع كانت زلزلة عظيمة لم يحدث مثلهـا منذ صار الناس على الارض رؤ ١٦ : ١٧ و١٨ . وهذا ثالث اعمال العناية الالهية العظيمة التي يشار اليها في الكتب الالهية بمجيء المسيح الى الدينونة رؤ ١٦ : ١٥ حيث قيل بعد الجام السادس واجتماع عسكر الشيطان الى قتالهم العظيم وحالاً قبل فوز المسيح بالغلبة عليهم ها انا آتي كلص طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابهُ . والرسول يدعو ذلك مجيء المسيح لانهُ في كلامهِ عن المسيح الكذاب يقول وحينئذٍ سيستعلن الاثيم الذي الرب يبيدهُ بنفخة فمهِ ويبطلهُ بظهور مجيئهِ ٢ تس ٢ : ٨ وكذلك دانيال النبي يسمي مجيء المسيح لكي يقيم ملكوتهُ على الارض ويهلك المسيح الكذاب مجيئًا مع سحاب السماء راجع دا ٧ : ١٣ و١٤ . وذلك يشبه مجيء المسيح الاخير للدينونة اكثر

من جميع الاعمال السابقة المدعوة بذلك . لان هذا العمل هو اعظم واعمّ واشبه بيوم الدينونة الذي يلاحظ جميع العالم من جميع الاعمال الاخري بما لا يُقاس . والقيامة الروحية العظيمة التي تكون لكنيسة الله مرافقةً له تشبه القيامة العمومية في انتهاء العالم اكثر ما سواها راجع رؤ ٢٠ : ٤

وحينئذٍ ينزل الله على اعدائهِ احكامًا هائلة وخرابًا فظيعًا . ولا شك انهُ يكون عند ذلك احكامٌ هائلة ظاهرة من الله على المجدفين والكفرة والارانقة وغيرهم من اعداء المسيح . فيهلكون بها هلاكًا رائعًا بعلامات ظاهرة تدل على الغضب والانتقام ولا سيما على الكذاب والمضطهدون الفساة في كنيسة رومية يهلكون هلاكًا فظيعًا في الغاية وذلك يُعبَّر عنهُ بطرح المسيح الكذاب في النار المضطرمة دا ٧ : ١١ وبطرحهِ حيًّا في بحيرة النار المتقدة بالكبريت رؤ ١٩ : ٢٠

وحينئذٍ يقع على هذه الكنيسة القاسية المضطهدة تلك الاحكام الالهية الفائقة كثيرًا على الاضطهادات التي وقعت منها على الكنيسة رؤ ١٨ : ٥ و٧ . والاحكام التي ينزلها الله على اعداء الكنيسة تكون عظيمة بهذا المقدار حتى كانهُ ارسل عليهم بردًا عظيمًا من السماء ثقل كل واحدة منهُ وزنة كما قيل عند سكب الجام السابع وبردٌ عظيم نحو ثقل وزنة نزل من السماء على الناس . فجدَّف الناس على الله من ضربة البرَد لان ضربتهُ عظيمة جدًّا رؤ ١٦ : ٢١ . وحينئذٍ يكون دوس المعصرة كما هو مذكور في سفر الرؤيا ص ١٤ : ١٩ و ٢٠

وذلك يجعل نهايةً لاضطهادات الكنيسة ويقدّم تسابيح الفرح والمجد . وقد استمرّت الكنيسة في حالة الحزن والكآبة من قيامة المسيح الى الآن لم يفتر عنها ذلك الاَّ قليلاً . واما حينئذٍ فتكون قد انتهت آلامها واحزانها ووصلت الى حدها الاخير . نعم انهُ بعد ذلك بالقرب من نهاية العالم يحصل اهوال عظيمة على الكنيسة الاَّ انها لا تبقى الاَّ زمانًا يسيرًا راجع رؤ ٢٠ : ٣ . لانهُ كما ان ازمنة راحة الكنيسة كانت قصيرة قبل زوال يوم اخرابها الطويل كذلك كل ما يقع عليها من المصائب بعد ذلك يكون قصيرًا جدًّا . ومن وجهٍ آخر ان يوم

احزان الكنيسة واضطهاداتها يبلغ حينئذٍ الى حدّهِ الاخير. والكتب المقدسة في اماكن كثيرة تتكلم عن ذلك الزمان كانهُ آخر آلام الكنيسة ومن ذلك قول اشعياء النبي هانذا قد اخذت من يدكِ كاس الترنح ثُفل كاس غضبي. لا تعودين تشربينها في ما بعد اش ص ٥١: ٢٢ وقولهُ صارخًا نحو الكنيسة عزُّوا عزُّوا شعبي يقول الهكم طيبوا قلب اورشليم ونادوها بان جهادها قد كمل ان اثمها قد عُفي عنهُ انها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها اش ص ٤٠: ١ و ٢ راجع ايضًا ص ٥٤: ٨ و ٩. وقولهُ ايضًا لان الرب يكون لكِ نورًا ابديًا وتكمل ايام نوحكِ ص ٦٠: ٢ وقول صفنيا قد نزع الرب الاقضية عليكِ ازال عدوكِ. ملك اسرائيل الرب في وسطكِ لا تنظرين بعد شرًّا صف ص ٣: ١٥

والزمان الذي قبل ذلك كان زمان حزن للكنيسة لانها فيهِ زرعت بالدموع والدم. واما حينئذٍ فيكون قد حضر زمان حصادها الذي فيهِ تأتي بالفرح حاملةً اغمارها. وانتهى زمان مخاض المرأة الملتحفة بالشمس لانها ولدت ابنها. ولا يخفى ان اقامة ملكوت المسيح بنوع مجيد مثل هذا في العالم هي التي جعلت الكنيسة تتمخض وتتوجع اوجاعًا اليمة كل هذه القرون الكثيرة كما يبان من قول النبي كما ان الحبلى التي تقارب الولادة تتلوّى وتصرخ في مخاضها هكذا كنا قدامك يا رب اش ٢٦: ١٧ راجع ايضًا ص ٦٠: ٢ وص ٦١: ١ و ١١. وحينئذٍ تنسى الكنيسة احزانها وتقدم تسابيح الاعتراف والغلبة وتسابيحها تصعد الى الله من جميع اقطار الارض اش ٤٢: ١٠ الى ١٢ ونشائد الشكر تملأُ السماء والارض جميعًا لان الكنيسة التي في السماء والتي على الارض تفرحان معًا فرحًا عظيمًا وتسبحان الله بقلب واحد. فلا شك ان الانبياء والرسل الاطهار وسائر القديسين في السماء يفرحون فرحًا لا يوصف كما قيل فافرحي لها ايتها السماء والرسل القديسون والانبياء لان الرب قد دانها دينونتكم رؤ ١٨: ٢٠. فانظر كيف تكون هذه التسابيح عامة عند الجميع. وما احسن ما قالهُ النبي في هذا المعنى ترنمي ايتها السموات لان الرب قد فعل. اهتفي يا اسافل الارض اشيدي ايتها الجبال ترنمًا

الوعر وكل شجرة فيهِ لان الرب قد فدى يعقوب وفي اسرائيل تمجد اش ٤٤:٢٣ فيالها من تسابيح بهيجة تترنم بها الكنيسة باسرها في هذا الوقت في السماء وعلى الارض راجع رؤ ص ١٩

ولا يخفى ان ذلك يشبه مجيء المسيح اكثر من جميع الامور السابقة لهُ من حيث انهُ يجعل نهايةً لحال العالم القديم ويدخل فيهِ ملكوت المسيح الابدي. وفي ذلك الوقت يخرب ملكوت الشيطان المنظور الذي بقي ثابتًا منذ بناء بابل فتزول السماء القديمة والارض القديمة ويكون مكانها ارضٌ جديدة وسماء جديدة على وجهٍ افضل مما كانتا قبلاً

وبهذا الايراد المشروح قد اتضحت كيفية نجاح شراء المسيح في ازمنة مضايق الكنيسة وذلك من قيامة المسيح الى سقوط المسيح الكذاب وخراب ملكوت الشيطان المنظور على الارض

الفصل السابع

في نجاح الفداء في ازمنة راحة الكنيسة المسيحية ونجاحها على الاكثر

انني في هذا الفصل اتكلم اولاً عن نجاح الكنيسة في الجزء الاعظم من هذه المدة. ثانيًا عن التمرُّد العظيم الذي يكون في اواخرها. وفي الكلام عن نجاح الكنيسة اذكر امرين على وجه الاطلاق

الاول ان هذا الزمان هو زمان ملكوت السماء على الارض. ومع ان ملكوت السماء قد كان على الارض بعد قيامة المسيح حالاً وفي ايام قسطنطين

وكنيسة المسيح في جميع اجيالها تدعى ملكوت السماء لا ريب ان هذا الزمان هو الزمان الاعظم لملكوت السماء على الارض وهو المقصود على الخصوص بنبوات دانيال التي اخذت منها اليهود هذا الاسم

الثاني ان هذا الزمان هو الزمان الاعظم لاتمام جميع نبوات العهد القديم التي تتكلم عن ازمنة الانجيل المجيدة التي تكون له في الايام الاخيرة . ومع ان هذه النبوات قد تمت في ايام الرسل وقسطنطين نرى عباراتها اليق كثيرًا بالزمان الذي يكون بعد سقوط المسيح الكذاب . وهذا هو الزمان الذي يليق به ان يسمى نهار الانجيل المجيد . واما بقية الازمنة فانما هي كسابقة له واستعداد لقدومه . وسوف ترى ان تلك الازمنة كانت ازمنة زرع وبذر وهذه ازمنة حصاد وجمع

ثم نقول اولاً ان هذه الازمنة تكون ازمنة نور عظيم ومعرفة . والزمان الحاضر انما هو زمان ظلام بالمقابلة معها . ويكون نور تلك الازمنة المجيدة عظيمًا بهذا المقدار حتى يقال انه لا يكون حينئذٍ ليلٌ بل نهارٌ دائم فلا يكون مساء ولا ظلمة كما قيل ويكون في ذلك اليوم انه لا يكون نورٌ . الدراري تنقبض ويكون يوم واحد معروف للرب لا نهار ولا ليل بل يحدث انه في وقت المساء يكون نور زك ١٤ : ٦ و ٧ . ويقال ايضًا ان الله سوف يعطي كنيسته نورًا ساطعًا بهذا المقدار حتى يغلب نور الشمس والقمر فيخجلان كما قيل ويخجل القمر وتخزى الشمس لان رب الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي اورشليم وقدام شيوخه مجدٌ اش ٢٤ : ٢٣

ولا يخفى انه يوجد الآن غشاء مسدول على القسم الاعظم من العالم يحجب عنهم النور ويتركهم في الظلمة . واما حينئذٍ فان هذا الغشاء يتمزق ويتلاشى كما قيل ويفنى في هذا الجيل وجه النقاب . النقاب الذي على كل الشعوب والغطاء المغطى به على كل الامم اش ٢٥ : ٧ . وحينئذٍ تمتلئ جميع البلدان والقبائل من النور وتمتدُّ معرفةٌ عظيمة في كل مكان . ولنا سبيلٌ الى الرجاء بان كثيرين من اهالي افريقية والهنود يكونون لاهوتيين وانه ينتشر كتبٌ كثيرة جليلة في الحبشة

وبلاد التتر واماكن اخرى من بلاد البرابرة . وكثيرون من عامة الشعب فضلاً عن العلماء يكون لهم حينئذٍ جانبٌ عظيم من معرفة الديانة كما يبان من قول النبي وتحسر عميون الناظرين وآذان السامعين تصغي وقلوب المتسرّعين تفهم علمًا والسنة العيبين تبادر الى التكلم فصيحًا اش ٣٢: ٣ و ٤ . وتكون المعرفة حينئذٍ عامة بين جميع الشعوب كما قيل ولا يعلمون بعد كل واحدٍ صاحبهُ وكل واحدٍ اخاهُ قائلين اعرف الرب لانهم جميعهم سيعرفونني من صغيرهم الى كبيرهم يقول الرب ار ٣١: ٣٤

وحينئذٍ تنكشف بنوع عجيب صعوبات تعاليم الديانة ويجلي كثيرٌ من العبارات التي تظهر لنا انها متضادة . والاشياء المعوجة تستقيم والاماكن الخشنة تلين والظلام يصير نورًا قدام شعب الله . وتتضح غوامض كثيرة في الكتب المقدسة وتظهر امورٌ عجيبة في كلام لم تُلاحَظ قبلاً . واكتشاف تلك الامور العظيمة في الديانة التي كانت مستورة فيما سبق تُقابَل برفع الحجاب وكشف تابوت الشهادة الذي كان قبلاً محفوظًا في مكان خفي من الهيكل ولم يكن الشعب يراهُ قط . ولهذا عند تبويق الملاك السابع قيل انهُ انفتح هيكل الله في السماء وظهر تابوت عهدهِ . وذلك بعد قولهِ ان ملك هذا العالم صار لربنا ولمسيحهِ رؤ ص ١١: ١٥ و ١٩ ويكون نمو المعرفة في ذلك الوقت عظيمًا جدًّا حتى ان السماء تكون كانها مفتوحة لكنيسة الله على الارض .

ثانيًا ان تلك الازمنة تكون ازمنة قداسة . وحينئذٍ تمتد الديانة الحية وتستولي في كل مكان . وتكون تلك الكنيسة شاذّة عما يقولهُ المسيح عن حالة الكنيسة العمومية اي انهُ لا يخلص الاَّ قليلون . لان القداسة تكون حينئذٍ كثيرة الوجود كما قال النبي وشعبكِ كلهم ابرار اش ٦٠: ٢١ . ولا يريد بذلك انهُ لا يبقى احدٌ من دون مسيح بل ان الشرَّ المنظور يقلُّ في كل مكان وتكون القداسة الحقيقية عمومية وان لم تكن موجودة عند كل واحدٍ بطريق الحصر . وتكون تلك الازمنة عجيبة ليس من حيث كثرة الصالحين فيها فقط بل من حيث ازدياد

النعمة وغلبتها كما قيل لا يكون بعدُ هناك طفل ايام ولا شيخ لم يكمل ايامهُ لان الصبي يموت ابن مئة سنة والخاطئ يُلعَن ابن مئة سنة اش ٦٥: ٢٠ وقيل ايضًا فيكون العاثر منهم في ذلك اليوم مثل داود وبيت داود مثل الله مثل ملاك الرب امامهم زك ١٢: ٨ وتكون القداسة حينئذٍ كانها مكتوبة على كل شيء من جميع اعمال الناس ومصالحهم العمومية وادواتهم المستعملة للمعيشة. فيكرَّس كل شيء لله ويستعمل لمقاصد مقدسة ويُعمل كل شيء لمجد الله كما قيل وتكون تجارتها واجرتها قدسًا للرب اش ٢٣: ١٨ راجع زك ١٤: ٢٠ و٢١. وكما يكون شعب الله في ذلك الوقت مشهورًا في طهارة القلب يكون مشهورًا ايضًا في قداسة السيرة والاعمال

ثالثًا ان الديانة في تلك الازمنة تكون مفضلة على كل شيء ويكون لها اعتبارٌ وكرامة. وقد تبين كيف ان القديسين كانوا قبل هذا الزمان متشتتين والاشرار هم اصحاب السلطة والاقتدار. واما حينئذٍ فان الابرار يحكمون ويُعطى الملك لقديسي الله العلي دا ٧: ٢٧. فيتسلطون على الارض رؤ ٥: ١٠ ويملكون مع المسيح الف سنة رؤ ٢٠: ٤. والاشخاص المشهورون في التقوى الحقيقية والديانة يرتفعون الى المراتب السامية وتستولي الديانة الحية حينئذٍ على قصور الملوك وكراسيهم. واصحاب الدرجات العليا يكونون من الناس الاطهار كما قيل ويكون الملوك حاضنيكِ وسيداتهم مرضعاتكِ اش ٤٩: ٢٣. والملوك يستعملون كل قدرتهم ومجدهم وغناهم لاجل تقدم كرامة المسيح ومجدٍ وخير كنيستهِ كما قيل وترضعين لبن الامم وترضعين ثدي ملوك اش ٦٠: ١٦ واكابر العالم والتجار الاغنياء وغيرهم من اصحاب الثروة والسطوة يكرّسون كل ذلك للمسيح وكنيستهِ حسب قول المرنم وبنت صور اغنى الشعوب تترضى وجهكِ بهدية مز ٤٥: ١٢

رابعًا ان تلك الازمنة تكون ازمنة سلامة ومحبة. فيكون حينئذٍ سلام عامٌ واتفاق بين شعوب الارض عوض النزاع والحروب وسفك الدماء كما تنبأ

اشعياء بقولهِ فيقضي بين الامم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككًا ورماحهم مناجل لا ترفع امةٌ على امةٍ سيفًا ولا يتعلمون الحرب في ما بعد اش ص ٢:٤ وتتلاشى جميع ادوات الحرب اذ لا يعود لها منفعة كما يتضح من قولهِ مسكّن الحروب الى اقصى الارض . يكسر القوس ويقطع الرمح المركبات يحرقها بالنار مز ٤٦:٩ راجع زك ٩:١٠ وتسكن جميع القبائل بالهدوء والطمأنينة بدون خوف من الاعداء حسبما قال النبي ويسكن شعبي في مسكن السلام وفي مساكن مطمئنة وفي محلات امينة اش ٣٢:١٨ راجع زك ١٨:١٠ و ١١

وحينئذٍ يزول الشرُّ والحسد والبغضة والحقد من كل مكان وتكثر السلامة والمحبة بين الانسان وصاحبهِ . وما احسن عبارات اشعياء في هذا المعنى راجع ص ١١:٦ الى ١٠ وتكون المحبة بين الرعاة والرعايا لان الولاة حينئذٍ يحبون شعوبهم ويبذلون جهدهم في ما يؤول الى خيرهم وراحتهم والشعوب يحبون ولاتهم ويخضعون لهم بفرح ويقدمون لهم الكرامة الواجبة . وكذلك تكون محبة سعيدة بين القسوس والشعب كما قيل ويرد قلوب الآباء على البنين وقلوب البنين على آبائهم مل ٤:٦ . وفي تلك الايام تنمو هذه الفضائل المسيحية السامية وهي الوداعة والصفح والاناة والحلم والجودة والمحبة الاخوية التي هي اثمار الروح . ويكون الناس في طباعهم وسلوكهم نظير حمَل الله يسوع المحبوب ويكون الجسد مطابقًا للراس

وكذلك يتحد جميع العالم في جماعةٍ واحدة بالمحبة . وجميع القبائل في جميع اقسام الدنيا على جميع جهات الكرة يرتبطون معًا باتفاق عجيب . وكل اقسام كنيسة الله يساعد احدها الآخر على التقدم في الامور الروحية . وتصير مراسلة بين جميع اقسام العالم في هذه الغاية . وصناعة السفن في البحر التي تُستعمل الآن لاجل الطمع والكبرياء واكثر الذين يمارسونها اشرارٌ فاسقون تتكرّس حينئذٍ لله وتُستعمل في امور مقدسة راجع اش ٦٠:٥ الى ٩ وتكثر حينئذٍ محبة الناس بعضهم لبعضٍ ليس بالكلام فقط بل بعمل الاحسان والمعروف ايضًا راجع

اش ٥٤:٢ و٨

خامسًا ان تلك الازمنة تكون ازمنة نظام جميل في كنيسة المسيح. فان حكمة الكنيسة وتأديبها يكونان حينئذٍ ثابتين وجاريين بالفعل ويكون جميع العالم كنيسة واحدة فقط وجماعة مهذبة قانونية مرتبة. وكما ان الجسم يكون واحدًا تكون جميع الاعضاء على نسبة واحدة حسنة. وحينئذٍ يتمُّ ما قيل اورشليم مبنية كمدينة متصلة كلها مز ١٢٢:٣

سادسًا ان كنيسة الله تكون حينئذٍ جميلة وجليلة. نعم وتظهر في جمال تام كقول اشعياء قومي استنيري لانهُ قد جاء نورك ومجد الرب اشرق عليكِ ص ٦٠:١ وقولهِ ايضًا لانهُ قد البسني ثياب الخلاص كساني رداء البر مثل عريس يتزيَّن بعمامة ومثل عروس تتزيَّن بحليها ص ٦١:١٠ ومن ثمَّ تكون الكنيسة حينئذٍ اعظم صورة السماء نفسها

سابعًا انها تكون ازمنة نجاح عظيم في الامور الزمنية ايضًا. فان الحالة الروحية التي ذكرناها من شأنها ان تكون مقرونة بالصحة وطول الحياة. وذلك يتضح من قول زكريا هكذا قال رب الجنود سيجلس بعد الشيوخ والشيخات في اسواق اورشليم كل انسان منهم عصاهُ بيدهِ من كثرة الايام زك ص ٨:٤. ومن شأنها ايضًا ان تحدث الراحة والهدوء والفرح وسلامة الضمير والثروة وكثرة الاولاد كما يُستدل من قولهِ ايضًا وتمتلئُ اسواق المدينة من الصبيان والبنات لاعبين في اسواقها ص ٨:٥ وزد على ذلك ان نجاح الشعب في الزمنيات يكون معهُ ايضًا بركات عظيمة من السماء كقول اشعياء ويبنون بيوتًا ويسكنون فيها ويغرسون كرومًا ويأكلون اثمارها اش ص ٦٥:٢١ وقول ميخا يجلسون كل واحد تحت كرمتهِ وتحت تينتهِ ولا يكون من يرعب مي ص ٤:٤. وقول زكريا بل زرع السلام الكرم يعطي ثمرهُ والارض تعطي غلتها والسموات تعطي نداها واملك بقية هذا الشعب هذ كلها زك ص ٨:١٢ راجع ارص ٣١:١٢ و١٣ وعا ٩:١٤ ويقبلون حينئذٍ جميع علامات حضور الله ورضوانهِ ونعمتهِ كما قيل فتكون

لي اسم فرح للتسبيح والزينة لدى كل امم الارض الذين يسمعون بكل الخير الذي اصنعهُ معهم فيخافون ويرتعدون من اجل كل الخير ومن اجل كل السلام الذي اصنعهُ لها ار ٣٣:٩ حتى ان ايام سليمان لم تكن الاَّ مثالاً لتلك الايام من حيث النجاح الزمني الذي يكون فيها

ثامنًا انها تكون ازمنة فرح عظيم كقول اشعياء ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون بترنم وفرح ابدي على رؤوسهم . ابتهاج وفرح يدركانهم . ويهرب الحزن والتنهُّد اش ص ٣٥:١٠ وقولهِ لانكم بفرح تخرجون وبسلام تحضرون الجبال والآكام تُشيد امامكم ترنمًا ص ٥٥:١٢ . وقولهِ ايضًا لكي ترضعوا وتشبعوا من ثدي تعزياتها . لكي تعصروا وتتلذذوا من درَّة مجدها ص ٦٦:١١ وقولهِ فتمتقون مياهًا بفرح من ينابيع الخلاص ص ١٢:٣ ويكون في تلك الازمنة يوم عرس الكنيسة المجيد مع المسيح على الارض كقول صاحب الرؤيا لنفرح ونتهلل ونعطهِ المجد لان عرس الخروف قد جاء وامرأتهُ هيأت نفسها رؤ ص ١٩:٧ . الى ان يقول طوبى للمدعوين الى عشاء عرس الخروف ع ٩

تاسعًا ان الكتب المقدسة تعلمنا ان هذا النجاح يبقى زمانًا طويلاً بخلاف الراحة والنجاح اللذين كانا في الزمان السابق فانهما لم يبقيا الاَّ مدةً يسيرة . وعلى ذلك قول صاحب الرؤيا ورأيت نفوس الذين قتلوا من اجل شهادة يسوع عاشوا وملكوا مع المسيح الف سنة ص ٢٠:٤ . وقول اشعياء عوضًا عن كونكِ مهجورة ومبغضة بلا عابر بكِ اجعلكِ فخرًا ابديًا فرح دور فدوراش ص ٦٠:١٥ . وفي هذا كفاية لايضاح نجاح الكنيسة مدة الجزء الاعظم من خراب ملكوت الشيطان المنظور في العالم الى ظهور المسيح في سحاب السماء للدينونة

ثانيًا انتقدم الآن الى الكلام عن الارتداد العظيم الذي يكون عند نهاية هذه المدة وكيف يقع الخوف على الكنيسة من اعدائها . وذلك ينقسم الى ثلاثة رؤوس

الاول انهُ قبل نهاية العالم بمدة وجيزة يرتد جانب عظيم من العالم عن المسيح وكنيستهِ . فقد قيل في سفر الرؤيا ص ٢٠ : ٣ ان الشيطان يُطرَح في الهاوية ويُغلق عليهِ ويختَم عليهِ لكي لا يضل الامم في ما بعد حتى تتم الالف السنة وبعد ذلك لابد ان يُحَلّ زمانًا يسيرًا وقيل فيهِ ايضًا ص ٢٠ : ٧ و٨ انهُ متى تمت الالف السنة يُحَل الشيطان من سجنهِ ويخرج ليضل الامم الذين في اربع زوايا الارض جوج وماجوج . ومن ذلك يتضح ان الضلال يكون عموميًا جدًّا لان قبائل اربع زوايا الارض تضل وعدد الذين يصيرون حينئذٍ اعداء للمسيح يكون كثيرًا جدًّا كما يخبرنا حزقيال عن عسكر جوج وماجوج . فقد قيل في رؤ ٢٠ : ٨ ان عددهم مثل رمل البحر قد صعدوا على عرض الارض كانهم عسكر عظيم يبلغ من احدى زوايا الارض الى احدى زواياها

وهكذا بعد مضي زمان سعيد ويوم طويل من النور والقداسة والمحبة والسلامة يكون ايضًا زمان مظلم ويبتدئ الشيطان ثانيةً في تشييد ملكوتهِ على الارض . وهكذا العالم يصير ايضًا مشهدًا للظلام والشر وينفتح العمق وتخرج الشياطين ثانيةً منهُ ويصعد من هناك دخانٌ عظيم يجعل العالم مظلمًا . وعوض ان تمتد كنيسة المسيح الى اقاصي الارض كما كانت قبلاً ترتد الى حدودٍ ضيقة . والناس بعدما استمرُّوا كل هذا الزمان في حالة النجاح العظيم يأخذون يحتقرون نجاح الديانة ويخدمون شهواتهم وفسادهم لو ١٧ : ٢٦

ثانيًا ان هولاء الضالين يضادُّون كنيسة الله مضادة شديدة وينهدون الكنيسة بسرعة الخراب . وقد قيل ان الشيطان جمعهم معًا للقتال كالرمل على شاطئ البحر فخرجوا على ساحة الارض واحاطوا بعسكر القديسين والمدينة المحبوبة حتى ان هذه المدينة سوف تبان كانها مستعدة لابتلاعهم اياها . لان اعداءها لا ينهدونها فقط بل يجتمعون عليها لاجل محاربتها . ولا يقنعون بهذا فقط بل سوف يحاصرونها ويحيطون بها من كل جانب . غير انهُ لا يوجد في النبوة شيء يبان منهُ ان الكنيسة تسقط حقًّا في ايديهم كما سقطت في يد المسيح

الكذاب الذي أُعطي له ان يحارب القديسين ويغلبهم . والله لا يسمح ابدًا بوقوع ذلك بعد سقوط المسيح الكذاب لان يوم نوحها يكون قد فرغ وانتهى ولكن يقع عليها خوفٌ عظيم من الخراب الكامل بغتةً في تلك الايام

ثالثًا ان حالة الاشياء الواقعة حينئذٍ تشعر بالاحتياج الى ظهور المسيح حالاً الدينونة . لان العالم حينئذٍ يكون مملوءًا من اخبث الشرور والجزء الاعظم من العالم يجاهر بالفواحش ويكونون اعداء ظاهرين لمسيح وشرهم يزداد ويشتدُّ جدًّا بواسطة ضلالهم . وقبل سقوط المسيح الكذاب يكون العالم مملوءًا من الناس الاشرار ولكن الجزء الاعظم من هولاء يكون من الوثنيين الذين لم يشرق عليهم نور الانجيل . واما الباقون فيكونون من الذين انشقوا عن الكنيسة المسيحية التي هي ملكوت المسيح المنظور على الارض حيث حصلوا على النور العظيم وانعامات الازمنة السعيدة التي تكون اعظم جدًّا من النور والانعامات الحاصلة عليها كنيسة الله الآن . وهذا الضلال يكون اكثر مشابهة لضلال الشياطين من جميع ما تقدمهُ لان الشياطين ضلوا وصاروا اعداء المسيح مع انهم كانوا متمتعين بنور السماء وكذلك هولاء يضلون ويصيرون اعداء لهُ مع انهم كانوا قد حصلوا على نور وانعامات ازمنة الكنيسة السعيدة ولا ريب ان صيرورة هولاء اعداء للمسيح وطلبهم دمار كنيستهِ تستوجب النقمة التي أُنزلت على الشياطين عند سقوطهم

ولا يخفى ان شرَّ العالم يستدعي ظهور المسيح حالاً في نار مضطرمة لكي ينتقم منهم عن الطريق التي سوف يظهرون بها شرورهم . وذلك يكون بواسطة الافتراء والتجديف على المسيح وعلى ديانتهِ الطاهرة . وهم على الخصوص يضحكون على التعليم بمجيء المسيح الى الدينونة الامر الذي لم تكن الكنيسة في انتظارهِ وتحذرهم منهُ . ولا ريب انهُ الآن يتم على اكمل منوال ما قالهُ الرسول عالمين هذا اولاً انهُ سياتي في آخر الايام قومٌ مستهزئون سالكين بحسب شهوات انفسهم وقائلين اين هو موعد مجيئهِ لانهُ من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا من

بدء الخليقة بط ٣:٣ و٤ . فان هولاء القوم لا ينتظرون مجيء المسيح بل يضحكون من هذا الاعتقاد ويدوسون جميع هذه القضايا بارجلهم ويسلمون انفسهم الى الشهوات والنهم في الاطعمة والاشربة والتمرّغ في اللذات الجسدية كانهم يبقون في هذا العالم الى الابد . ويستخفون بالانذار الذي تنذرهم به الكنيسة عن مجيء المسيح الى الدينونة كما ان اهل العالم القديم استخفوا بما قالهُ لهم نوح عن الطوفان وكما استخفّ اهل سدوم بما قالهُ لهم لوط عن هلاك مدينتهم . وتعمقهم في الرذائل على هذا المنوال يحرّك المسيح الى المجيء بنار مضطرمة لكي ينتقم من اعدائهِ . ومما يحركهُ الى ذلك ايضاً وقاحتهم في ارتكاب المعاصي وصاريتهم للمدينة المقدسة وهم قد علموا تلك المدات الطويلة بديانة المسيح ونظروا كثيراً منها

ومما يستدعي مجيء المسيح على الخصوص كثرة عدد الاشرار لان العالم في ذلك الوقت يكون مشحوناً من الناس لاستمرارهِ كل تلك الازمنة في حالة النجاح العظيم من دون سبب ينقّص عددهم كالحرب والوبإ ونحو ذلك . والجزء الاكبر من هولاء الناس يكون شريراً مزدرياً بالله وزائغاً عن طريقهِ . ولا شك ان العالم يكون حينئذٍ مملوءاً من الشرور اكثر جدًّا مما كان قبل ذلك منذ تكوينهِ . واذا كان شرُّ الناس عند ما ابتدأوا يكثرون على الارض حرّك الله الى خراب العالم بطوفان ماء فلا محالة ان هذا الشر يستدعي ايضاً هلاكهُ بطوفان نار

وفضلاً عن ذلك ان احوال الكنيسة من هذا القبيل تقتضي ظهور المسيح حالاً لانها تكون حينئذٍ محاطةً باعدائها المجدفين الخطفة المستعدين لابتلاعها ويكون زمان ضيقة شديدة على الكنيسة اذا قطعنا النظر عن التعزية التي تكون لها في رجاء الخلاص بيد الله القوية لانهُ لا يوجد مساعد لها ولا منقذ الاَّ الله سبحانهُ . وبما ان التجربة حينئذٍ تبلغ الى حد الغاية القصوى لابد من مجيء المسيح الى تخليصها من ايدي مضطهديها . ومع ان الكنيسة تكون في خطر عظيم جدًّا تحفظها عناية الله بنوع عجيب حتى يظهر المسيح ويأتي بمجد ابيهِ مع ملائكتهِ

القديسين . وحينئذٍ يجتمع اليهِ جميع الاخيار ويبطل عمل الانذار الذي مارستهُ الكنيسة في جميع القرون بعد السقوط فلا يعود احدٌ يرجع الى الله وكل واحد من تلك الملايين الكثيرة المكتوبة اسماؤُها في سفر الحياة يجتمع الى اصحابهِ ولا يهلك احدٌ منهم . وجسد المسيح السري الذي كان آخذًا في النمو منذ ابتدائهِ في ذلك من ايام آدم يكمل حينئذٍ ويكون فيهِ كل عضوٍ من اعضائهِ بدون نقصان . وبهذا المعنى يكون عمل الفداء قد تمَّ حينئذٍ وتمَّ المقصود الذي لاجلهِ وضع الله وسائط النعمة في كنيستهِ وتكون قد اخذت جميع مفعولها الذي قُصِد بها

الفصل الثامن

في الدينونة العامة

قد بيَّنت فيما تقدم كيف كان نجاح فداء المسيح عند ما كانت كنيستهُ تحت وسائط النعمة . وقد رأينا الحركات العظيمة التي حدثت وسوف تحدث في هذه الملة وكيف ان العناية الالهية قد اكملت نجاح شراء المسيح الذي يقوم بافاضة النعمة على شعبهِ . وفي الكلام على هذا الموضوع قد وصلنا الى نهاية كل شيء واستعداد جميع الاشياء لمجيء المسيح

ولا يخفى ان نجاح شراء المسيح على نوعين باعتبار كونهِ يقوم اما بالنعمة واما بالمجد . فالنوع الاول يظهر في اعمال الله عند ما تكون الكنيسة باقية تحت وسائط النعمة . واما النوع الثاني فانهُ يتمُّ على الخصوص يوم الدينونة . واذ قد بيَّنت كيف تمَّ النوع الاول من النجاح وجب ان ابيِّن النوع الثاني اي النجاح

الذي يتمُّ باسباغ المجد على الكنيسة يوم الدينونة وفي الكلام على ذلك اذكر نبذةً مما يتعلق بهذا النوع من نجاح شراء المسيح فاقول

اولاً ان عظمة نجاح شراء المسيح تظهر على الخصوص في كونها تقوم على الاجمال بخلاص شعبهِ . واسباغ المجد عليهم يُدعى بطريق الغلبة خلاصًا لهم حيث قيل سيظهر ثانيةً بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونهُ عب ٩: ٢٨. ويُدعى ايضًا فداء بما انهُ يقوم بهِ فداء الكنيسة كما قيل الذي خُتمتم بهِ ليوم الفداء اف ٤: ٣٠. وقيل ايضًا لفداء المقتنى لمدح مجدهِ ص ١: ١٤ راجع لو ٢١: ٢٨

ثانيًا ان كل ما يتقدم ذلك عند ما تكون الكنيسة تحت وسائط النعمة انما هو استعدادٌ للنجاح الذي يتمُّ باسباغ المجد . فان وسائط النعمة ونعمة الله نفسها تُعطى للمختارين لكي توهلهم لنيل المجد

ثالثًا ان جميع الاشياء المجيدة التي تحدث للكنيسة وهي تحت وسائط النعمة انما هي رمزٌ وظلٌّ لهذا المجد . فمن هذا النوع كانت الامور المجيدة التي حصلت للكنيسة في ايام قسطنطين . وكذلك يكون كل المجد الذي يحصل بعد سقوط المسيح الكذاب لانها مع كل مجدها لم تكن الاَّ ظلاًّ لما سوف يحدث يوم الدينونة . فلنتقدم الآن الى بيان كيفية اجراء هذا النوع من النجاح فنقول

اولاً ان المسيح يظهر في مجد ابيهِ مع جميع ملائكتهِ القديسين آتيًا في سحاب السماء . فعند ما يكون العالم منهمكًا في شرورهِ ومحدقًا بالمدينة المقدسة مستعدًّا لخرابها يظهر الفادي المجيد . وذلك الذي تمَّ كل هذا بواسطتهِ يظهر امام العالم ويشرق نور مجدهِ . ويشعر بهِ حالاً جميع العالم ويرفعون عيونهم وينظرون هذا المنظر العجيب وتراهُ كل العيون رؤ ١: ٧. والمسيح سيظهر آتيًا بطبيعتهِ البشرية الممجدة التي ولدت في اسطبل ووُضعت في مذود وتألمت بكل قساوة بعد ذلك وسُمّرت على الصليب

فالناس يرفعون ابصارهم حينئذٍ ويرونهُ مقبلاً بجلال نفيس ومجد لا يمكننا ادراكهُ حتى ان مجد الشمس في فلكٍ رائق لا يُعدُّ الاَّ ظالمةً بالنسبة اليهِ . وجميع

الملائكة ورؤساء الطغمات سيحدقون به والوف الوف تخدمهُ وربواتٌ تحيط بهِ . فكم يكون الفرق بين ظهورهِ هذا وظهورهِ الاول على الارض عند ما كان كاصلٍ من ارضٍ عطشانة رجلاً فقيراً ذليلاً . وكم يفرق ظهورهُ الآن بين الملائكة والرؤساء والقوات السموية المحدقة بهِ عن وقوفهِ في وسط جماعةٍ من الشرط بلباس السخرية واكليل الشوك يهزأون بهِ ويتفلون عليهِ او تعليقهِ على الصليب بين لصّين وكثيرون من اعدائهِ يعيّرونهُ ويهزأون بهِ

ولا ريب ان هذا المنظر يكون اعجب المناظر للعالم الشرير ويكون عندهم كالصراخ في نصف الليل فيؤخذون في وسط شرورهم ويقع عليهم الخوف والرعدة . ولا بد ان ذلك يبطل ملاهيهم واكلهم وشربهم وولائمهم ويلاشي مقاصد الجيش العظيم الذي يكون حينئذٍ محدقاً بعسكر القديسين ويجعلهم يطرحون سلاحهم من ايديهم . والعالم الذي يكون حينئذٍ مملوءاً من الناس الذين اكثرهم اشرار يمتلئ في ذلك الوقت من العويل والصراخ الاليم ويبكي على انفسهم من اجلهِ جميع قبائل الارض رؤ ١ : ٧ . وابن يختفون وكم يرتعدون من منظر ذلك الجلال الرهيب . وحينئذٍ يرونهُ كما هو وينظرون من هو الشخص الذي اهانوهُ وسخروا بهِ واجتهدوا في اخراب كنيستهِ . وذلك المنظر يحوّل صوت ضحكهم وغنائهم في محافلهم الى عويل رهيب جهنمي . ووجوههم تنصرف عن منظر الملاهي الدنيوية والكبرياء واحتقار شعب الله ويستولي عليهم الخوف والحيرة والرعدة وصرير الاسنان

واما القديسون فيكون لهم ذلك منظراً مبهجاً في الغاية لانهُ حالاً ينقذهم من جميع مخاوف اعدائهم الذين كانوا محيطين بهم من كل جهة ومستعدين لابتلاعهم وتانيهم النجاة وهم على جناح التلف . ورئيس خلاصهم المجيد يظهر لانقاذهم في الوقت الذي لا يكون لهم فيهِ معين غيرهُ . وحينئذٍ يرفعون رؤوسهم لان خلاصهم قد دنا لو ٢١ : ٢٨ . فالمسيح يظهر بجلال غير محدود ومع ذلك ينظرون محبةً غير محدودة في وجههِ . وهكذا عند ما ينظرون فاديهم وهو

مقبلٌ في سحاب السماء تملأ قلوبهم من البهجة والحبور وتتغير وجوههم ليس كتغيُّر وجوه الاشرار ولكن تتحول من الحزن الى الفرح والغلبة التي لا توصف . والآن يتمُّ عمل الفداء بمعنى آخر اي ان الكنيسة باسرها تُعتَق عتقًا تامًّا ابديًّا من الاضطهاد والاذى الذي يلتحق بها من الناس والاشرار والشياطين

ثانيًا يُضرَب بالبوق الاخير والموتى يقومون والاحياء يتغيرون . فان الله يرسل ملائكته بصوت البوق العظيم لكي يجمعوا مختاريهِ من اربع زوايا الارض بنوع سري قبل خراب اورشليم . اي انهُ ارسل الرسل والانبياء لكي يبشروا بالانجيل في كل العالم . وكذلك بمعنى سري قد ضُرِب بالبوق العظيم في اوائل ازمنة الكنيسة المجيدة . واما حينئذٍ فانهُ يُضرَب بالبوق بمعنى حرفي ويصرخ به بصوت عظيم يزعزع الارض ويعطي علامةً بصوت شديد جدًّا وهو صوت رئيس الملائكة الذي يقول عنهُ بولس الرسول لان الرب نفسهُ بهتاف رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء اتس ٤ : ١٦ . وعند صوت البوق العظيم تقوم الموتى في كل مكان . ولا يخفى ان عدد الموتى يكون حينئذٍ كثيرًا جدًّا فكم هم الذين ماتوا منذ انشاء العالم الى الآن . واما حينئذٍ فان العدد يكون اكثر جدًّا لان مدة العالم تكون قد صارت اطول . واكثر الزمان الباقي يكون فيهِ سكان اكثر من جميع الازمنة السالفة . فجميع هولاء يقومون حينئذٍ من الموت والقبور تنفتح في جميع اقسام العالم والبحر يخرج الموتى الكثيرين الذين فيهِ رو ٦ : ١٣ ٢٠

وحينئذٍ جميع سكان الارض يظهرون دفعةً واحدة جميع الذين كانوا من كنيسة الله في كل القرون آدم وحواء ابوا الجنس البشري الاولان وهابيل وشيث ومتوشلح وسائر القديسين المعاصرين لهم ونوح وابرهيم واسحق ويعقوب وانبياء اسرائيل ورسل يسوع المسيح القديسون الذين كانوا في عصرهم وجميع الشهداء القديسين الذين قُتلوا واحتملوا اضطهادات قاسية . ويكون هناك جميع اعضاء الكنيسة الذين كانوا في ازمنة المسيح الكذاب المظلمة الذين وقع عليهم منهُ

اضطهادات مبرّحة مع جميع القديسين الذين كانوا والذين سوف يكونون الى نهاية العالم. وفي ذلك الوقت يظهر ايضًا جميع اعداء الكنيسة الاشرار في جميع القرون من يهود ووثنيين وبابا ويين والخطاة من كل جنس المراؤون والشهوانيون والارائقة والكفرة والمضطهدون. وكل الذين ماتوا او سوف يموتون في الخطية يجتمعون في هذا الزمان معًا

وعند قيامة الاموات تتغير الاحياء. فاجساد الاشرار الذين يكونون حينئذٍ احياء تتغير بنوعٍ يجعلهم قابلين للعذابات الابدية. واما اجساد جميع الاحياء من القديسين فسوف تتغير بنوع يجعلها كجسد المسيح راجع اكو ١٥: ٤١ الى ٥٣ فتكون حينئذٍ غير قابلة الألم والحزن والتعب. وجميع الثقل والكلالة والضعف الذي كان مستوليًا عليها يزول بالكلية ويلبسون عوضًا عنهُ القوة والجمال والنشاط والمجد الذي لا يبلى ولا يضمحل

وعند ذلك يكمل عمل الفداء باعتبار آخر. فان جميع شعب الله يُفدَى بالحقيقة من حيث الجسد والنفس جميعًا لان عمل الفداء كان قبل بالنظر الى نجاحهِ فعلاً غير كامل اذ ان انفس المفتدين فقط قد خلصت وتمجدت ما عدا امثلة قليلة واما حينئذٍ فان اجساد القديسين كلها تخلص وتتمجد جميعًا وجميعهم يتمجدون جسدًا ونفسًا معًا

ثالثًا انهُ في ذلك الزمان يُختَطف القديسون في السحاب ليلتقوا الرب في الهواء. وجميع الاشرار من الناس والملائكة يصطفون امام عرش الديان. ومتى انبعثت الاموات من القديسين فحينئذٍ كل الكنيسة المجتمعة من جميع شعب الله في كل القرون تجلس معًا على الارض ما عدا القليلين الذين تجدت اجسادهم ثم يركبون جميعًا كانهُ على اجنحة ليلتقوا المسيح الذي سوف ينصب كرسيهُ في الهواء ويراهُ هناك جميع الجماهير الغفيرة المجتمعة امامهُ. وحينئذٍ يصعد القديسون الى مخلصهم. فهكذا يعلمنا الرسول انهُ متى قام الموتى بالمسيح وتغيرت الاحياء يُختَطف معهم الاحياء الذين يبقون لكي يلتقوا الرب في الهواء وهكذا يبقون الى الابد مع

المسيح راجع اتس ١٦:٤ و١٧ . فكم يكون ذلك المنظر عجيبًا عند ما تطير هكذا الملايين الكثيرة من القديسين من جميع اقطار العالم

وحينئذٍ يتمُّ عمل الفداء باعتبار آخر ايضًا. فان جميع الكنيسة حينئذٍ يخلصون على التمام والى الابد من هذا العالم الشرير ويودعون وداعًا ابديًا هذه الارض التي كانوا فيها غرباء والتي كانت مشهدًا الاحزان والبلايا حيث الشيطان تملَّك كماله وجار عليهم جورًا شديدًا . فيتركون هذه الدنيا محلَّ الشرور والخبائث التي صُلِب فيها المسيح ربهم وابغضهم اهلها وطردوهم وعيَّروهم وذاك من دون رجاء العودة اليها . ويصير بينهم وبين الاشرار انفصالٌ أبديّ فانهم كانوا قبلاً ممتزجين بهم حتى انهُ في احوال كثيرة لم يمكن ان يميَّز بينهم . واما حينئذٍ فيظهر كل شيء ويمتاز الصالحون والاشرار ظاهرين كما هم بالحقيقة

وحينئذٍ ترى الكنيسة تأتي من المشرق والمغرب والجنوب والشمال وتصعد الى بين المسيح . فما اعظم السحاب الذي سوف يكون منهم . فان كل اعضاء كنيسةٍ في جميع الاجيال كل الذين كانوا قبل المسيح وكل جماعة القديسين الذين كانوا في ايام الرسل والذين كانوا في ايام قسطنطين العظيم والذين كانوا قبل الاصلاح او بعدهُ والذين سوف يكونون في كنيسة الله في ما يأتي من الزمان في ايام سعادة الكنيسة مع جميع الذين يبقون احياء عند مجيء المسيح نراهم جميعًا يزدحمون معًا في السحاب عن يمينهِ له المجد

وحينئذٍ ايضًا يتمُّ عمل الفداء باعتبار آخر . فان الكنيسة جميعها تجتمع لانها قبلاً كانت من جماعةٍ واحدة الاَّ انهم كانوا منفصلين جدًّا . فان بعضهم كان في السماء والبعض على الارض . والذين كانوا على الارض كانوا منفصلين عن بعضهم ايضًا بابحار واسعة وبلدانٍ شاسعة . واما حينئذٍ فانهم جميعهم يجتمعون معًا من دون خطر الانفصال الى الابد . وليس فقط اعضاء الكنيسة يجتمعون معًا بل ايضًا يكون هذا الاجتماع مع رأسهم . فيكونون معًا امام حضرتهِ بحيث لا يفترقون عنهُ الى الابد

وفي الوقت عينهِ يؤتى بالناس الاشرار والشياطين الى امام عرش دينونة المسيح. وهولاء يجتمعون عن يسارهِ ويبان انهم يبقون على الارض ولا يختطفون في الهواء نظير القديسين. وابليس الحية العتيقة يخرج حينئذٍ من الجحيم وذلك الذي سبب اولاً سقوط الجنس البشري وقاوم فدءهم بكل جهدهِ وتظاهر بالعداوة المُرة نحو الفادي لا يبقى لهُ قوة ولا سلطان ولا عمل مع كنيسة الله ولا يُسمح لهُ ان يوقع شيئًا من الاذى والمضرَّة على احدٍ من اعضائها بل يُحكم عليهِ وينال الجزاء الواجب لعملهِ. حينئذٍ يأتي الزمان الذي كان دائمًا يخاف ويرتعد عند ما يفتكر فيهِ والذي يجب ان يُقضى عليهِ فيهِ وينبل ملء قصاصهِ. وذلك الذي بواسطة تجربتهِ اوجب صلب المسيح واعتزَّ كانهُ قد فاز بالغلبة سوف يرى عواقب ذلك الموت الذي اوجبهُ. فحينئذٍ يجب عليهِ ان يقف قدام يسوع نفسهِ لكي يحكم عليهِ ويُثخَب ويهلك الى الابد. واذا كان الشيطان رئيس جهنم يرتعد حين يفتكر في ذلك قبل وقوعهِ بآلاف من السنين فكم يجب ان يرتعد هذا الروح المفتخر المتكبر عند ما يأتي ليقف قدام كرسي المسيح

فهو حينئذٍ يقف في مجلس القديسين الذين اظهر نحوهم هذا المقدار من العداوة والضرر لان القديسين يقضون عليهِ مع المسيح كما قال الرسول ألستم تعلمون اننا سندين ملائكة ١كو٦: ٣. وفي هذا الوقت يكون كانهُ مدوس تحت قدمي الكنيسة راجع رو١٦: ٢٠ والشيطان عند ما جرب ابوينا الاولين قال لهما بخبث ومكر انهما يكونان كالآلهة يعرفان الخير والشرَّ ولم يكن يظنُّ ان قولهُ هذا لابد ان يتمَّ في وقتٍ من الاوقات فيكونان كالآلهة ويحكمان عليهِ مع الله. وقلما كان يفتكر ان واحدًا من نسل ذلك الرجل والمرأة اللذين جرَّبهما سوف يتحد مع الله اتحادًا حقيقيًا وانهُ نظير الله سوف يدين العالم. وهو نفسهُ خزاهُ الله سوف يقف قدام كرسي دينونتهِ بالخوف والرعدة. وهكذا جميع الشياطين في جهنم الذين قاوموا المسيح وملكوتهُ بهذا المقدار سوف ينفون الآن بكل انذهال ورعبة امام المسيح الذي يظهر لدينونتهم وامام كنيستهِ الغالبة

وفي ذلك الوقت يؤتى باعداء المسيح الآخرين لكي يقفوا امامهُ . فيؤتى بالكتبة والفريسيين المتكبرين الذين كانوا يبغضون المسيح بغضًا شديدًا في زمان تواضعهِ وكانوا يطردونهُ حتى اماتوهُ . والذين وقف المسيح امامهم ليقضوا عليهِ كمجرم والذين هزأوا بهِ وعيَّروهُ وبصقوا في وجههِ سوف ينظرون حينئذٍ المسيح في مجدهِ الرهيب كما سبق واخبرهم بذلك مت ٢٦: ٦٤ و٦٥ . وكما كان المسيح في ما مضى امام منبرهم للقضاء عليهِ سوف يقفون هم امام منبرهِ ليقضي عليهم وذلك بخوف وحيرة وخزي ورعدة وصرير اسنان وارتعاد فرائص لا توصف

وحينئذٍ يظهر ايضًا جميع اعداء الكنيسة ومضطهديها القساة في جميع القرون . فان فرعون والمصريين وانتيوخوس ابيفانيوس والكتبة والفريسيين الاشرار وملوك الوثنيين المضطهدين ويوليانوس العاصي والباباوات والباباويين المضطهدين العتاة . وجوج وماجوج يظهرون جميعًا دفعة واحدة اما كرسي دينونة المسيح . فهولاء القديسون الذين طردوا منهم في كل قرن يأتون معًا ولا بد ان يتقابلوا وجهًا لوجهٍ امام الديان العظيم . وحينئذٍ يجلس القديسون على كراسيهم المجيدة قضاةً على اولئك الملوك والولاة الظالمين الذين حكموا عليهم قبلاً وشجبوهم واماتوهم موتًا فظيعًا قاسيًا . وينظر هولاء المضطهدون المجد الذي يحصل عليهِ اولئك الذين احتقروهم وعاملوهم بتلك القساوة . وهكذا يحصل تغير عجيب جدًّا في حالة الاشياء وتستقيم جميع الامور

رابعًا ان برَّ الكنيسة يظهر وكل شر اعدائها ينكشف جليًّا . فان القديسين الذين كانوا موضوعًا للبغضة والعار والاهانة في العالم والشجب من المضطهدين بغير علة سوف يأخذ الله ثارهم من اعدائهم وسوف يظهرون في ذلك الوقت بحلة برِّ المسيح ويظهر لجميع الناس ان برَّ المسيح هو لهم ويلمع عليهم بمجدٍ عظيم . وتظهر قداستهم الذاتية وتنكشف جميع اعمالهم الصالحة . وما فعلوهُ من الصلاح خفيةً سوف يظهر علانيةً . وقديسو الله الذين حُسِبوا كاقذار الدنيا ونفايتها وغير مستحقين ان يحيوا وكانهم ادنى من الحيوانات وشر من الشياطين يظهرون حينئذٍ

كانهم قد كانوا افخر ما يوجد في الدنيا ويعلن الله برّهم كالنور وقضاءهم كالظهيرة ويبان من هم الاشرار الذين لم يكونوا اهلاً للحياة

في ذلك الوقت يسمع لهولاء الصديقين قدام هذا الديان العظيم الذين لم يسمع لهم قدام اولئك القضاة الظلمة فيقدمون دعواهم ويقومون في الحكم على مضطهديهم ويُظهِرون كيف كانت معاملتهم لهم وينكشف كل شر الاشرار وتظهر خفاياهم العميقة وتنفتح قلوبهم امام نور ذلك النهار العظيم الساطع وكل ما نطقوا بهِ في الآذان والمخادع او فعلوهُ في الزوايا والظلمات يظهر تجاه ذلك النور ويُنادَى بهِ امام الملائكة والناس

خامساً ان الحكم يخرج للاخيار وعلى الاشرار. فان المسيح القاضي العظيم سوف يصدر حكمهُ المبارك لشعبهِ الذين عن يمينهِ بقولهِ لهم تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المُعدّ لكم منذ انشاء العالم. ويكون خروج هذا الحكم بهجة غير متناهية وصوتهُ يملأ كل قلب من الفرح والبهجة. وهكذا المسيح ينطق حاكماً بالبر للملايين كثيرة ممن خرج عليهم قبلاً الحكم بالشجب من مضطهديهم. فيعطي الكرامة الذين احتُقروا ويتخذهم خاصةً لهُ ويضع اكليلاً مجيداً على رؤوسهم امام العالم. وحينئذٍ يلمعون كالشمس مع المسيح بالمجد والفرح امام جميع اعدائهم

وبعد ذلك يخرج الحكم بالشجب على الاشرار ويقول لهم المسيح اذهبوا عني يا ملاعين الى النار المؤبدة المعدّة لابليس وجنودهِ. فهكذا تقع الدينونة على اعداء الكنيسة ويتحد في حكم الدينونة هذا الشهداء القديسون الذين تألموا منهم. ومتى خرجت هذه الكلمات تُلقي في قلوب الذين على الشمال الخوف الذي لا يوصف وكل حرف منها يكون اهول من الصاعقة في قلوبهم. وكم يكون في ذلك الموقف العظيم من العويل والاضطراب وصرير الاسنان وخزي الوجوه والمناظر الهائلة والاعمال الفظيعة والاصوات المرعبة

سادساً عند ذلك يترك المسيح وكل قديسيهِ وملائكتهُ الذين يخدمونهُ هذا العالم السفليّ ويصعدون الى اعلى السموات. فالمسيح يصعد بمجدٍ كما نزل

وربما يكون مجدهُ حينئذٍ اعظم لانهُ حينئذٍ يصعد وكنيستهُ المختارة معهُ ممجدة بالنفس والجسد . نعم ان صعود المسيح الاول بعد قيامتهِ كان مجيدًا جدًّا ولكن صعودهُ هذا الثاني بجسدهِ السرّي اعني كنيستهُ باسرها يكون امجد في الغاية . فان جميع الكنيسة المفتداة تصعد باسرها معهُ على اجلّ نوعٍ من البهجة والظفر . وجميع مضطهديهم واعدائهم الذين يُتركون وراءهم لكي يُطرَحوا في النار المؤبدة لا بد ان ينظروا هذا المنظر ويسمعوا تسابيح اولئك الصاعدين . وهكذا كنيسة المسيح سوف تترك الى الابد هذا العالم الخبيث لكي تنتقل الى الملك المعدّ لها منذ انشاء العالم في اعلى السموات

سابعًا بعد انطلاقهم يحرَق هذا العالم بالنار ويصير اتونًا عظيمًا حيث يتعذب اعداء المسيح وكنيستهِ الى ابد الابدين كما قيل واما السموات والارض الكائنة الآن فهي مخزونة بتلك الكلمة عينها محفوظة للنار الى يوم الدين وهلاك الناس الفجار ٢بط ٣: ٧ . فكم يقع على الخطاة الخوف والرعدة عند ما تبتدئ النار تمسهم وهم لا يجدون طريقًا للهرب منها . وكم يكون من العويل والبكاء بين تلك الملايين الكثيرة عند ما يأخذون في الدخول الى ذاك الاتون العظيم عند ما يكون العالم اتونًا اكثر حرارةً ولهيبًا من جميع ما سواهُ حتى ان بطرس الرسول قال اليوم الذي فيهِ تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقةً وتحترق الارض والمصنوعات التي فيها ٢بط ٣: ١٠ و١٢ . وتكون حرارتهُ شديدة بهذا المقدار حتى انهُ يحرق الارض الى نفس مركزها والظاهر ان هذا ما ارادهُ تعالى بقولهِ انهُ قد اشتعلت نارٌ بغضبي فتتقد الى الهاوية السفلى وتاكل الارض وغلتها وتحرق أُسس الجبال تث ٣٢: ٢٢

وهناك يحترق بنار ابدية جميع مضطهدي كنيسة الله الذين احرقوا القديسين ويكابدون عذابات اعظم جدًّا مما قدروا بكل حذاقتهم وخبثهم ان يعذبوا القديسين بهِ . وهناك اجساد جميع الاشرار تحترق وتعذب الى الابد ولا تفنى ابدًا . وغضب الله يسكب على نفوسهم . ومع ان انفس الاشرار في جهنم

يكابدون الآن قصاصاً هائلاً يزيد قصاصهم يوم الدينونة بهذا المقدار حتى يكون ما احتملوهُ قبلاً ليس بالمقابلة معهُ الاَّ كمجرَّد الحبس الخالي من العذاب. والآن الشيطان تلك الحية العتيقة يقبل قصاصهُ الكامل ويصيبهُ بالفعل ما كان يرتعد عند الافتكار فيهِ. وهذا العالم الذي كان قبلاً ملكوتهُ حيث جلس كإلهٍ يكون الآن مكان عذابهِ الكامل الابدي. وفي ذاك يكمل على التمام احد مقاصد عمل الفداء وهو وضع اعداء المسيح تحت قدميهِ فانهم يُجعلون موطئًا لقدميهِ على انم منوال ويكون ذلك ابلغ تكميل لما قيل وهو يسحق رأسكِ نك ٣ ١٥

ثامنًا في ذلك تدخل كل الكنيسة مع المسيح مخلصها الكريم الى اعلى السموات وهناك تحصل على سعادة ومجد فائق ابدي. وعند ما يكون العالم السفلي الذي تركوهُ تحت ارجلهم مملوءًا من نار نقمة الله والهيب مضطرم فيهِ والاشرار داخلون الى نارٍ ابدية تدخل جميع الكنيسة مع راسها المجيد وجميع الملائكة محدقة بهم بفرح الى نعيم الله الابدي عرش الرب العظيم ايهم السموي. والابواب تنفتح لهم باتّساع لكي يدخلوا. والمسيح يدخل بهم الى خدرهِ على اكمل منوال ويأتي بهم الى ابيهِ قائلاً هانذا والبنون الذين اعطيتني اياهم. فكانهُ يقول ها انا وكل واحدٍ من الذين اعطيتني اياهم منذ الازل لكي اعتني بهم وينالوا الفداء ويتمجدوا وقد احتملت ما احتملتهُ لاجل فدائهم ولاجل تسهيل طريق هذا الفداء قد جعلت كل تلك التقلبات العظيمة في كل هذه الاجيال الكثيرة. وها هم الآن ههنا حاصلون على الفداء التام في النفس والجسد وقد انقذتهم من جميع اثمار السقوط الرديئة واعتقتهم من جميع اعدائهم وجمعتهم في جماعة واحدة وقربتهم بذاتي وبررتهم علانيةً امام جميع الملائكة والناس. واتيت بهم من ذلك العالم الشرير حيث اصابهم هذا المقدار من الآلام واحضرتهم امام عرشك. وقد عملت لاجلهم كل ما امرتني بهِ. فطهرتهم تطهيرًا كاملاً بدمي وها هم الآن متسربلون بالقداسة الكاملة ولامعون بصورتك البهجة. وحينئذٍ يقبلهم الآب ويتخذهم جميعًا بنين لهُ ويرحّب بهم الى الميراث الابدي ويعطي في هذا الوقت علامات لمحبتهِ اعظم مما

فعل قبلاً ويجعلهم يتمتعون به تمتعاً اكمل واتمّ

في ذلك الوقت يكون عرس الخروف على افضل اسلوب . فان ابتداء ازمنة الكنيسة المجيدة على الارض بعد سقوط المسيح الكذاب يعبَّر عنهـا بعرس الخروف . ولكن بعد هذا يُذكَر عرس آخر للخروف في آخر يوم الدينونة. فان التلميذ الحبيب بعد ان يصف يوم الدينونة رؤ ٢١: ٥٢ يقول انهُ رأى المدينة المقدسة اورشليم الجديدة مهيأة مثل العروس مزينة لرجلها. والمسيح سوف يدخل بكنيستهِ الى بيت ابيهِ في السماء نظير عروسهِ التي احبها وبذل نفسهُ دونها من دون عيب ولا غضن ولا ما يشبه ذلك

وحينئذٍ يدخل العريس والعروس معًا وعليها لباس العرس محفوفين بجميع الملائكة. وهناك يدخلان الى وليمة عرسهما وافراحهِ قدام الآب ويبتدئان في يوم عرسٍ ابدي . وذلك اليوم يكون يوم بهجة قلب المسيح يفرح بهِ جدًّا وجميع القديسين يفرحون معهما . فالمسيح يفرح بعروسهِ . وعروسهُ تفرح بهِ وهي في حالة سعادتها الكاملة الابدية

وحينئذٍ يكمل كل عمل الفداء ويختم البناء بوضع الحجر الاخير. ولا يخفى اننا في سياق كلامنا قد تتبعنا كنيسة الله في جميع تقلباتها العظيمة وانقذافها الى هنا وهناك في قرون العالم الكثيرة وقد رأيناها دخلت الميناء وخرجت الى شاطئ اعلى السموات بمجدٍ كامل ابدي . وتكلمنا عن قرون العالم كما ارشدتنا عناية الله وكلامهُ . ورأينا جميع اعداء الكنيسة قد حُكم عليهم بالشقاء الذي لانهـاية لهُ . ورأينا الكنيسة قد حضرت بفدائها التام امام ابيها في السماء لكي تتمتع هناك بالمجد والغبطة التي لا توصف ولا تدرك . وهناك نتركها تتمتع بهذا المجد الى ابد الدهور التي لا نهاية لها

حينئذٍ يوضع جميع اعداء المسيح على التمام تحت قدميهِ وينال الغلبة الكاملة على الخطية والشيطان وجميع حيلهِ وعلى الموت وجهنم . وفي ذلك الوقت تكمل على التمام جميع المواعيد التي وعد بها الله الآب ابنهُ الوحيد قبل انشاء العالم اي

مواعيد عهد الفداء . وينال المسيح الفرح الموضوع امامهُ الذي لاجلهِ قاسى تلك الآلام العظيمة في حال تواضعهِ وحينئذٍ يكمل كل رجاء القديسين وانتظارهم. وقد كان حال الكنيسة قبلاً تدريجيًّا واستعداديًّا اما الآن فقد بلغت الى اكمل حالٍ من مجدها . وجميع مجد الكنيسة على الارض ليس هو الاَّ ظلاًّ ضعيفًا لمجدها هذا الكامل في السماء

حينئذٍ يتمجد المسيح الفادي العظيم على اكمل منوال والله الآب يتمجد بهِ والروح القدس يتمجد على اتمِّ حالٍ باكمال عملهِ في قلوب جميع الكنيسة . وفي هذا الوقت تكمل على التمام الارض الجديدة والسماء الجديدة بعد ان تنحل الارض القديمة والسماء القديمة كما قيل ثم رأيت سماء جديدة وارضًا جديدة . لان السماء الاولى والارض الاولى مضتا رؤ ٢١ : ١ . ويكون المسيح قد اكمل ما يتعلَّق بعمل الفداء الذي ابتدأ بهِ حالاً بعد سقوط الانسان . ومن يقدر ان يدرك تسابيح الظفر التي تقدَّم في هذا الوقت العظيم في السماء والتي تكون اعظم من التي تقدَّم عند سقوط المسيح الكذاب باضعافٍ . والظاهر ان يوحنا الحبيب لم يكن قادرًا ان يصف تلك التسابيح ولهذا قال مثل صوت مياه كثيرة ومثل صوت رعود شديدة قائلين هللويا انهُ تملَّك الرب . فبالاولى انهُ لا يمكن وصف التسابيح التي يرنِّم بها في السماء بعد اكمال كل الاشياء وتتميمها وتكون تسابيح تلك الجماعة العظيمة الجيدة نظير الرعود الشديدة

فها ان الاشياء القديمة تمضي ويكون مكانها اشياء ثابتة تدوم الى الابد . وكما ان المسيح عند ما دخل اولاً في عمل الفداء دُفع الملك اليهِ من الآب واخذ على نفسهِ تدبير امور المسكونة على طريقة تناسب هذا العمل وتتجه اليهِ كذلك هو الآن بعد كمال العمل يسلم الملك لله الآب كما قيل وبعد ذلك النهاية متى سلم الملك لله الآب متى ابطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة اكو ١٥ : ١٤ . ليس كأن المسيح لا يعود يملك بعد ذلك لانهُ قيل ويملك على

بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء لو ١:٣٢ و٣٤ . وقيل ايضاً فاعطي سلطاناً ومجداً وملكوناً لتتعبد لهُ كل الشعوب والامم والالسنة . سلطانهُ سلطان ابدي ما لن يزول وملكوتهُ ما لا ينقرض دا ٧:١٤

بل المراد ان المسيح يدفع الملك او السلطان الذي لهُ على العالم كرسول الآب او وكيلهِ الذي اعطاهُ اياهُ الآب لكي يستعين بهِ في اتمام عمل الفداء العظيم . ونهاية هذه الرسالة او الوكالة التي كانت لهُ من الآب يبان انها متوقفة على عمل الفداء الخصوصي . ولهذا عند ما يكمل العمل تبطل الرسالة والمسيح يسلمها الى الآب الذي اعطاهُ اياها

الفصل التاسع

في نتائج صادرة من جميع ما تقدم

انتقدم الآن الى ذكر بعض النتائج مما سبق فاقول

اولاً اننا ما تقدَّم نتعلم ما اعظم عمل الفداء هذا . فقد لاحظناهُ ولكن على طريق غير كامل في الغاية منذ ابتدائهِ بعد السقوط الى نهايتهِ عند آخر العالم ورأينا كيف اقام الله هذا البناء بواسطة سلسلة طويلة من اعمالٍ عجيبة اذ كان يرفعهُ درجة بعد درجة وقرنًا بعد قرن الى ان وضع الحجر الاخير . والآن فلنعتبر عظمة هذا العمل فاذا كان الناس عند ما ينظرون بناء عظيمًا يتعجبون منهُ فكم يليق بنا ان نتعجب من عظمة هذا البناء الالهي الذي بناهُ قرنًا بعد قرن . ويوجد ثلاثة امور في ما تقدَّم الكلام عنهُ تبين لنا بنوع خصوصي عظمة عمل الفداء

الاول عظمة الحوادث الخصوصية واعمال العناية التي تمَّ بواسطتها . فما اعظم الاشياء التي عملها الله وهي لم تكن الاَّ اجزاء من هذا العمل العظيم . ما اعظم الاعمال التي عملت في العالم لاجل اعداد الطريق لمجيء المسيح لكي يشتري الفداء وفي شراء الفداء نفسهِ . وما اعجب العمل الذي حدث لكي يكون المسيح قادرًا بنفسهِ على هذا الشراء وهو تجسدُ اي صيرورة الله انسانًا . وما اعظم الامور التي حدثت في ذلك الشراء اي ان شخصًا وهو ربٌّ ازليٌّ يعيش على الارض نحو اربع او خمس وثلاثين سنة في حالة دنيئة ذليلة ويصرف حياتهُ في تلك الاتعاب

والآلام واخيراً يموت معلقاً على الصليب. ولا يخفى ان الاعمال التي حدثت لاجل اعطاء النجاح لفداء المسيح كانت عظيمة جداً وكذلك تمكنهُ من اجراء هذا النجاح بنفسهِ من دون واسطة . فانهُ لاجل هذه الغاية قام من الاموات وصعد الى السموات واخضع لهُ كل شيء. فكم اجترح من المعجزات وكم حصل من الانقلابات في العالم وسوف يحصل اعظم من ذلك جداً لاجل هذا المقصد

الثاني ان عدد الحوادث العظيمة التي اجرى الله بواسطتها عمل الفداء تدلنا على عظمة هذا العمل . فان الانقلابات العظيمة الحاصلة لاجل هذه الغاية عظيمة وكثيرة جداً حتى انها تملأ قروناً كثيرة. لان الحوادث العجيبة الخصوصية التي بواسطتهـا اجرى عمل الخليقة ملأت ستة ايام . واما الاعمال العظيمة التي اجرى بها عمل الفداء فهي كثيرة بهذا المقدار حتى انها ملأت ستة او سبعة آلاف سنة كما يتضح من كلام الله. فقد فعل الله اموراً عظيمة في هذا الامر قبل الطوفان. وفي الطوفان قد اخرب الله العالم بواسطة المياه وحفظ كنيستهُ منهُ بنوع عجيب لاجل اجراء هذا العمل . وما اعظم الاعمال التي عملها الله بعد الطوفان مما يتعلق بعمار الكائنات ثانيةً وبناء بابل وتفرق الشعوب وتقصير حياة الانسان ودعوة ابرهيم وخراب سدوم وعمورة . وما عملهُ الله بعنايتهِ العجيبة نحو ابرهيم واسحق ويعقوب ويوسف والعجائب التي صنعهـا في مصر والبحر الاحمر وفي البرية وفي ارض كنعان في ايام يشوع وعنايتهُ العجيبة قرناً بعد قرن بشعب اليهود

وما اعظم الامور التي حدثت في العالم قبل مجيء المسيح استعداداً لمجيئهِ . والامور التي حصلت في ايام المسيح وبعدها بواسطة اخراب ملكوت الشيطان في المملكة الوثنية وحفظ الكنيسة في ازمنة الباباوات المظلمة وايجاد الاصلاح . وما اكثر واعظم واعجب الامور التي تحدث في ازمنة الكنيسة المجيدة وفي مجيء المسيح الاخير للدينونة وفي خراب العالم ونقل الكنيسة باسرها الى السماء

الثالث النهاية المجيدة لهذا العمل بجملتهِ في هلاك الاشرار بالكلية الى الابد

وكمال مجد الابرار. ولنكرر النظر الى هذا البناء فانهُ الآن قد كمل جميعهُ ووضع الحجر الاخير منهُ. وقد ظهر في ارتفاعٍ مجيد في ايام الرسل واكثر مجداً في ايام قسطنطين. وسوف يظهر اكثر مجداً ايضاً بعد سقوط المسيح الكذاب ولكن عند نهاية جميع الاشياء سوف يظهر في ارتفاعٍ اكثر مجداً بغير قياسٍ مما كان قبلاً لانهُ حينئذٍ يظهر في اعلى طبقة من عظمتهِ بناء تاماً مشيداً يبلغ رأسهُ الى سماء السموات بناء يستحق ان يُنسب الى الله العظيم ملك الملوك ورب الارباب

ومما تقدم نستدل ان عمل الفداء هو اعظم جميع اعمال الله التي نطلع عليها وغاية جميع اعمالهِ الأُخر. ويظهر جلياً مما سبق ان هذا العمل هو الاول بين جميع اعمال عناية الله وان جميع الاعمال خاضعة لعمل الفداء فاننا نرى ان جميع الحركات في العالم تتجه نحو هذا المقصد العظيم. وذلك يدلنا كم هو عمل الفداء اعظم من عمل الخليقة بما انهُ غايتهُ كما ان استعمال البيت هو غاية بنائهِ لان عمل الفداء هو خلاصة اعمال عناية الله وهي جميعها خاضعة لهُ. وهكذا عمل الخلق الجديد افضل من القديم والمعهود من حكمتهِ تعالى انهُ متى ازال شيئاً لكي يجعل شيئاً آخر مكانهُ فلا بد ان يكون الجديد افضل من القديم. فان الهيكل افضل من القبة. والعهد الجديد افضل من القديم. وترتيب الانجيل افضل من ترتيب موسى. وكرسي داود افضل من كرسي شاول. وكهنوت المسيح افضل من كهنوت هرون. واورشليم الجديدة افضل من القديمة. وكذلك الخلق الجديد افضل من القديم كثيراً

فان الله انما استعمل الخلق لهذه الغاية فقط وهي ان يكون خاضعاً لمقاصد هذا العمل. ولاجل تكميل هذه الغاية قد خلق الله واتقن الجنس البشري والملائكة والارض واعلى السموات. وخلق الله العالم لكي يعدَّ عروساً ومملكةً لابنهِ. واقامة ملكوت المسيح وزواج عروسهِ الروحي هما ما تتوجع وتتمخض كل الخليقة باطلاً لاجلهما. وعمل الفداء هذا هو اعظم جميع

اعمال الله الى هذا الحد حتى ان جميع الاعمال الاخر يجب اعتبارها كاجزاء منه او مضافات اليهِ او انها ترجع اليهِ بوجهٍ ما . وهكذا جميع احكام الله تختص على احد الاوجه بذلك العهد الابدي عهد الفداء الذي كان بين الآب والابن قبل انشاء العالم . وكل حكمٍ من احكام الله لابد انهُ يرجع الى هذا العهد . وحيث نرى ان هذا العمل عظيمٌ بهذا المقدار يجب ان لا نتعجب من ان الملائكة تشتهي ان تنظر اليهِ ولا من ان الكتب المقدسة مشحونة بالكلام عنهُ في الاسفار التاريخية والنبوية والتسابيح لان عمل الفداء هو الموضوع العظيم لها جميعًا فان تعاليمها ومواعيدها ورموزها وترانيمها وتواريخها ونبواتها تتجه اليهِ وتركز فيهِ

ثانيًا اننا نتعلم مما تقدم ان الله هو الالف والياء البداءة والنهاية لجميع الاشياء كما يتضح من القابهِ وصفاتهِ الموجودة في الكتب المقدسة . ومن ذلك قول النبي من فعل وصنع داعيًا الاجيال من البدء . انا الرب الاول ومع الآخرين انا هو اش ٤١ : ٤ . وهي تنسب الى الله مثل هذه الصفات بنوعٍ خصوصي حيث تتكلم عن العناية من حيث تعلقها بعمل الفداء العظيم واجتماعيا فيهِ راجع اش ص ٤٤ : ٦ و٧ و٤٨ : ٩ الى ١٢ . ومن ثمَّ عند ما يعلن المسيح لتلميذه يوحنا حوادث العناية العظيمة المستقبلة التي تتعلق بكنيستهِ وشعبهِ يلمن مرارًا كثيرة ذاتهُ بهذه الصفة وذلك بقولهِ انا هو الالف والياء البداءة والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء رؤ ١ : ٨

وقولهِ ايضًا وسمعت ورائي صوتًا عظيمًا كصوت بوق . قائلاً انا هو الالف والياء البداءة والنهاية ع ١٠ و ١١ . وبما ان الالف والياء هما الاول والآخر من الحروف يدلان على انهُ الاول والآخر والبداءة والنهاية . وقولهِ ثم قال لي قد تم . انا هو الالف والياء البداءة والنهاية . انا اعطي العطشان من ماء الحياة مجانًا رؤ ص ٢١ : ٦ . وقولهِ ايضًا وها انا آتي سريعًا واجرتي معي لاجازي

كل واحدٍ كما يكون عمله . انا الالف والياء . البداءة والنهاية . الاول والاخر رؤ ص ٢٢ : ١٢ و ١٣

فقد رأينا لاجل اية غايةٍ ابتدأ الله في عمل عنايتهِ في بداءة خلق الناس وكيف اجرى الاشياء في جميع الاوقات طبق هذه الغاية من دون خللٍ في شيء منها وكيف تكون اخيراً خاتمة جميع الاشياء ونهايتها راجعةً الى الله . ولهذا يليق بنا الآن ان نصرخ مع الرسول قائلين يا لعمق غنى الله وحكمتهِ وعلمهِ ما ابعد احكامهُ عن الفحص وطرقهِ عن الاستقصاء رو ١١ : ٣٣ . الى ان يقول لان منهُ ولهُ وبهِ كل الاشياء لهُ المجد الى الابد آمين ع ٣٦

وقد رأينا كيف انتهت الاشياء الآخر الواحد بعد الآخر وكيف سقطت الولايات والممالك والسلطنات وصارت كلا شيء حتى اعظمها واقواها . وكيف انقلبت الدنيا مراراً وسوف تنقلب انقلابات اعظم . وكيف خربت اولاً بواسطة المياه وسوف تخرب بالكلية بواسطة النار . واما الله فانهُ كما هو الى الابد فقد كان قبل بداءة هذه الاشياء وسوف يكون بعد نهايتها راجع مز ١٠٢ : ٢٥ و ٢٦ . وهكذا الله هو الكائن والذي كان والذي سوف يكون

وقد رأينا مراراً كيف ان جميع الآلهة غير الله قد تلاشت . فان الآلهة التي كان يعبدها الناس المجاورون لارض كنعان وجميع المملكة الرومانية قد هلكت جميعاً وبطلت عبادتها . وكيف ان المسيح الكذاب الذي دعا نفسهُ الها على الارض وكل آلهة العالم سوف تتلاشى . وكيف ان الشيطان التنين العظيم ذلك الحية القديمة الذي جعل نفسهُ الها لهذا العالم سوف يطرح في بحيرة النار لكي يعذب هناك عذابهُ التام . واما الرب يهوه فهو باقٍ ملكهُ ملكٌ ابديٌّ ولا نهاية لسلطانهِ . فقد رأينا التغيرات العظيمة التي وقعت في العالم ولكن الله غير قابل التغير وهو هو امساً واليوم والى الابد

وقد ابتدأنا عند راس القناة الصادرة من العناية الالهية وتتبعناها في جميع تعاريجهـــا المختلفة حتى وصلت الى الطرف الذي تنتهي اليهِ. وكما ابتدأت بالله تنتهي بالله. فان الله هو البحر العظيم الذي تصب فيهِ. والعناية الالهية نظير دولابٍ عظيمٍ محيطهُ عالٍ جدًّا. ومجد اله اسرائيل عليهِ كما يعبّر عن ذلك في رؤيا حزقيا. وقد رأينا حركات هذا الدولاب وكيف انهُ كما كان صدورهُ من الله كان رجوعهُ اليهِ. وجميع اعمال العناية الالهية حلقات سلسلة فالحلقة الاولى من الله والحلقة الاخيرة اليهِ

ثالثًا يتضح لنا ما قبل كيف ان للمسيح التقدم في جميع الاشياء لانهُ الفادي العظيم ولذلك عمل الفداء بما انهُ مجموع اعمال عناية الله يظهر مجد ربنا يسوع المسيح كانهُ فوق الكل وعلى الكل وفي الكل. وكون الله قد قصد ان يكون العالم تحت سلطان ابنهِ يستعملهُ كيف شاء في عمل الفداء وهو من جملة الاسباب التي لاجلها خلق بهِ راجع اف ١:٩ الى ١٢. ويظهر ايضًا ما سبق كيف ان جميع مقاصد الله هي بالمسيح وكيف انهُ لهُ المجد قبل الجميع وفوق الجميع وقيام جميع الاشياء بهِ وهو يدبرها وهي مخلوقةٌ لاجلهِ راجع كو ١:١٥ الى ١٨. فان الله قد جعلهُ ابنهُ البكر واعلى من جميع ملوك الارض وجعل كرسيهُ فوق كراسيهم جميعًا. وقد حفظ الله مملكتهُ مع ان جميع الممالك الاخر قد تلاشت. وهي تظهر اخيرًا سائدةً على الجميع مع ما وقع عليها من المقاومة مدة قرون عديدة. وجميع الممالك تسقط واما مملكتهُ فهي الباقية اخيرًا ولا يمكن ان يقوم مكانها مملكة اخرى

فترى انهُ مهما حصل من التقلبات ومهما ارتفعت اعداء المسيح واعتزّت لابد ان يملك بقوةٍ لا تُدفَع ومجدٍ لا يخطّ وشعبهُ باجمعهِ ينال الخلاص اخيرًا على نوعٍ تام ويكونون مغبوطين وجميع اعدائهِ يصيرون موطئًا لقدميهِ. وهكذا الله يعطي العالم لابنهِ ميراثًا لهُ

رابعًا اننا نرى ما تقدم مطابقة اعمال عناية الله ونظامهـــا وجمالها.

واذا نظرنا الى الحوادث بنظر آخر يبان لنا كل شيء مشوّشًا مثل تلاطم الامواج والاشياء تظهر كانما قد عرض عليها حركاتٌ مضطربة متوالية بمجرد الاتفاق من دون غاية ثابتة منتظمة. ولكن اذا لاحظنا اعمال العناية حسبما تقدمها لنا الكتب المقدسة فاننا نراها سلسلة حوادث منتظمة ناتجة جميعها عن حكمةٍ ومنتظمة اتفاقًا عجيبًا متجهة جميعها الى مقصدٍ واحد. فان دواليب العناية لا يدبرها الاتفاق الاعمى بل هي مملوءةٌ من العيون من جميع جهاتها كما يخبرنا حزقيال النبي ومرشدة من روح الله فحيثما اتجه الروح تتجه. وجميع اعمال عناية الله في جميع الاجيال تلتقي اخيرًا كما تلتقي خطوطٌ كثيرة في نقطةٍ واحدة

ثم ان عمل عناية الله انما هو واحدٌ نظير عمل الخليقة. والحوادث الناتجة عن العناية ليست اعمالاً كثيرة ممتازة لا تعلق لبعضها ببعض بل هي اجزاء مختلفة من عمل واحد وترتيب واحد منتظم. وهي جميعها متصلة معًا كاجزاء بناءٍ واحد حيث يوجد حجارة كثيرة واخشاب شتى لكنها جميعها مقرونةٌ معًا ومركبة تركيبًا محكمًا بهذا المقدار حتى تحسَب بناءً واحدًا. واساسها واحدٌ فقط ولها ختمٌ واحدٌ عند آخرها

ويمكننا بالصواب ان نشبه عناية الله بنهرٍ له فروعٌ كثيرة وينابيع مختلفة بعيدٌ بعضها عن بعض وجميعها تصب في مكانٍ واحد. فانها بعد ان تجري في مجارٍ مختلفة متضادة تجتمع كلها معًا كلما قربت من آخر مجراها حتى تصب اخيرًا في مكانٍ واحد من البحر وربما ظهرت ينابيع هذا النهر لنا مضطربة بسبب نظرنا القاصر الذي لا يساعدنا على نظر الجميع دفعةً واحدة. ولا يخفى ان الانسان الذي لا يرى سوى ينبوعٍ واحد او ينبوعين في وقتٍ واحد لا يقدر ان يحكم كيف يتحول مجراها لان جريها يبان له معوجًا جدًّا ويرى ينابيع مختلفة تجري في طرق مختلفة. واذا نظرنا الاشياء من بعيد فلا بد ان نرى موانع وعوائق كثيرة كالصخور والجبال وما اشبه ذلك تمنعها من الاتحاد معًا والانسياب

الى البحر. ولكن اذا تتبعناها فاننا نراها تجتمع باسرها اخيراً وتتحد معاً في مجرًى واحد وتصب في البحر العظيم بحيث لا يبقى واحدٌ منها

خامساً اننا ما تقدم جميعهُ نتخذ حجةً قوية على ان الكتب المقدسة هي كلام الله لانها وحدها تخبرنا ما هي مقاصد الله في هذه الاعمال فلا بد ان لله لهُ مقاصد وغايات في هذه التغيرات والانقلابات الحادثة في العالم قرناً بعد قرن. ويوافق العقل في الغاية ان نظن انهُ يوجد مقصدٌ عظيم توجه العناية الالهية نحوهُ جميع التغيرات العظيمة المتوالية الحادثة في العالم الذي خلقهُ الله عزَّ وجلَّ وان جميع الحركات من بداءة العالم الى نهايتهِ انما هي اجزاء مختلفة من امر واحد تتحد معاً في ايجاد ذلك الامر العظيم المقصود من الله خالق العالم ومدبرهِ وان هذا الامر لا ينتهي ولا يتمُّ المقصود على التمام الاَّ الى نهاية العالم وحدوث الحركة الاخيرة

ولا ريب انهُ لا يوجد من يخبرنا ما هو هذا الامر وهذا المقصد الذي يقصدهُ الله في اعمالهِ الاَّ الكتب المقدسة. وليس من يكشف لنا عن جميع سلسلة اعمال العناية الالهية من البداءة الى النهاية او يخبرنا كيف ان جميع الاشياء هي من الله وما هي غايتها وكيف حدثت من الابتداء وكيف تحدث بالتدريج الى النهاية وماذا يكون منها اخيراً وكيف تكون جميع الاشياء حينئذٍ لدى الله الاَّ هذه الكتب. ولا يوجد شيءٌ غير الكتب المقدسة يبين لنا الغاية المقصودة من الحركات التي يحدثها الله قرناً بعد قرن او ماذا يريد الله بما عملهُ او يعملهُ الآن وفي ما يأتي من الزمان وماذا يقصد بذلك. ولا يوجد شيءٌ غير هذه الكتب يوضح لنا جليًّا بالتحقيق كيف ابتدأ العالم او يخبرنا عن اصل الاشياء بالحقيقة. واما الكتب المقدسة فهي التي تعلمنا كيف دبر الله العالم منذ الابتداء وذلك على طريق تاريخي منتظم او كيف يسوسهُ الى انتهاء العالم وذلك بالنبوات عن امور مستقبلة كما يتضح من كلام الله نحو آلهة الوثنيين وانبيائهم ومعلميهم حيث يقول ليقدموها ويخبرونا بما سيعرض. ما هي الاوليات. اخبروا فنجعل عليها

قلوبنا ونعرف آخرتها او اعلمونا المستقبلات. اخبروا بالآتيات فيما بعد فنعرف انكم آلهة اش ٤١: ٢٢ و٢٣

ولا يخفى انهُ يليق وينبغي ان الخلائق الناطقة في العالم يعرفون شيئًا من غايات الله ومقاصدهِ في اعمالهِ لانها لاريب تتجه البهم على الخصوص لا الى البهائم او الجمادات . والمنقلبات التي بواسطتها يجري الله مقاصدهُ هي على الخصوص فيما بينهم ومتعلقة باحوالهم ولهذا يلزمهم لا محالة ان يعرفوا شيئًا عنها وعلى الخصوص بما ان الله قد اعطى خلائقهُ الناطقة قوةً لكي يروهُ في اعمالهِ ويعطوهُ المجد اللائق بقدرتهِ الباهرة

وكذلك يليق بالناس ان يعرفوا شيئًا من مقاصد الله في سياسة العالم لانهم قادرون طبعًا ان يتحدوا معهُ في ذلك المقصد وان يكملوهُ ويشتغلوا بهِ نظير اصدقائهِ وعبيدهِ. ولهذا يوافق الصواب ان نظن ان الله قد اعطى الجنس البشري الهاماتٍ يخبرهم بها عن هذه الامور ولا يوجد ما يتم هذا المقصد الاَّ الكتاب المقدس الذي يتضمن اخبارًا تليق بالله وتبين جليًا عظمة كمالهِ وجلالهِ وحكمتهِ وقداستهِ ونعمتهِ ومحبتهِ وسموهِ على الجميع وكونهِ البداءة والنهاية

والكتاب المقدس يبين لنا الاجزاء المختلفة التي يقوم بها عمل العناية وكيف انها باسرها مرتبطة معًا على وجهٍ قانوني بديع . ويخبرنا عن ترتيب العناية جميعهِ منذ ابتداء العالم الى انتهائهِ وذلك اما في التاريخ او في النبوة . ويعلمنا كيف تنتهي الامور بقهر اعداء الله وخلاص كنيستهِ ومجدها وقيام ملكوت ابنهِ الابدي

فيا لهُ من وحيٍ صوابيٍّ جليل الشأن في الغاية . وما اعظم الكتاب المقدس الذي يتضمن هذا المقدار من الامور اكثر من جميع الكتب الموجودة في العالم . وما اكثر الصفات الموجودة فيهِ التي تدل على كونهِ من الله بالحقيقة . فهو كتابٌ اعطاهُ الله العظيم للجنس البشري لاجل تعليمهم وبدونهِ بقي في حالة الظلمة والجهالة والاضطراب

سادسًا مما قيل نرى جلال الله العظيم وقدرتهُ الباهرة في عمل الفداء هذا

فان قوتهُ العظيمة تظهر بحفظهِ لكنيستهِ كل هذا الزمان الطويل وتكميلهِ هذا العمل العظيم . فان الله قد حفظ كنيستهُ مرارًا كثيرة عند ما كانت ضعيفة جدًّا تكاد تتلاشى من مضادة الارض وجهنم لها . الاَّ ان الله لم يدعهم قط يلاشونها . وهو تعالى يأتي اخيرًا بالحكم للغلبة ويُمجِّد قدرتهُ بضعف كنيستهِ اذ يجعل شعبهُ الذين هم كالاطفال يفوزون بالغلبة على الارض وجهنم حتى يدوسوا الاسد والافعى تحت اقدامهم وقوة الله المجيدة تظهر ايضًا بغلبتهِ لاعدائهِ الكثيرين الاقوياء بواسطة ذلك المخلص الذي كان طفلاً في مذودٍ وظهر فقيرًا ضعيفًا مهانًا فانهُ قد غلبهم وظفر بهم بواسطة سلاحهِ اي الصليب

ثم ان جلال الله المجيد يظهر بغلبتهِ جميع اعداء كنيستهِ المفتدين قرنًا بعد قرن وقهرهِ للشيطان ذلك الروح المتكبر العنيد وجميع جنودهِ الجهنميين وذلك بواسطة اذلالهِ بعد ان بقي مدةً طويلة نظير الهٍ لهذا العالم واجتهد بكل امكانهِ قرنًا بعد قرن في تثبيت ملكتهِ وملكة المسيح الكذاب وغيرهِ التي عند ظهور المسيح لابد ان يظهر فيها مكرهُ وكبرياؤهُ وتضمحل كالظل وتختفي من ذاتها وتتلاشى كالظلمة عند اقبال النور . وذلك مع انها قد اعتزَّت مدةً طويلة وداست العالم بجبروتها . فما اعداء الله في يديهِ وكيف يكون اعظم اقتدارهم ضعفًا عند نهوضهِ تعالى . وكم يكونون في حالة الذل والخمول يوم الدينونة الرهيب . ونقدر ان نجيب عن هذه المسائل بقول موسى النبي في تسبحتهِ يمينك يا رب معتزَّة بالقدرة . يمينك يا رب تحطم العدو خروج ١٥ : ٦ وكم يظهر جلال الله مجيدًا في اخرابهِ العالم من حين الى حين لاجل اتمام مقاصدهِ وفي جعلهِ اخيرًا السماء والارض تهربان لاجل نجاح مجد ملكوتهِ

سابعًا ما تقدم نرى مجد حكمة الله . فان هذه الحكمة تظهر بخلقهِ العالم وذلك لاجل فوائد جليلة بهذا المقدار ولاجل تكميل مثل هذا العمل المجيد . وباخراجهِ هذا الخير العظيم من ذلك الشر الفظيع اذ جعل سقوط الانسان وخرابهُ الذي هو في نفسهِ محزنٌ في الغاية واسطةً لاتمام مثل هذا العمل العظيم .

وبتقديمهِ مختاريهِ الى حال الغبطة والسعادة التي لا توصف. وكم تظهر حكمة الله عظيمةً في تلك التقلبات المستطيلة المتوالية في العالم عند ايجادهِ الهدوء من الاضطراب وابطالهِ جميع حيل المحال التي افتخر بها جدًّا وتحويلهِ اياها الى وسائط مجدٍ عظيم لابنهِ يسوع المسيح . وكم هي عجيبة حكمة الله في جعلهِ تلك التغيرات الكثيرة المختلفة الحادثة في العالم تنتهي اخيرًا على وجهٍ سعيد . وبارشادهِ جميع دواليب عنايتهِ بيمينهِ الحكيمة حتى ان كل واحدٍ منها ينتهي اخيرًا نهاية جليلة ويكون اظهارًا عظيمًا لمجد الله وعلة السعادة لشعبهِ ومملكة مجيدة ابدية لابنهِ

ثامنًا مما تقدم يتضح لنا ثبات رحمة الله وصدقهِ نحو شعبهِ اي انهُ لا يترك الى الابد ميراثهُ ويذكر عهدهُ لهم في جميع القرون والآن نقدر ان نرى صدق قولهِ تعالى هوذا كلهم كالثوب يبلون ياكلهم العث اش ٥٠ : ٩ . ويتضح لنا جليًّا سبب اتخاذ الله لنفسهِ ذلك الاسم الذي اوحى بهِ الى موسى بقولهِ فقال الله لموسى أَهْيَهْ الذي أَهْيَهْ خر ٣ : ١٤ . اي انا كما كنت عند ما قطعت عهدًا مع ابرهيم واسحق ويعقوب وسوف اكون كما انا الى الابد واحفظ العهد الى الابد انا قائمٌ بذاتي ومكتفٍ بذاتي وغير متغير

والآن نرى صدق قول المرنم يا رب في السموات رحمتك . امانتك الى الغمام . عدلك مثل جبال الله واحكامك لجة عظيمة مز ٣٦ : ٥ و ٦ . واذا اعتبرنا ما سبق بيانهُ فلا نتعجب من ان المرنم في مز ١٣٦ يكرر مرارًا كثيرة قولهُ لان الى الابد رحمتهُ كانهُ كان في بهجة لا توصف من التأمل في دوام رحمة الله نحو كنيستهِ فلم يعلم كيف يصفها الاَّ بالدوام . فلمندَّع بلذةٍ وفرح دوام رحمة الله وصدقهُ الى الابد نحو كنيستهِ وشعبهِ ولنتعزَّ بها في جميع الاحوال المظلمة التي تعرض لكنيسة الله عند ما ينهض العالم لمقاومتها ويحاول اعداؤها اتلافها . وان نطلب من الله بحرارة ان يتم الامور السعيدة التي وعد بها كنيستهُ

تاسعًا مما تقدم نعلم ان كنيسة المسيح جماعةٌ مغبوطة جدًّا فان جميع هذا العمل العظيم من اجلها لان المسيح قد تكفل به من اجل الكنيسة ومن اجلها اكمله بنفسهِ . وما ذلك الاَّ لانهُ احبها محبةً ابدية وهو لهُ المجد من اجلها يقلب الممالك والبلدان ويهزُّ السماء والارض ولاجلها يعطي اناسًا وشعوبًا من اجل حياتها . وبما انها كريمةٌ في عيني الله قد اهتمَّ بها واكرمها ولهذا اعطاها اولاً دم ابنهِ ويعطيها دماء جميع اعدائها

وهو سبحانهُ وتعالى قد خلق العالم من اجل كنيستهِ ومن اجلها يهلكهُ ومن اجلها اسس السموات وجعل الملائكة ارواحًا للخدمة . ولهذا يقول الرسول اذًا لا يفتخرنَّ احدٌ بالناس . فان كل شيءٍ لكم . أبولس ام ابلوس ام صفا ام العالم ام الحياة ام الموت ام الاشياء الحاضرة ام المستقبلة كل شيءٍ لكم اكو ٣ : ٢١ و٢٢ الخ

فطوبى لهذا الشعب المفتدى من بين جميع الشعوب وهو باكورة لله الآب والخروف الذي يحميهِ الله في جميع الازمنة ويعضدهُ في جميع الاجيال كما قيل طوباك يا اسرائيل . من مثلك يا شعبًا منصورًا بالرب ترس عونك وسيف عظمتك . فيتذلل لك اعداؤك وانت تطأ مرتفعاتهم تث ٣٣ : ٢٩

فالذين يغلبون الآن ويرتفعون على الكنيسة سوف تتغلب الكنيسة عليهم اخيرًا لا محالة فتكون المملكة الاخيرة لها ولا تتركها للآخرين . فقد رأينا حسن النهاية التي تصل اليها الكنيسة اخيرًا والمجد الذي سوف تحصل عليهِ وتتمتع بهِ الى ابد الابدين . وذلك بعد ان تضمحل جميع ممالك الارض وتزول الارض وتطرح الجبال في اعماق البحر او الى حيث كان البحر وتحل هذه الارض السفلية باسرها . فيا لهُ من شعبٍ سعيد وجماعة مباركة فانهم سوف يصرفون الابدية بتقديم التسابيح والتماجيد للذي احبهم وبجبهم الى الابد

عاشرًا واخيرًا ان جميع الاشرار والذين لا مسيح لهم يطّلعون ما تقدم على عظم شقاوتهم . فانتم ايها الذين في هذه الحالة ليس لكم قرعة ولا نصيب في هذا الامر . وهذه الامور لا تجعلكم ابدًا احسن مما انتم بل تزداد ذنوبكم وتتعاظم شقاوتكم . فانتم الذين يستعمل الله في مباشرتهِ هذا العمل سخطهُ وشدة رجزهِ ضدهم ويجعلهم موطئًا لقدمي المسيح لكي يرعاهم بعصًا من حديد وكآنية الفخار يسحقهم . انتم من زرع الحية التي سحق راسها وذلك هو المقصد العظيم من كل هذا العمل . وكل ما فعلهُ الله من الافعال المجيدة اذا بقيتم على حالكم الحاضرة لا تكون تلك الافعال مجيدةً بالنسبة اليكم . فان امجد ازمنة الكنيسة تكون دائمًا اكثر كآبة للاشرار وغير التائبين راجع اش ٦٦ : ١٤ . وحيثما تُنبئ باشياء مجيدة بالنسبة الى الكنيسة تُنبئ ايضًا بامور هائلة بالنسبة الى الاشرار اعدائها . وهكذا في الانقاذات العجيبة التي أُنقذت بها الكنيسة قد أُنزِل غضبٌ وسخطٌ عظيم على اعدائها

ان الله يستعملكم لا محالة في هذا العمل ويكون ذلك لمجد عدلهِ لا لمجد رحمتهِ فانكم من جملة اعداء الله الذين حُفظوا لاظهار قوة المسيح المجيدة في الظفر بهم وترتيب قصاصهم ومع جملة الذين يبيدون مع هذا العالم الخبيث بعد يوم الدينونة عند ما يصعد المسيح وكنيستهُ بالظفر والمجد الى السماء . فلينظر جميع الذين لا مسيح لهم الى هذه الامور جيدًا ويعتبروها كما يجب ولا يكونوا مثل اهل العالم القديم الاغبياء الذين لم ينتصحوا عند ما انذرهم نوح ان الله عتيدٌ ان يأتي بطوفان ماء على الارض او مثل اهل سدوم الذين لم ينتهوا عند ما قال لهم لوط ان الله سوف يهلك المدينة ولم يهربوا من الغضب الآتي وهكذا هلكوا في ذلك الخراب الهائل

والآن اختم كلامي في هذا المعنى بكلامٍ يشبه ما قالهُ صاحب الرؤيا في آخر سفرهِ ان هذه الاقوال امينة وصادقة . طوبى لمن يحفظ اقوال نبوة هذا الكتاب . هوذا المسيح يأتي سريعًا واجرهُ معهُ ليجازي كل واحد حسب اعمالهِ .

من يظلم فليظلم بعد . ومن هو نجس فلينجس بعد . ومن هو بارٌّ فليتبرَّر بعد . ومن هو مقدس فليتقدس بعد . طوبى للذين يصنعون وصاياهُ لكي يكون سلطانهم على شجرة الحياة ويدخلوا من الابواب الى المدينة . لان خارجًا الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الاوثان وكل من يحب ويصنع كذبًا . يقول الشاهد بهذا نعم. انا آتي سريعًا آمين . تعال ايها الرب يسوع

31761 06556856 0